عبد الله أوجلان

الإصرار على
الاشتـــراكيـــــة
إصرار على
"بنـــــاء الإنســـــان"

عبد الله أوجلان

الإصرار على الاشتراكية إصرار على "بناء الإنسان

تصميم الداخلي و الغلاف:

لجنة الأدبيات

الطبعة الأولى: ٢٠٠٣

الطبعة الثانية: ٢٠١٧

شلير للطباعة و النشر

weje.vejin@gmail.com

wshanashiler@gmail.com

المحتويات

مقدمة الطبعة التركية ٥
الاشتراكية هي المستقبل الوحيد للبشرية ١٥
ثمة حاجة لنماذج ليست غريبة عن الكدح ١٧
شخصية مفكرة ومقررة، لا عبدة ومصطنعة ٢٣
قد يتحول الجيش إلى طبقة استعمارية حاكمة إذا ما استمر في وجوده ٢٥
ثمة هوة شاسعة بين المجتمع والطبيعة ٣١
بعض الخصائص الجديدة للحملة الاشتراكية في يومنا ٣٥
ثمة حاجة ماسة لأيديولوجية جديدة وتعاليم أولية ٣٩
لم يعد هناك طبقة عاملة مثلما كان في القرن التاسع عشر ٤٣
PKK حركة اكدح ٤٦
إننا ندخل مرحلة ثورات جديدة ٤٩
يتطلب النضال على مدى طويل ضد الرأسمالية ٥٩
الأيديولوجية والمعنويات ضرورية للإنسان الأول ٦٣
والإنسان الأخير على السواء ٦٣
المحطات الهامة في تاريخ الأيديولوجية الاشتراكية ٧٣
لا يمكن للاشتراكية بلوغ مآربها بالتدوّل ٧٦
يجب الانطلاق نحو اشتراكية أممية جديدة ٨٥
حقيقة القائد – المناضل في الاشتراكية ٨٩
تقسيم العالم إلى معسكرات أمر غير واقعي، وقد تم تجاوز ذلك ٩٢
الاشتراكية مسألة نوعية، مسألة أن يجعل الإنسان نفسه اشتراكياً ٩٦
ننتج ونحيا ونكافح بشكل سليم ١٠٠
نحن ضد كل الأيديولوجيات المعيقة لتطور الفرد ١٠٨

النظام الفيدرالي ضروري لأجل شعبنا ١١٠
نريد التضحية، لا غير، من شعبنا ١١٣
نود إنقاذ الإنسان، ولن نستسلم للرأسمالية بتاتاً ١١٥
الاشتراكية والحل الكوني المتطور في PKK ١٢١
اللينينية أثرت على القرن برمته ١٢٤
أكبر إرهابي هو القوى السياسية والاقتصادية الأمريكية ١٣٠
اليوتوبيا الاشتراكية، الأمل والعزم، شرط أساسي للنجاح والنصر ١٣٤
نموذج العالم القديم أصبح قميصاً ضيقاً على الإنسانية ١٤١
الحياة مقابل الموت، ١٤٧
والحرية مقابل العبودية ١٤٧
تطورت الفاشية التركية بمساندة السوفييت لها ١٦٣
سؤال "كيف نعيش؟" للشعب الروسي أيضاً ١٦٨
بإمكان الشعبين الروسي والكردي معاً وضع حد للشوفينية التركية ١٧٠
قد يحل الاتفاق الكردي – الروسي الكثير من المشاكل ١٧٣
بناء إنسان اشتراكي أهم بكثير من تأسيس دولة ١٧٤
إنني أقدّم النقد الذاتي نيابة عن الاشتراكية المشيدة ١٧٥
خلق السوفييت شخصية مغرورة ١٧٨
PKK مرحلة عظيمة في الاشتراكية ١٨١
إما الاشتراكية، وإلا فلا! ١٨١
الاشتراكية خيال وعلم في آن معاً ١٨٥
لا وجود لمفهوم "الاكتفاء " في الاشتراكية ١٩٠
ستعيشون لأجل اليوتوبيا ١٩٦
أثق بالإنسان والإنسان الجيد الفاضل ٢٢٠
الحرية تحقيق الذات من الأعماق ٢٣٥

مقدمة الطبعة التركية

لو ألقينا نظرة إلى وضع العالم في السنوات التي كانت الاشتراكية المشيدة لا زالت وطيدة تنافس الإمبريالية، أي في الأعوام التي انقسم فيها العالم إلى قطبين؛ لرأينا أن القوة التي تميز بها معسكر الاشتراكية المشيدة والمعسكر الإمبريالي ومدى حاكمية كل منهما على مسار التطورات كانت أضعاف ما هي عليه اليوم من تأثير. وكانت كل حركة مرغمة في هذا العالم المشطور إلى قسمين، أن ترجح أحدهما في تحديد مسار تطورها. أما المعيار الأساسي حينذاك في أي بقعة من العالم لدى النظر إلى التطورات، فهو مدى خدمتها لمصالح هذين النظامين وتوسيع مناطق نفوذهما، أكثر من أن يكون المصالح العامة للشعوب والأوطان والطبقات. وقد أدت هذه السياسات الحاكمة إلى خنق التطورات الدولية وسيادة العقم بين الأنظمة الموجودة. وهذا بدوره ما نمَّ عن تراكم المشاكل الإنسانية والطبيعة من جميع النواحي كجبل شاهق مستعصٍ.

مع انهيار الاشتراكية المشيدة بقيادة الاتحاد السوفييتي يزول القطبان من الوجود وتبدأ مرحلة جديدة تسودها الظروف الملائمة لنضال الشعوب في سبيل تحررها واستقلالها. ولو لم يتم التحكم في هذا الوضع وإيجاد استراتيجيات وسياسات جديدة، فمن الممكن أن تحصل آنذاك تطورات مناهضة للامبريالية وجدّية للغاية. وفي هذه الأثناء تظهر سياسة "النظام العالمي الجديد" كحديث الساعة إلى الوجود، لكن الامبريالية – مع ذلك– لن تجني ما كانت تتمناه، ولن تنطبق حساباتها التي أقامتها وهي في نشوة النصر مع الواقع، ولن يصبح انهيار الاشتراكية المشيدة انتصاراً للرأسمالية – الامبريالية.

يمكننا القول بكل صراحة أن عالمنا يعيش مرحلة انتقالية اليوم. ومع انحسار السوفييت من التوازنات العالمية في التسعينات بعد أن كان يحدد طابع العالم، أصبح وكأن زمام الأمور أفلتت من اليد بحيث تسعى العديد من القوى إلى ملء الثغرات الحاصلة حسب مصالحها دون كلل أو ملل.

تكمن في كَفَّتَي التوازن القديم قوتان أساسيتان هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي. وعندما افتقدت إحدى الكفتين ثقلها انقلبت التوازنات كلياً رأساً على عقب، وتم الانتقال من حالة التوازن إلى اللاتوازن. يمكننا تسمية عالمنا حسب الوضع القائم بأنه عالم يبحث عن توازن جديد وهو يتجه نحو سنوات الألفين.

تتشكل توازنات القوى من جديد، ليس فقط في منطقة محدودة من العالم أو في مناطق السوفييت كطرف في التوازن، بل وفي الشرق الأوسط وبلاد القفقاس والبلقان وبلدان أمريكا اللاتينية أيضاً، أي باختصار في كل بقاع العالم. ويتجلى هذا الوضع، وبشكل خاص منذ أعوام التسعينات، في الحروب الجديدة والصداقات الجديدة والاتفاقيات الجديدة والعداوات الجديدة. وكان لا مناص من أن يحصل ذلك، إذ من البديهي حصول الاشتباكات والتناقضات بين القوى الساعية لملء الثغرات البارزة في السلطة في الأماكن التي لا يُعرَف من يتحكم فيها ومن يبسط نفوذه عليها.

الاسم الثاني لمرحلة العبور هو الحروب والتناحرات والصدامات، حيث تُسلَك فيها شتى أساليب الحروب، سواء العلنية منها أو الديبلوماسية السياسية أو زج الدول التابعة في الحروب أو غيرها.

الكل يجهد للاستفادة من الإمكانيات الناجمة عن هذه المرحلة العبورية، ويسعى لتعزيز منزلته ووضعيته قبل الوصول إلى تشكيل التوازنات الجديدة.

كل دولة أو قوة سياسية تعلم علم اليقين أن القيام بأية حملة بعد تكريس التوازنات بهدف تحويلها لصالحها، إنما ليس بالأمر السهل. هذا القانون ساري المفعول ليس على الصعيد العالمي فحسب، بل والإقليمي أيضاً. من هنا تدأب الدول والقوى السياسية المنطلقة من هذه الحقيقة للتدافع والاحتدام فيما بينهما بهدف فتح ساحات جديدة لها والخطي بمكتسبات وفرص وفيرة.

كل القوى الامبريالية العالمية تسعى لتعزيز وضعياتها القائمة من خلال اتفاقيات وحملات جديدة. وتتحول الاتفاقيات القائمة فيما بينها في مرحلة الحرب الباردة، إلى تناحر واصطدام وإن لم يكن على شكل حرب

متبادلة. ويمكن رؤية ذلك بجلاء لو نظرنا إلى اختلاف السياسات التي يتبعها الامبرياليون بشأن كل من الشرق الأوسط وقفقاسيا وأوروبا الشرقية وأفريقيا.

لم يمضِ زمن طويل على انهيارالاشتراكية المشيدة. ولو دققنا النظر في المجريات خلال هذه المدة القصيرة، سواء في بلدان الاشتراكية المشيدة أو البلدان الامبريالية أو مختلف مناطق العالم؛ سنرى أن السياسات المتبدية كبديل للاشتراكية المشيدة لم تخطُ أية خطوة للأمام، وأن حاكمية الامبريالة على العالم أضعف مما كانت عليه في تلك السنوات. فالحروب والعراكات والاشتباكات والفوضى والبلبلة وغيرها من مستجدات، سادت في كل مناطق العالم على وجه التقريب وفي سائر القارات، وتتالت وراء بعضها وكأنها في سباق. أما البلدان الامبريالية فعندما تجنح لبسط نفوذها على منطقة ما، ترى نفسها في مواجهة صعوبات كبيرة ومقاومات باسلة للشعوب. إلى جانب المستجدات الخارجية هناك التناقضات والمشاكل الداخلية وانعدام الأمن والاستقرار أيضاً. إذ أن "الانتصارات" المتحققة قديماً نتيجة كبت المشاكل الخارجية، والتي تصبح ستاراً تخفي به المشاكل الداخلية، تواجه اليوم عراقيل كبيرة للنجاح في ذلك مرة أخرى. بهذا المعنى ثمة تراجع جدي اليوم في وضع الامبريالية أيضاً.

"تعاني الأغلبية الساحقة من الإنسانية العالمية من الاضطرابات وكأنها على نار ملتهبة. فأمريكا اللاتينية، جنوب آسيا، بلاد القفقاس، الشرق الأوسط، كل القارة الأفريقية، وقسم هام من البلدان الاشتراكية القديمة؛ كلها تعاني أزمات سياسية واقتصادية خانقة. أما أوروبا وأمريكا، فكأنهما جنتان تقبعان وسط هذا العالم المتأجج بنيرانه المضطرمة. كل منطقة هامة من مناطق العالم تحمل في طياتها إمكان التراجع دوماً، وتتراكم الأحداث رويداً رويداً وكأنها تتوجه نحو حسابات كبيرة.

كانت أمريكا تمثل مركز القوة الامبريالية مقابل الاشتراكية. وهذه الحقيقة سارية من جميع النواحي. فأمريكا كانت زعيمة لا منافس لها في الميدان الاقتصادي والتفوق العسكري وتقنية السلاح والحملات السياسية. هذا الوضع المتغير ببطء منذ أواسط السبعينات، اكتسب سرعة ملحوظة مع انهيار الاشتراكية المشيدة، وعانت الامبريالية من تبعثر في قواها. يمكن الحديث اليوم عن ثلاث مراكز امبريالية؛ الولايات المتحدة الأمريكية، أوروبا، اليابان. ولا ريب في أن أمريكا لا تزال القوة الكبرى في هذه المراكز الثلاثة. أي أنها أصبحت "الأولى بين القوى المتكافئة" بعد أن كانت سابقاً سيدة العالم المطلقة بلا منافس.

سيضاف إلى هذه المراكز الثلاثة قوتان عالميتان في المستقبل القريب، وهما روسيا والصين.

إن القوى الامبريالية المتفقة فيما بينها على استراتيجية مشتركة سابقاً، والملتفة حول السياسات عينها تجاه "تهديد السوفييت"؛ تواجه أسباباً ودوافع عديدة تجعلها لا تسلك المواقف السياسية المشتركة نفسها تجاه المستجدات الدولية الحاصلة اليوم.

فأوضاع كل قوة نسبة للأخرى مختلفة تماماً. ومهما يكن هذا الاختلاف، سيؤدي مع الزمن إلى حدوث التبعثر في مركز القوة لا محال".

يؤدي التنافس بين هذه الدول على توسيع رقعة مناطق النفوذ وإغناء مصادر الاستعمار والاستغلال، إلى بروز التناقضات فيما بينها لتتجذر أكثر فأكثر مع مضي الزمن. والى جانب "العدو المشترك" تنشغل هذه الدول ببعضها، وإن لم يكن بدرجة متقدمة، بحيث سنشهد في القرن الحادي والعشرين صراعات هذه القوى على الصعيدين السياسي والاقتصادي على الأغلب.

تنعكس هذه التطورات البارزة في البلدان الامبريالية على جماهيرها عامة، فالإنسان الغربي الناشىء على "تهديد الشيوعية" في الماضي، لم يعد بالإمكان تخديره دون إيجاد أساليب جديدة. لذا تلجأ الامبريالية إلى تطوير الوسائل الإعلامية وغيرها من تقنيات الاتصال والتبادل والتواصل، وتحتكرها بشكل خاص في سبيل إعاقة يقظة المجتمع وذر الغبار في العيون المنفتحة للتوّ. وتضطر أولاً لإقناع رأيها العام – وإن كانت لا تلاقي صعوبة تذكر في هذا الشأن – قبل الشروع بالتدخل في التطورات العالمية، وتسعى لإضفاء السمة الشرعية على استيلاءاتها ومداخلاتها الباطلة تحت شعار "الديمقراطية" و"حقوق الإنسان" وغيرها من المصطلحات، وبالتلفظ بالألفاظ "الإنسانية المثالية". هذا بالإضافة إلى أنها لم تعد – كما كانت سابقاً – قادرة على اتخاذ القرار بالمداخلة لساحة خارجية ما بتلك السهولة وغض النظر عن مشاكلها الداخلية. إنها تحسب الحساب لردود الفعل المحتمل ظهورها سواء في الرأي العام الداخلي أم الخارجي.

من جانب آخر، لم تعد الشعوب المعرضة للمداخلة تستسلم على الفور للقوى الامبريالية كما كانت في السابق، بل تعتمد على قواها الذاتية وتختار طريق المقاومة المشرفة على الأكثر. إن إدراك هوية الامبريالية وسياساتها

المعادية للشعوب بشكل جلي له الدور البارز في ذلك لا محال. وما الحروب والصدامات الناشبة في الشرق الأوسط والقفقاس والبلقان وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأقصى وغيرها من مناطق العالم، وكذلك العقم الناجم عنها؛ سوى مؤشر واضح على اندحار قوة الامبريالية وخضوعها لإرادة الشعوب رغماً عنها.

لقد تجلى في السنوات الأخيرة بما لا يقبل الشك أن الامبريالية ما هي سوى نمر ورقي، وعاجزة عن الخلق وتجديد الذات، وتمتلك بنية جوفاء تماماً، على نقيض ما حاولت أن ترسمه لذاتها من مظهر مهيب. وتبدى للعيان أن ما أسمته بالحياة الحرة ما هو في الواقع سوى حياة خاملة مخدِّرة، معتمدة على التقنية ومربوطة بجهاز تحكم يحدد وجهتها ويقوم بتوجيهها إلى كل صوب بكل سهولة. لقد تم أسر هذه الحياة وأصبحت خاوية من الثقة الذاتية ومن قوة إعطاء القرار المستقل.

إنها تشبه نمط حياة هامشية سويت بالأرض تماماً عبر السينما والتلفاز وغيرها من الوسائل والغارات الكثيفة من الدعايات. هكذا تحول الناس هنا في خضم هذه الحياة الروتينية التكنيكية، التي قتلت فيها المعايير الأخلاقية والمعنوية وأصبحت الماديات هدفاً أساسياً لها، إلى متفرجين أقرب ما يكونون إلى الموتى.

بالتالي فإن الامبريالية التي تحط من شأن الفرد لديها على هذا المنوال وتُتبعه بذاتها، تجنح إلى استبزاز الناس في بلدان الاشتراكية المشيدة لمناهضة الأنظمة "الشيوعية" القائمة في تلك المرحلة، وذلك من خلال التقنيات والدعايات والمناداة بالديمقراطية والحرية. بالمقابل فعدم قيام الاشتراكية المشيدة بإعادة بناء فردها كبديل للفرد الموجود في المجتمع الرأسمالي، قد سهّل من وصول الامبريالية إلى مآربها. وقد رأينا بكل جلاء في تجربة الاشتراكية المتحققة أنه بدون خلق الإنسان الاشتراكي لن تنجو الدول في نهاية المطاف من الانهيار والتفسخ المحتوم، حتى ولو تأسست دول كبرى فيها أو أصبح سدس العالم اشتراكياً أو حتى تحكمت في الفضاء أيضاً. لقد برزت ظاهرة "الدولة" إلى الأمام بما يزيد عن الحد في تجربة الاشتراكية المعاشة، ولم تظهر الحاجة للاهتمام بالتطورات الروحية والعوامل المعنوية لدى الجماهير. من هنا يتحتم علينا التأكيد على أن الاشتراكية المطبقة في الاتحاد السوفييتي منحرفة تماماً عن الاشتراكية العلمية.

يحتِّم استعمال التقدم التقني بما يناهض مصالح الإنسانية ويزج بها في حياة حيوانية بطيش أعمى، وكون العلم الموجود حالياً أداة لتخدير الإنسان وامتصاص قواه وتحويله إلى وحش استهلاكي مبذر والتوجه به نحو التهميش

والتهشيش؛ يحتِّم اللجوء إلى علم الاشتراكية بلا مناص. كما أن استناد الامبريالية على القوة التكنولوجية في استيلائها ومد يدها بكل طلاقة على كافة أصقاع العالم، وبالتالي تسللها عبر هذه الأساليب إلى عقول الناس والشعوب لتكريس ذاتها بلا توقف؛ إنما يشير إلى مضمون ونطاق وإرشادات الثورات التي ستتحداها وحتى ستسويها بالأرض وتسحقها خطوة خطوة. بالتالي يظهر الالتفاف حول الاشتراكية عبر أساليب ومواقف جديدة تقوم بالتحليل الصائب والشامل لحقيقة الإمبريالية القائمة على أساس استنباطها الدروس اللازمة من تجربة الاشتراكية المشيدة؛ من أقدس المهام العاجلة الواجب تأديتها تجاه الإنسانية. يمر السبيل الوحيد لإنقاذ الإنسان الغارق في التطورات التكنولوجية والمقضي عليه فأصبح ميتاً لا روح فيه، من إعادة تشكليه مجدداً وكشف النقاب عن جوانبه المعنوية والإنسانية. أما الاشتراكية، أو التحلي بالاشتراكية، فليس أمراً خارج ذلك أو مختلفاً عنه. ومثلما قال القائد العام لحزب العمال الكردستاني PKK الرفيق عبد الله أوج الآن في هذا الكتاب الذي بين أيديكم "الاشتراكية هي علم الإنسان. إنها علم يحافظ فيه الإنسان على إيمانه وعقيدته وآماله ومعنوياته".

وفي الحقيقة، تتجلى الميزة الاشتراكية لPKK في هذه النقطة. وما يجعل PKK يتميز بالتفوق والانتصار هو سعيه الدؤوب لفصل الإنسان المنحط والمفتقر للإيمان والعقيدة والأمل، من شخصيته وخصائصه التي جعلها الاستعمار والإمبريالية كوباء لا نفع منه. إنه أسلوب جديد في التقرب من الإنسان، وعلم اشتراكي يتعدى القوالب المترسخة. وما اعتماده على جوهر الإنسان وأفعاله بدلاً من الكلام المجرد، كذلك عدم القبول بالفرد الملتحق بصفوف الثورة كما هو عليه، وفرض التحول عليه بلا مفر؛ سوى نضال لبناء الإنسان الاشتراكي بحد ذاته. وقد أسفر صواب الأسلوب في التقرب من الإنسان عن كشف النقاب عن قوة الاشتراكية.

إن نزوع PKK لاتباع أساليب اشتراكية علمية دون السماح لظهور أي انحراف فيها ضمن أجواء تعمها المحاولات لحصار البشرية وتضييق الخناق عليها عن طريق "روائع التكنولوجيا المذهلة" والقضاء على جوهرها التقدمي على صعيد العالم؛ إنما يعتبر منفثاً جديداً ومرحلة جديدة في نضال الاشتراكية. كما أن بلوغه مستوى حركة دولية بتجاوز الحدود القومية والوطنية وحتى الطبقية، جعله يشكل تهديداً جدياً، ليس بالنسبة للاستعمار التركي فسحب، بل وللامبريالية أيضاً، ويصبح "شبحاً" يُطْبِق على أنفاس القوى المضادة للثورة. هذه هي الميزة

الأساسية التي لا تقدر الامبريالية ولا الاستعمار على تحملها في PKK. وخير مثال على ذلك هو الرد الذي أجابت به أنصارية ألمانية ملتحقة بصفوف جيش التحرير الشعبي الكردستاني ARGK على ذرى جبال كردستان حينما سألها مراسل قناة فضائية للتلفزيون الألماني "ألا تلاقون صعوبة في هذه الظروف من الحياة؟"، فأجابت قائلة "إن العلاقات الجامدة للإنسان الأوروبي أصعب بكثير من ظروف الحياة هنا بالنسبة لي".

لو تمحصنا جيداً في موضوع كيفية انتصار أو هزيمة الأطراف في الحروب المندلعة دون استثناء، سواء في التاريخ أو في حاضرنا؛ لاستطعنا ملاحظة كيفية حيازة النصر ونيله بشكل أفضل. فمن لا يتموقع حسب تكتيكات عدوه واستراتيجيته، ولا يتعمق يومياً على السبل المؤدية إلى النصر المؤكد، لن ينجو من الهزيمة النكراء إطلاقاً. ولأجل تأمين شروط النصر والنجاح، وتجفيف أرضية وأسباب الفشل والهزيمة؛ يتوجب خلق الإنسان الذي بمكنته لعب الدور المحدِّد في ذلك، أي إيجاد عامل الإنسان الاشتراكي المؤمن بقدرته على تحديد وجهة التطورات وتأمين ديمومتها وتحويلها إلى مكتسبات راسخة. أما التقنية فلا تثمر إلا في الأوساط التي يغيب فيها الإنسان القوي الحر. يمكننا الرد على سؤال "لماذا انهارت الاشتراكية المشيدة بينما استمر PKK في إحراز النجاح والنصر؟" بالنظر للأمور من هذا الإطار.

انعدمت إرادة الناس وآمالهم وعقائدهم ومعنوياتهم وقضي عليها في البلدان الغربية التي تطورت فيها التكنولوجيا بسرعة، وانهزمت مقابل التقنية التي يحتكرها الحكام في أيديهم. وهذا هو أحد الأسباب الرئيسية للفردية اللامحدودة واللامبالاة الشائعة تجاه مشاكل البشرية لدى الإنسان الغربي. فالتقنية المطورة من قبل الحكام هنا تتحكم في نمط الإنسان القائم وتجرده من إرادته بالإحكام عليه وأَسْرِهِ.

أما الاستعمار التركي فتقربه من الإنسان يتعدى بكثير ما هي عليه الحال في الدول الامبريالية في تحطيم شخصية الإنسان وقتلها. وما يسعى إليه اليوم على الأغلب هو تكريس شخصية الحرب الخاصة على وجه التمام. يذكر القائد العام لPKK، الرفيق عبد الله أوج آلان، في هذا الكتاب الذي بمتناول أيديكم أن الاستعمار التركي لا يكتفي بتهميش أدوار الناس، بل يعمد إلى تهشيشهم كلياً وتحويلهم إلى مجرد قردة مقلدين، ويحط من شأنهم بحيث يبيعون ذاتهم في سبيل ملء بطونهم الخاوية. أما الإنسان المنحط لهذه الدرجة والمتخبط في متاهات الانهيار الروحي؛ فلا يمكن رؤية أي مصطلح نبيل أو قيمة مقدسة في دنياه. والأنكى من ذلك أن

النماذج البشرية التي تعيش على هذا النحو كأموات منتصبين، يتم تشتيت عالمها وتضييق الخناق عليها والقضاء تماماً على حاضرها ومستقبلها. وفي نهاية المطاف تفتقر إلى الثقة بذاتها لأبعد الحدود وتروح تبحث على الدوام عن سيد تتبع له وتستسلم له وتعمل لأجله كي تُشبع بطونها الجائعة. وما الحرب الخاصة التي تفرضها تركيا على المجتمع سوى هذا بحد ذاته، بالتالي فهو مجزرة أخرى تطبقها الحرب الخاصة على الشعب.

يدل الاكتفاء برؤية المجازر التي تطبقها الامبريالية والاستعمار بالأساليب الفظة فقط، على عدم فهم الحقائق بكافة نواحيها. وبالأصل، فقد افتُضح أمر هذا الأسلوب واستجمع ردود فعل عنيفة مضادة له، ولم يعد يجدي نفعاً أو يثمر النتائج المتوخاة. المهم هنا التنبه إلى أساليب المجازر الخفية والدقيقة الخبيثة والمتطورة على أساس النتائج المستخلصة من فشل هذا الأسلوب الفظ البالي. ولو انتبهنا إلى كيفية قتل البشرية على هذا النحو الماكر والخبيث جداً، وكيفية التسلل إلى العقول والأفئدة وتخديرها وزرع اللامبالاة فيها؛ لأدركنا بشكل بديهي أن الاشتراكية هي شكل عقائدي ونمط حياة هامة، تماماً كما الماء والهواء والخبز.

يتجسد الهدف الأولي لنضال PKK في إبراز نمط الإنسان الجديد الذي سيؤسس الحياة الجديدة. تتجلى هذه السمة بشكل ملموس في الحرب المخاضة في أراضي كردستان، حيث تخاض الحرب لأجل الحياة، أو تبرز الحياة من خضم هذه الحرب. وعلى هذا الأساس تتحقق التطورات والمكتسبات والتجديدات الحاصلة. يصب PKK، وخاصة قيادته، أغلب جهوده على هذه الساحة أكثر من الاهتمام بالعدو الخارجي، ويقوم بتحليلاته المتتالية بموجب ذلك. لا شك في أن التعمق على هذه الساحة، أي في موضوع الإنسان الجديد والحياة الجديدة، هو في الوقت نفسه أفضل سبيل للصراع مع العدو الخارجي. ولو لم تؤمَّن استمرارية الكفاح الداخلي والطبقي على هذا المنوال، ولم تُحوَّل نتائجه إلى ظواهر ملموسة في شخصية الإنسان وحياته؛ لما كان بإمكان PKK التصدي للحرب الخاصة للاستعمار التركي أو تحدي مساعي الامبريالية في عمليات غسل الدماغ. لذا يعمد القائد العام لـPKK، الرفيق عبد الله أوج آلان، في الفترات الأخيرة إلى القيام بتحليلات شاملة بشأن نمط الرجل الجديد والمرأة الجديدة، أي الإنسان الجديد والحياة الجديدة، عبر بذله جهوداً دؤوبة وبوتيرة متسارعة وأساليب أكثر غنى وتنوعاً. إنه يشكل الشخصية التي ستحرز النصر المؤزر، تلك الشخصية التي يتطلبها نضالنا

التحرري الوطني. ولو مرت قرون عديدة، فستظل عملية بناء الإنسان الجديدة، والتجدد حسب المراحل، وتحقيق التحول والتغير شكلاً أساساً للنضال.

يقوم PKK بخلق الشخصية الاشتراكية التي "لا تكون مُلكاً لأحد، ولا تمتلك أحداً" وتتميز بإيمان وعقيدة راسخة ومعنويات مرتفعة، وتحقيق نضال الثورة الاشتراكية والإنسانية العظمى للشرق الأوسط، والتصعيد منه رغم كل العراقيل والقلاقل التي تزرعها الامبريالية والاستعمار وكل أنواع الرجعية، ويتقدم باستمرار بخطى واثقة تهز كل الدنيا في طريقه نحو إحراز النصر المظفر. ونجاحه هذا الذي لا يمكن كبح لجامه، هو انتصار للاشتراكية العلمية.

منشورات سرخبون

شباط ١٩٩٨

الاشتراكية هي المستقبل الوحيد للبشرية

لا شك، في أن مرتبة لينين أصبحت عملية كبرى في التاريخ باسم الكادحين. وتكمن خاصية الماركسية في ظهورها كثمرة من ثمار الظروف الرأسمالية الغالبة في روسيا، حيث بدأت الامبريالية أيضاً تتكون حديثاً كمرحلة عليا للرأسمالية وما تمخض عنها من فروزات طبقية نتيجة تطور شكل الإنتاج والاستعمار؛ وتكييفها للرأسمالية حسب الظروف السائدة آنذاك لتتحول بذلك إلى حزب عملياتي يغلب عليه الجانب الإرادي ويشكل عامل ضغط على النظام القائم. وتكمن قدرتها على تمزيق النظام من حلقة ما فيه، كونها التجربة الأولى، في أنها تمثل بداية بدائية للاشتراكية في مكان ما.

كل ثورة في الحقيقة تشبه نظيراتها نوعاً ما. من هنا يعد نموذج الحزب البلشفي مسؤولاً عن ذلك، وإلا فذكر أمور أخرى لن يجدي في إيضاح المسألة جيداً. فأسلوب الثورة الفرنسية – على سبيل المثال – في تطبيق الشدة لا يقل شأناً عما عليه في البلشفية. هذا إلى جانب أن العديد من الثورات البورجوازية تضمنت وحشية أشد درجة من حيث تطبيقها للشدة التي كانت متواجدة في العهد الإقطاعي وحتى العبودي.

إن هذا الانهيار لا يرجع إلى مفهوم الحزب اللينيني كما يعتقد البعض، من هنا لا يمكن إلقاء مسؤولية هذا الانهيار على نموذج الحزب البلشفي أيضاً. ومثلما يمكن تشييد اشتراكية مثلى عبر هذا النموذج الحزبي، فإنه يتحول إلى ضده أيضاً إن لم يمتلك القدرة على تأدية متطلبات ذلك.

يمكننا القول بكل سهولة وارتياح أن عهد كل من ماركس وأنجلز هو عهد أفضل علماء الاجتماع، أي العهد الذي تضمن أجود التعاريف والتعابير بشأن التطور العلمي للمجتمع. حيث لا يمكن مصادفة أية نظرية تعرّف المجتمع بهذا الشكل العلمي حتى ذاك الوقت. إنها تتضمن تقييمات بصدد الفلسفة والاشتراكية والاقتصاد، ولكن لأول مرة يتم بلوغ هذه المرتبة من المبدئية والتكامل في صياغة النظرية. أما لينين فقد أضاف لها النظرية

الثورية، أي الحقائق التي حددها بشأن السياسة وحزب الثورة الاشتراكية وتكتيكاتها. ونحن نقول بهذا الشأن أنه — دعك من انهيار الاشتراكية المشيدة — كان لا مفر للبلشفيين، حتى أثناء انهيار الدولة، أن يعتمدوا أساساً على الحيثيات المتبقية من هذه الدولة، بل وحتى عيشهم بمقتضى السياسات الاقتصادية الجديدة والاقتصاد الرأسمالي معاً بنسبة معينة؛ باعتبارها أول تجربة متحققة في ظروف تحاصرها فيها الامبريالية، ولم تتطور المبادرات الرأسمالية بعد بالشكل المطلوب، وبسبب غلبة تأثير الطبقة الإقطاعية والطبقة الوسطى، وفرض الهوية الروسية وجودَ خصائص صارمة وقاسية للغاية ضمن الكيان الاجتماعي الموجود. وفي هذا المضمار نجد الكثير مما قيل في انتقادات تروتسكي، التي أصبحت حديث الساعة ومحور الجدال الحار فيما بعد، بشأن مدى مسؤولية ممارسات ستالين عن هذا الانهيار. ولكن المسألة الأساسية ليست هذه، حسب اعتقادي.

الأعمال المتحققة على الصعيد الاقتصادي، أي بلوغ الشكل الاقتصادي المتخلف جداً إلى أكثر أشكال الاقتصاد الرأسمالي تقدماً، بل وحتى إبداء القدرة على تجاوزه أيضاً؛ ليس بأمر يستحق الانتقاد. بل إن الانهيار أيضاً لم ينبع من هنا، وحتى يمكن القول أن هذا الشكل الاقتصادي هو اقتصاد اشتراكي.

إننا نواجه هنا رأسمالية دولة متقدمة.

من المعروف أن رأسمالية الدولة هي أسلوب رأسمالي جماعي تلجأ إليه البلدان المتخلفة، وتطبقه بكثافة بهدف تحقيق تحولها الرأسمالي بسرعة. وما طُبِّق في تركيا أيضاً لا يختلف عن ذلك بشيء. ولا تزال رأسمالية الدولة تشكل القسم الأعظمي من اقتصاد روسيا اليوم، حيث يتفشى فيها تكاثر عدد الرأسماليين الخصوصيين طردياً مثلما هي الحال في كثير من البلدان الأخرى في العالم.

لو أننا طوَّرنا هذه الرأسمالية أكثر، هل كان سيعني ذلك تمثيل اشتراكية حسنة؟ كلا! حتى لو حولناها إلى اقتصاد تأميمي اشتراكي، هل كانت ستتأسس الاشتراكية بشكل تام؟ هذا أيضاً موضوع نقاش. تُرى، هل الاقتصاد الوحيد المؤدي إلى الاشتراكية هو رأسمالية الدولة؟ يمكن النقاش حول هذا أيضاً. هل هذا هو الاشتراكية بحد ذاتها؟ ثمة تساؤلات جمة، ولكن هل البنية التحتية الرأسمالية هي التي تحدِّد الاشتراكية بالأساس؟

ثمة حاجة لنماذج ليست غريبة عن الكدح

من الساطع تماماً أن الاشتراكية تعلن عن كل من يستهدف استعمار كدح الفرد واستغلاله بهذا الشكل أو ذاك، بأنه لص مختلس. ثمة نظرية تراكم رأس المال، وإذا لم يتم اقتسام رأس المال المتراكم في مكان ما على نحو صائب، يُعتبر نهباً واختلاساً. ولا يهم إن حصل هذا بيد الدولة أو أيادي خفية خاصة، بل الأمر الهام هنا تطوير الاقتسام بالترابط مع إنتاج الكدح وعطائه، وبالتناسب مع الكدح بهدف زيادة الإنتاج وتوزيعه في آن معاً، سواء كان هذا بيد الدولة أو التعاونيات أو بطرق أخرى. يمكن تجربة أشكال عدة لذلك، ويمكن أن يكون الاقتصاد الخاص أيضاً قريباً من الاشتراكية بقدر قرب الاقتصاد المؤمم العام تماماً. ويمكن أن يتواجد نموذج الاقتصاد المؤلف من زمرة من الأفراد وحتى الاقتصاد المؤمم العام ضمن النموذج الاشتراكي بقدر تواجد اقتصاد الجماعات أيضاً. من الضروري ألا نكون متزمتين أو صارمين في هذا الشأن.

لا يمكن أن يكون جَعلُ الكل عاملاً رأسمالية الدولة هو الاشتراكية. وليس امتلاك الأفراد لوسائل الإنتاج يعتبر رأسمالية في كل الظروف. أما امتلاك قطعة من الأرض مع الوسائل والأدوات اللازمة وتشغليها بالكدح، فيمكن بكل بساطة أن يكون الاشتراكية.

لا يعد تأميم وسائل الإنتاج اشتراكية.

بل وحتى أننا رأينا في مثال روسيا كيف أدى احتكارها من قبل زمرة بيروقراطية ضيقة للغاية إلى تشكيل طبقة برجوازية جديدة. لذا فهو أمر خطير، بل وقد يكون أخطر من الرأسمالية الخاصة أيضاً. إلى جانب هذا أفكر في أنه قد يكون تكوين المجموعات من عدة أفراد حسب جهودهم، وامتلاك المجموعات الأقل عدداً لوسائل الإنتاج؛ أمراً ممكناً أكثر في الاشتراكية.

من المعروف أن الاشتراكية لا تعنى بالإنتاج فحسب، بل ترتبط وسائل الإنتاج فيها بالمحصول أيضاً وبعلاقة وثيقة.

لِمَ لا يتطور توزيع الإنتاج على نحو مماثل لتوزيع وسائل الإنتاج؟

إن امتلاك المحاصيل ووسائل الإنتاج معاً قد يكون اشتراكية بالطبع، المهم هنا تحديد المستوى الأوسط والأمثل للإنتاج. فإن تواجدت وحدة مؤلفة من عشرة أشخاص على سبيل المثال، وكان مجموع كدحهم الموحد ينم عن محصول منتج مع وجود وسائل إنتاجية كافية لذلك؛ يمكن اعتبارها وحدة اشتراكية. فالأدوات ملك لهم، وكذلك المحاصيل، وستطرأ عليها التغيرات أيضاً من خلال تعاملها مع الوحدات الأخرى.

إن التركيز على مثل هذه الأنماط سيسلط الضوء أكثر على ماهية الاقتصاد الاشتراكي حسب اعتقادي، أما القول" لنجعل الأرض ملكاً للدولة ثم نتقاسمها، لنجعل أدوات الإنتاج ملكاً للدولة ثم نتقاسمها"، ومثلما توضح في الأمثلة الملموسة على أرض الواقع؛ يؤول إلى نتائج خطيرة للغاية. لذا يستلزم إيجاد نماذج تكون خبيرة في استخدام بعض أدوات الإنتاج، وتهتم برفع نسبة عطائها بالتأكيد، ومرتبطة بالكدح عن كثب؛ كبديل ينوب عن النماذج الأخرى.

يكمن السبب الأصلي لعدم تطبيق الاشتراكية الحقيقية في اغتراب الحزب ومن ثم الدولة في هذا المضمار. إذ، وبعد حصول تراكم ملحوظ في البنية التحتية وتحقيقه تحولاً اجتماعياً وانتشاره، يتحول بعدئذ – بلا مناص– إلى ايديولوجية حزبية وبيروقراطية عقيمة للدولة، أو أنه سيمتلك مدخراً مكثفاً جداً يتحول بدوره إلى طبقة رأسمالية عليا جديدة. وهذا ما كان بالفعل.

لافتقار الإنتاج والتقسيم للكدح، وبالتالي خلوهما من التعبير الديمقراطي للكدح، وبتحول القوة البيروقراطية في الحزب والمتمركزة في قبضة حفنة قليلة جداً إلى سلطة مطلقة في الدولة؛ آل الأمر إلى ظهور بورجوازية جماعية في أعلى المستويات إلى جانب تحول النظام السوفيتي كلياً إلى نظام عمالي. ولم يكن هناك أي جهاز يقوم بالإشراف على تلك الطبقة البورجوازية. ومع الزمن تدنت الأيديولوجية الاشتراكية والسياسة والاشتراكية والديمقراطية

الاشتراكية إلى مستوى أكثر تخلفاً حتى من المعايير البورجوازية للرأسمالية – الامبريالية، أو أنها انزلقت في وضع يكاد يكون عقيماً وقاصراً.

أدى الخطر الامبريالي الخارجي، والاهتمام الداخلي الغالب بالاقتصاد البحت، وبالتالي الانشغال بتشغيل الأفراد فقط دون تطوير قيمهم الديمقراطية أو المعنوية، وافتقار الجمعيات والنقابات وحتى الشبكات الأخرى التابعة للدولة لفاعليتها ونشاطها كلياً؛ أدى إلى التفسخ والاهتراء وتفشي البيروقراطية ومعها البورجوازية بأخطر أشكالها وأكثرها تطفلاً وتبذيراً. ذلك أن الرأسماليين الخصوصيين يتشبثون بالعمل الذي يقومون به، وتهمهم نتائجه كثيراً. ولكننا هنا لا نجد حتى هذا الأمر، بل هناك – فقط وفقط– الوصول إلى المنصب وامتلاك الصلاحية والاستيلاء على القيم المدّخرة والتصرف بها. هكذا كان التنافس، وهذا ما حصل.

مع الزمن سقطت كل مبادئ الاشتراكية من العيون، وأصبحت الدولة آلة تخدم مصالح حفنة من البيروقراطيين المتمركزين فيها. ولم يتم سد الطريق أمام اغتراب الكدح والكادحين، ولا أخذ الأممية والثورات المتحققة بالحسبان، ولم يبقَ سوى "مصالح السوفييت". وما مصالح السوفييت سوى مصالح حفنة بيروقراطية حزبية أو زمرة إدارية احتكارية معدودة تقوم اليوم على اقتسام رأس المال هذا فيما بينها. يبذر البيروقراطيون هذا المدخر العظيم ويستهلكونه بأعلى درجات التطفل والمياعة والانحلال.

يمكنني ذكر أمثلة ضاربة للنظر مع الأخذ بعين الاعتبار التجربة التي خضناها. أياً كان التقييم بصدد ماهية PKK فليكن، كل حزب هو في نهاية المطاف حركة كدح. ذلك أن بعض الأشخاص تتجمع قواهم الفكرية وتتحول إلى عملية سواء باسم هذه الطبقة أو تلك، أو باسم وطن ما أو أقلية ما.

على سبيل المثال، لو حقق ثورةً باسم البورجوازيين فهو حزب منتج، ويتم السمو به من قبل طبقته إلى السموات العليا ليلعب دوره التاريخي. وثمة أعداد جمة من أحزاب كهذه، إلا أن البعض منها تحول إلى حفنة ضيقة من السماسرة المنفعيين قبل أن يخدم تناقضاته الطبقية لحلها وقبل أن يصل بالثورة إلى النصر، ليضمحل بعدها بشكل يبعث على الأسى.

لا ريب، في أن حزب الكدح مختلف كثيراً، خاصة إذا كان يتشكل في واقع مثل كردستان، حيث يعمه الحرمان الوطني والاجتماعي بنسبة بالغة. وإذا كنت لا تريد تشويه ماهيته الكادحة، بل ومضطراً للحفاظ على حياته تماماً كما تسقي نبتة كل يومين مرة؛ فلا مفر حينها من الاعتناء به بنفس الدرجة، وإلا سيفلت زمامه من اليد ليتحول إلى كيان مناهض لك. إنها قاعدة عامة.

طُرح مصطلح "جهاد النفس" العظيم في الثورة الإسلامية بهدف حمايتها من الاهتراء. فضلاً عن وجود المستشارين للأولياء ورجال الدين، وكذلك من يقضي كل عمره في الزهد يتخبط في العذاب والآلام.

وهذا معناه التحلي بالصفاء الأيديولوجي. وإذا كانت هكذا ثورات قد حافظت على تأثيرها إلى يومنا الراهن، فإن ذلك يعود إلى سلوكها أساليب كهذه. كانت هناك مراكز أيديولوجية عديدة كهذه خارج نطاق الدولة، وهي التي قامت بالثورة الإيرانية، ولا تزال العديد منها تلعب دورها بكل سهولة في تحديد منحى الكثير من الثورات لديها. إنها الأماكن التي يحصل فيها الصفاء الأيديولوجي، وهي لا تأبه بثروات وأملاك الحياة الدنيا، بل تحيا على الدوام حسب مبادئ معينة. وهي نماذج منتشرة بكثرة في الديانة المسيحية. لكن مثل هذه المؤسسات لم تتطور في الاشتراكية، بل انحصر كل شيء داخل الحزب لتتحكم فيه حفنة قليلة جداً مع مضي الزمن.

لأجل ذلك قُتِلَت الأيديولوجية.

ذلك أنه عندما يسخر كل شيء في خدمة السياسات الاقتصادية اللازمة لوقت محدود ما، تغيب حينها المبادئ والقواعد. حتى في الإسلام نجد هناك رجال الدين عدا عن المعنيين بأمور الدولة. لكننا لا نرى نماذج كهذه في التجربة السوفييتية، وسادت حال أصبح فيها توجيه نقد مغاير يعد جرماً كبيراً يعاقب على نحو أكثر إجحافاً مما هي الحال في العصور الوسطى. أما النقاشات الأيديولوجية فتكاد تكون معدومة فيها لدرجة تكون أكثر تخلفاً حتى من النقاشات المذهبية التي كانت سائدة في العصور الوسطى. وهذا بالطبع أمر مناقض لطبيعة الإنسان. إذا كانت الرأسمالية لا تزال تحافظ على تفوقها فالفضل في ذلك يعود أساساً إلى "الديمقراطية" التي طورتها. على سبيل المثال، طورت الرأسماليةُ الفاشيةَ، لكنها لم تعتمد عليها أساساً ولم تربط نفسها بها، حتى أنه لم يكن للرأسمالية أن تجد فرصة الحياة كثيراً تحت اسم تطبيق الفاشية، لكنها تعد – أي الفاشية – مرحلة تاريخية خاصة،

ظهرت إلى الوسط لتخدم أهدافا معينة خاصة، ومن ثم تم تجاوزها وتخطيها. ورغم الحد من الديمقراطية البورجوازية فيها، لكنها كانت تتميز بمقاييس معينة أنعشت الرأسمالية وأحيتها.

أما دواعي ذلك فتكمن في أنها تصغي ولو قليلاً للكادحين، وتمنح مختلف الطبقات والمجموعات والشرائح الحق في التعبير عن ذاتها. وهذا بدوره يؤدي إلى التنافس فيما بينها، وبالتالي إحياء النظام وإنعاشه. لم يحصل هذا في الاشتراكية، بل وحتى لم يتم التفكير البتة بالديمقراطية الاشتراكية أو الرقابة الاشتراكية، مع أنه كان من الحري على الاشتراكية أن تطور الديمقراطية أكثر من الرأسمالية.

ما هي الديمقراطية؟

هي مستوى تعبير الشعب عن ذاته في الفكر والسياسة من خلال المؤسسات المتخلفة. كان من الواجب أن تتعدى هذه المؤسسات الحزب بكل معنى الكلمة في كل النقاط التي تطرقنا إليها، بل وحتى أن تكون منافية له. ذلك أن الحزب في الاشتراكية العلمية هو أداة يجب تخطيها بعد مرحلة معينة. وأياً كانت زاوية نظرنا إلى الأمور فلتكن، لا يمكن القبول البتة بتطوير الدولة لهذه الدرجة في النظرية الاشتراكية.

إن تسرب الدولة إلى كل الأماكن بحيث تكاد لا تنجو منها أية خلية في الدولة السوفييتية، هو اغتراب جدي وانحراف خطير للغاية. كما أن تعزز الحزب بهذا القدر هو بحد ذاته رفض للنظرية الاشتراكية، وبالتالي رفض للديمقراطية الاشتراكية. تصوروا أن الناس لم يعد يشغلهم شاغل سوى المِعِدَة والطعام، ولم يبقَ أمامهم سوى النظر إلى العالم بمنظار "الأبيض أو الأسود". لقد غابت التعددية اللونية، وانعدم الأمل وزالت الرقابة والمنافسة. وهذا ما يسفر بدوره عن شل القدرة على العمل. والنهاية هي الانهيار.

نعم للجماعية، نعم للعمل على أساس الإرادة المشتركة، ولكن ثمة المبادرة الفردية ومبادرة المجموعات بنفس القدر؛ وإلا فالكلام من البَوق والقول "نَمْ واستيقظْ" أو "اصمتْ" أمر غير ممكن. من المؤكد أنه لم يؤخذ هذا بعين الاعتبار ولم يتم النجاح فيه. بل طُلبت الطاعة العمياء على الدوام بالقول "امتثل لأوامر الدولة بالتأكيد! لاتنبس ببنت شفة تجاهها! المواطن الأفضل هو الأكثر تبعية لدولته سواء كانت مصيبة أم مخطئة!". واتُّبعت

سياسات مناقضة لمصالح الشعوب والكادحين لدرجة لا يستهان بها، ولكن تم الخنوع لها كلياً. ثمة أيديولوجية قانونية هنا، والمجتمع الذي يعيش حالة كهذه لا يمكن أن يكون اشتراكياً البتة.

يمكن القول أن لينين شخصية اشتراكية بارزة، أي شخصية متطورة، وإن لم يكن بالمستوى المطلوب تماماً.

يتميز القواد، وحتى كيان "المرشدين" بأهمية عظمى في الأديان. ففي حال غياب "المرشد، بير" لا يمكن التحكم في زمام "الجماعة". "كل ما يفعله الإمام تقوم به الجماعة". ثمة أمر كهذا أيضاً حسب رأيي، فـ"ستالين" منفذ صارم للغاية، وشخصية تتحرك حسب الحقائق العامة دون التدقيق في تفاصيلها. في الحقيقة إنه شخصية لم يُدرَك تماماً مدى وعيها للأسس الاشتراكية وتحليلها لذاتها وتخلصها من الخصائص الإقطاعية.

ومن ناحية أخرى يجب عدم انتظار موقف آخر من ستالين في تلك الظروف، ذلك أنه لم يستطع التركيز على الديمقراطية الاشتراكية. بل حتى أنه رأى كل ذلك رفاهاً وبذخاً ليس إلا، بما فيه ما تم تطبيقه في عهد لينين. ولم يتمكن من توحيد الآراء والأصوات المتغايرة المتأتية من كل صوب وحدب ضمن التناسق والانسجام الموجود في الديمقراطية الاشتراكية. بل واجهها بالقول "اصمتْ!". قد يكون ذلك مجرد تكتيك في بداية الأمر مثلما كانت حال الكثير من المبادرات التي قام بها ستالين بادئ ذي بدء، ولكنها تحولت فيما بعد إلى مبادئ راسخة لم يقدر الخروج من تحت وطأتها. هكذا بدأ الارتخاء واللامبالاة. ثمة أقوال حكيمة بالفعل لدى لينين، لكنها تقضي على الاتفاقيات السرية، حيث صرح فيها عن ضرورة تمزيق كل الوسائل المتحكمة بإرادة الإنسان، وعمل بموجب ذلك أيضاً. إذ كسر طوق الضغط المطبق على الشعوب، واعترف بالحرية للبؤساء. وبقيت تعاليمه مفتوحة لذلك لأبعد الحدود، حيث أبدى ذلك في ممارسته العملية بنسبة هامة ونجح فيه. لكنه لم يقدر على مأسسته أو تحقيق تَدَوُّله بموجب الديمقراطية. وبمعنى آخر، لم يستطع تكوين دولته على أساس ديمقراطي. في الحقيقة، نرى أن الديمقراطية هي الدولة بحد ذاتها في تصريحات لينين.

شخصية مفكرة ومقررة، لا عبدة ومصطنعة

كردستان على سبيل المثال وطن متخلف جداً. يمكنني رؤية كل ذلك والتنبه له لأنه وطن عانى من أكثر أنواع الإقطاعية وحتى العشائرية تخلفاً، وأكثر أنواع التحول الرأسمالي رجعية، وأصبح مستعمَرة شارفت على حدود أخطر أنواع المجازر.

مثلا، طرحنا مصطلحاً أسميناه بـ"التأثيرات الكمالية". هذا فضلاً عن مصطلحات أخرى طالما نستعملها في أحاديثنا من قبيل "التأثيرات العشائرية والآغاوية". وقد عمقتُ هذا الأمر لدرجة يقال لها في الماركسية التطبيق العملي لأبعد الحدود على الصعيد النفسي. لقد شعرت بالحاجة الماسة لتطبيق الأسلوب النفسي الاشتراكي بأعمق الأشكال، ذلك أنه إن لم تستطع حل مسألة الكوادر الاشتراكيين فقد تتحول إلى نقيضك على حين غرة حتى ولو أحرزت النصر أو طورت عملية سياسية أو عسكرية محدودة جداً. إن لم تتوقف على مسألة المناضل الاشتراكي يومياً، بإمكان ذاك الشخص عندئذ أن يحول حزباً عظيماً إلى أداة إقطاعية صارمة مجحفة في طرفة عين.

ثمة عدد كبير من الأفراد والنماذج المنتمية لعائلات أرستقراطية مستهلكة مبتورة عن أرضها في كردستان. تربي العائلة أولادها حسب مقولة "فليكبر ابني وليصبح باشا". وهذا الأمر صحيح حتى بالنسبة لأشد العائلات فقراً وبؤساً، لأنه يعتبر مثالاً معمولاً به حسب الأصول العشائرية. وإذا لم نقم نحن بتحليل هذا الفرد وتربيته عبر أساليب مناسبة، فسيكون أول عمل يقوم به هو ما نراه في مثال الغجري الذي أعدم أباه أولاً عندما أصبح باشا. وإذا حاز على القوة والصلاحية والنفوذ، فإنه يَعتَبِر تصفية كل من يوجه انتقاداً له، مهما كان بسيطاً، والقضاء عليه مبدأ مطلقاً.

تقوم الكمالية بذلك في تركيا على نحو مختلف، وتعد مثالاً آخر عليه. وما تبقى من الأمر عندئذ هو الدخول بسرعة ملحوظة في وضعية تشبه حشداً من العبيد المتفسخين المائعين والخانعين الذليلين الفارغي المضمون. لدينا أيضاً نرى أن كل سنة لا تخلو من التصفيات، فنقوم مقابلها بالمداخلات، وهذا ما يطور من PKK. فلولاي سيقول الجميع "كان سيضغط علينا، وحتى سيعاقبنا أشد عقاب". والآخرون قد اصبحوا عبيداً خانعين بنسبة ٧٥ % منهم. وباعتبار أن التنظيم المقابل لهم يتميز بقدرة كبيرة على تسيير الحرب الخاصة على مستويات متقدمة جداً، فهم لا يستطيعون الصمود أمامه لأشهر معدودة على الأغلب. أما فيما بينهم فيتفشى التفسخ والاهتراء. ولا يوجد شيء ملحوظ من قبيل الأفق السياسي أو الثقافة الديمقراطية لديهم. لذا فكل واحد منهم أناني أعمى، وكأنه يقول "الموت لكل من لا يحبني". إنه يسعى لتحقيق الحب أيضاً بالعنف. وهو لا يتحلى بإبداع ملحوظ، وكل ما يمكنه فعله هو الاستيلاء على القيم المتمخضة عن هذا التاريخ الطويل للحزب، والمعتمد على كدح الملايين من الناس، وذلك بأساليب مروعة كاسحة. أما الذين يشكلون حجرة عثرة تعترض طريقه، فيجنح إلى القضاء عليهم بأساليب تآمرية تخدم مصالحه للوصول بذاته بعد مدة جد وجيزة إلى وضع الحاكم المطلق المتربع على كدح الملايين.

وما هذا؟ إنه لا يمكن أن يكون سوى استبداداً إقطاعياً مجحفاً نظراً لوضع الشخصية ذاتها، والتي لا يمكن أن تصبح حتى زعيمة رأسمالية أو بورجوازية سياسية. ولأجل ذلك فهي شخصية متخلفة، غير قادرة على أن تكون ديمقراطية بورجوازية على الإطلاق، ولا حتى ديمقراطية قروية. ولِمَ أصبحت هكذا؟ هل هي عميلة ذاتية واعية؟ أياً كانت الزاوية التي تنظر منها فالجواب هو، كلا! هل هي عميلة تابعة للاستعمار؟ كلا! هكذا ترعرعت هذه الشخصية منذ السابعة من عمرها، وهكذا كبرت. ما حُرِمَت منه ضمن العائلة، وما افتقرت إليه داخل المجتمع من نفوذ واعتبار، تعمل على تحقيقه داخل صفوف الحزب.

إذن، ما تحقق في الحزب البلشفي ليس إلا هذا الأمر. ويمكنني تسمية ذلك بمثال "ستالين الصغير". كانت هذه حقيقة معاشة بكثرة على الصعيد العالمي، ولم يتم النجاح في تحقيق مرحلة ناجحة تجاهها. كيفما نظرنا إلى الأمور سنجد أن هذه الشخصيات قد اقتاتت على بعضها. وكان يطلق على الحزب البلشفي اسم "حزب التمردات الازدواجية" في عهد ستالين. فهو يصفق بحرارة ظاهرياً، ولكنه مضموناً متضايق وغير مرتاح. وقد ظهر

ذلك جلياً وبكثرة لدى تشاوشيسكي أيضاً. في الحقيقة، من الصواب تسمية مثل هذا النموذج بـ"النموذج المنافق". وإذا ما دخل في ضائقة أو معضلة، فإنه يقوم بالخيانة لأبعد الحدود... إن هذا أمر هام. وإني أحاول تطبيق ذلك على مثالي أيضاً. هكذا هي النسبة الكبرى من الروابط.

إنني أرفض بحدّة ارتباطاً كهذا. كلهم صادقون، ولا يرتبطون بي في سبيل النفاق أو الازدواجية، إلا أن شخصياتهم لا تتحمل أواصر أبعد من ذلك. وكم سيكون مدى قيمة الارتباط لدى القروي! إنه يعيش ذاته بنسبة ٩٠ %، بينما يمنح ١٠% من حياته لأجل أمه إن وجدت أو ربه إن وجد. ولكنه في الأساس يتميز بحبه لذاته على أساس مُلْكه المحدود. إنها ليست اشتراكية، بل هو نمط ارتباط البورجوازية الصغيرة، والذي قد يتغير في كل لحظة. قد يمدح ربه أو يخونه أيضاً، وهذا ما يفعله.

وهنا يعد الأسلوب الذي طبقتُه أنا عبارة عن حلول تهدف لتجاوز هذه الشخصية. فالإجراءات المستهدفة لتكريس الاشتراكية في الحزب ستعمق الحرية وتعززها. عليك خلق شخصية واقعية، شخصية مفكرة ومقررة، لا مصطنعة وعبدة. بحيث ألا تكون أنانية وفردية لحد كبير، ولا تكون عبدة ذليلة، ولا تستنكر ذاتها كلياً، ولا تعتبر نفسها كل شيء.

أرى الحل في هذه النقطة، وهي ليست ممارسة سهلة. وربما كانت نسبة تسعين بالمائلة من جهودي تصرف في هذا المضمار، بينما الجهود التي بذلتها في المحاربة العلنية ضد النظام التركي فقليلة لدرجة تكاد تكون معدومة. ومن جانب آخر لولا وجود هذه الماهية الكادرية لكان PKK قد انتهى.

قد يتحول الجيش إلى طبقة استعمارية حاكمة إذا ما استمر في وجوده

النضال الاشتراكي هو في نفس الوقت نضال تجاه الحيوانية المتفشية في المرحلة الامبريالية.

أيّ غول قتل أبناء جنسه من الناس لهذه الدرجة؟

إنه وحش كاسر، ولا يوجد أي جانب آخر يمكن توضيحه في هذا المجال. إنها أفظع حيوانية. وإذا كنا نتطلع إلى تطوير النضال الاجتماعي والاشتراكي، فعلينا بلا ريب التصدي لمثل هذه الحيوانية والوحشية. وقد كان الأمر كذلك في كل الأديان أيضاً فالدين المسيحي والإسلامي وغيرهما من الأديان الأخرى، جميعها ناضلت مستهدفة تحقيق ذلك بحد ذاته، وتحدت على الدوام الظالم ومصاص الدماء والغاشم الغدار والنصاب.

وما الاشتراكية سوى الشكل الأوسع نطاقاً لذلك. أما الحزب الاشتراكي فليس إلا الجهاز المطبق لذلك أكثر من غيره. لا أستطيع تطبيق ذلك لوحدي، ولا عن طريق مجموعة محدودة، لكنني أستطيع فعله من خلال حزب متطور رفيع المستوى. وإن استلزم الأمرُ الدولةَ فبإمكاني فعل ذلك بها. وإن كان ثمة جانب يمكن الدفاع عنه في الدولة، فهو ليس إلا لأجل الصراع ضد الفردية وأصحاب النفوذ المختل. وعدا ذلك لا يمكن الدفاع عن الدولة بأي شكل من الأشكال. وقد تجلى ذلك في النظرية الاشتراكية التي تقول "إن كان الساحق والمستعمِر لا يزال قائماً، فالجأ إلى العنف". وعدا ذلك لا معنى إطلاقاً لمنطق العنف. إنني في حيرة لِمَ كل هذا الكم من الجيوش؟ قد تكون الجيوش ضرورية لنيل نصر ما، ولكن بعد ذلك عليك بعثرتها. هاقد ربحت، فلماذا تحتفظ بالجيش بعد؟

قد يتحول الجيش إلى طبقة استعمارية حاكمة إذا استمر وجوده باعتباره وسيلة خاصة تتضمن داخلها هذا الخطر. إن الحفاظ على الشعب في وضعية تمكِّنه من التجيش في كل لحظة، هو التدبير الأمثل والأكثر تأثيراً تجاه ممارسات الاستعماريين الغاشمين.

فمثلاً، اعمل فوراً على بعثرة كل من الجيش والبيروقراطية والاستخبارات الخاصة، وانزع إلى تعزيز الشعب والفرد. قد تقولون "ثمة مخاطر". إذاً ما عليك سوى تقوية أفرادك لدرجة، إذا ما قلت لهم "دافعوا عن وطن الشعب" بإمكانهم الاعتماد أساساً على القوة الدفاعية تلك. فأولئك الناس باستطاعتهم الدفاع عن الوطن والكدح أكثر بكثير من أجهزة الجيش والبيروقراطية الواثقة من ذاتها والذائعة الصيت. لم يحدث ذلك في السوفييتات، بل كثرت الأجهزة الخاصة من قبيل الاستخبارات "KGB" والجيش الأحمر والبيروقراطية السوفييتية. أما الآن فهاهم يقولون "الجيش الأحمر بلاء". حتى رواسبه تعد بلاءً. من البديهي أنه سيؤول إلى ذلك، لأنه ينافي النظام. الأمر مختلف بالنسبة للبورجوازيين والاقطاعيين لأنهم جبناء. وباعتبارهم يلجؤون إلى الاستعمار دوماً، ويطبقون القمع

والقهر يومياً، فهم بحاجة لتنظيم قمعي يومي. أما الاشتراكيون فلا حاجة لهم بذلك. وإذا كان ثمة زعيم اشتراكي ينزع على الدوام إلى تعزيز مثل هذه الأجهزة باستمرار، يجب الخوف منه والتشكك فيه لأنه يناقض النظرية الاشتراكية.

ولكن، ألن يحصل الدفاع؟ سيحصل، ولكن ليس على شكل مؤسسات خاصة. أي عليك ألاَّ تضع ذلك في قبضة القواد الخصوصيين. وإذا ما فعلت، سيحصل مثلما يحصل لدينا لدى المستولين على الصلاحيات من المناضلين الجدد.

الموديل الأمثل الذي ارتأيته هو خلق وضع يقول فيه الجميع "PKK لي" ولا يقول أحد ذلك في نفس الوقت. إن PKK لك كلياً، ولكن PKK برمته لي أيضاً، وفي نفس الوقت لا أملك أي شيء. إن ذلك يعني عدم النظر إلى PKK كجهاز خاص.

وإذا ما مُنحتَ صلاحية ما من قبيل "قم بالثورة بهذا القدر في هذا المنطقة" و"حقق ذاك النصر خلال ستة أشهر هناك"؛ فهذا لا يعني صلاحية "تأسيس إمارة"، ولم يُمنح جهاز الحزب لك لتقوم بذلك. إن مفهوم الصلاحية يجب أن يكون على هذا المنوال في الاشتراكية حسب اعتقادي. ولكن ما حصل هو تشغيل أداة تنظيمية معينة مقابل وظيفة معينة يجب تأديتها، وتعيين القائم عليها مع تحديد الوظيفة. على سبيل المثال، إذا ما منحت المؤسسة السكرتارية كوظيفة مؤبدة لشخص ما ينتهي الأمر هنا وينقضي. فالسكرتير الثابت، والوسائل الثابتة التي لا تتغير هي عوامل مؤثرة في نموذج الطبقات الاستعمارية والحاكمة بلا شك. وقد تحقق هذا بكل أسف في الاشتراكية المشيدة واستمر في وجوده. وما يتوجب عمله هو تجاوز هذا الوضع، وهو ليس بالأمر المستحيل.

وإذا تمعنا في تجارب الشعوب سنرى أنها ليست مرتبطة كثيراً بأدوات خاصة كهذه. فالشعوب لا ترى حاجة للتسلح مثلما يفعل الحكام، اللهم إلا إذا ما تحكَّم فيها الظالمون والمستبدون المستعمرون. إنها لا ترى داعياً لبناء وسائل خاصة أو تأسيس تنظيمات خاصة أو منظومات سرية. من الذي يبني التنظيمات السرية؟ من الذي يعنى بالوسائل القمعية الخاصة؟ أليس هناك مقولة مفادها "الدودة الخائنة"؟ أي أنها أمور تهم الجبناء الذين يخافون

ظلالهم، ذلك أنهم يظلمون الغير. وهم قلة قليلة وأعداؤهم كثر. لماذا؟ لأنهم خلقوا الأعداء لأنفسهم. الإنسان الاشتراكي لا ينزع إلى ذلك ولا يرى داعياً لحماية ذاته من الشعب.

لا يمكن لأحد الادعاء بأن تطوير هذا الكم من الأجهزة الجيشية والبيروقراطية في التجربة السوفييتية، هي فقط لحماية الذات من الإمبريالية الامريكية. كلا لقد أُسِّست تجاه مجتمعاتها بنسبة ٩٠%، ذلك أن كل هذه الكيانات كانت مخفية عن أنظار المجتمع السوفييتي. وقد انفصل التنظيم الاستخباراتي عن الجيش بشكل بارز. والمحصلة هي الاهتراء والتفسخ والمياعة... كل هذه الأمور خاطئة.

إننا نطور PKK كنموذج أمثل حتى في ظروف سيادة الإمبريالية، ولا نتحرك إطلاقاً حسب الأساليب التي طبقها نموذج الاشتراكية المشيدة، وإذا ما فعلنا ذلك فمن المستحيل أن نصمد طويلاً. الحل الوحيد الذي ارتأيته هو تقوية الفرد أيديولوجياً وكمناضل. ذلك أن أغلب الأموال هي بيد الرأسماليين الذين لا يمنحون سوى الفردية. وهنا بالذات عليك خلق موديل يتفوق حتى على المال والفردية، وقد برهن PKK على ذلك للمجتمع الكردي والكردستاني. لم تَدُرّ التعصبية القومية ولا شتى الأساليب الإقطاعية بأي نفع على الشعب الكردي، أما نموذج PKK فمنحه الوحدة ومدّه بالمعنويات، وخلق الإنسان القوي والشجاع فيه. وهنا يكمن لغز قوة PKK.

يقال بـ"الأكثرية" بينما أنا أنادي عوضاً عنها بـ"خلق المستوى المؤسساتي الضروري جداً للمجتمع". إذ من الضروري أن تتواجد المؤسسة الأيديولوجية والمعنوياتية. ما هي المؤسسة الأيديولوجية المعنوياتية؟ أياً كانت التسمية التي نطلقها عليها إلا أنها مؤسسة معنية بتطوير القيم الأساسية في المجتمع والإشراف عليها. وثمة نظام أسسناه على هذا الأساس وأوصلناه إلى النجاح والنصر، وما عليك سوى مأسسته. ويمكن أن يكون ذلك كهيئة دفاعية ثانية على سبيل المثال. لننتبه هنا، فالهيئة الدفاعية تلك ليست جيشاً، بل يمكن تأسيسها من عدد قليل من الأفراد الخبراء المهرة. ويمكن لهيئة مؤلفة من أربعين إلى خمسين فرداً أن تشرف على الدفاع باستمرار.

مثلاً، لا تجمع الجيش إن دعت الحاجة خلال أربع وعشرين ساعة، ولكن هناك هيئة دفاعية لا غير، لا جيش، ولا أداة خاصة. إذن يمكن تواجد هيئة اقتصادية أو أخرى معنية بالثقافة أو البيئة، إلا أنها هيئات فعالة حقيقية. ولو انتبهنا للأمر لوجدنا أنه لا توجد هنا دولة بمعناها الكلاسيكي، أي على نحو تحتكر به كماً كبيراً من

الصلاحيات ورأس المال. عليك بالتأكيد ألا تمنحها قوة زائدة أو رأس مال زائد أو عدداً زائداً من الأشخاص، وإنما ستمدها بمقدار من النقود يمكّنها من الإبداع وإعالة ذاتها، وستزودها بالكم اللازم من الأعضاء لا غير بحيث إذا ما حاول أحدٌ ترسيخ الديكتاتورية فلن يكون بمقداره ذلك لافتقاره إلى القدرة على ذلك. الهيئة الدفاعية مؤلفة من أربعين إلى خمسين شخصاً، ولا يمكنها إحداث أي انقلاب أو إلحاق أي ضربة. كذلك الأمر بالنسبة لمؤسسة المعنويات، فقوتها محدودة ومتوازنة في داخلها. هذه هي الأكثرية أو ما نسميه بالديمقرطية الاشتراكية. في الحقيقة يستلزم تسميتها بـ"الرقابة الاشتراكية" إن سيادة الذهنية الأحادية نيابة عن الميول المختلفة والمتمايزة، أمر خطأ. فالطبيعة ظاهرة معقدة متشابكة، إلا أن طبيعة الإنسان أكثر تعقيداً وتشابكاً.

إنني على ثقة تامة بأن الرقابة والتنافس وحرية الفكر والتجمع ممكنة في الاشتراكية أكثر مما عليه في الرأسمالية بالطبع. وقد تواجدت هذه المؤسسات كضمان أمان للشعوب لا غير. كما دعت الحاجة إليها كي يتمتع الفرد بالمبادرة والإبداع. وإلا فما عليك سوى" الامتثال لكل ما يأمر به المرشد". كلا! فإن زادت القوة عن حدها ساد التعصب الديني الأعمى. هذا أيضاً تمت موازنته. عليك تطوير الموديل بحيث تكون المؤسسات متحلية بمزايا تطور الفرد وتفتح المجال أمام مبادرته، لا كابتة لها وقامعة إياها. هكذا فقط يمكن للديمقراطية الاشتراكية أن تتطور.

كذلك بهذا الموديل يمكن تخطي الرأسمالية. فأكبر وحش كاسح في يومنا هو الرأسمالية، وقد ضخّمت التناقضات الموجودة في المجتمع بما فيه الكفاية.

ثمة هوة شاسعة بين المجتمع والطبيعة

خرج التناقض اليوم من داخل المجتمع ليتحول إلى تناقض مع الطبيعة، وهذا أخطر ما في الأمر. كما خرج من كونه تناقضاً بين الطبقات فحسب، إذ وجَّهته الرأسمالية إلى المجتمع برمته، وإلى الطبيعة بأسرها. لا يكتفي الوحش بتكريس الفرز الطبقي والاستعمار، بل يدمر الطبيعة أيضاً. وقد ثقب الأرض والسماء أيضاً بحيث يكاد ينقلب التوازن الطبيعي رأساً على عقب ويشرف المجتمع على حافة الفناء. كل أطرافه أصبحت إسمنتية، ولم يبق مكان يمكن العيش فيه. أما الانفجار السكاني فقد ينمُّ عن حالة قد لا تسع فيها الأرض للسكان. كما تظهر للوسط أمراض وآفات جديدة غريبة وعجيبة تهدد الإنسانية جمعاء. هذه كلها تناقضات تمخضت عن الوحش الرأسمالي.

لقد انزلقت التناقضات ودخلت في أشكال أكثر تطرفاً مما كانت عليه في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. التناقض الرأسمالي الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر كان عبارة عن تناقض الكدح – رأس المال أو البروليتاريا– البورجوازية، ونوعاً ما تناقض بين الشعوب المستعمَرة والدول المستعمِرة.

بينما لو ألقينا نظرة إلى النصف الثاني من القرن العشرين، سنرى أن هذه التناقضات فقدت معناها كلياً. فخطر الفرز الطبقي لم يعد يحوز بأهمية ملحوظة، كذلك الاستعمار لم يعد يؤخذ محمل الجد، وإن تم فيكون محدوداً. لقد أصبح التناقض أكثر عمومية وبلغ أشكالاً جديدة مغايرة. وحسب رأيي، فإن أخطر الجوانب في الإمبريالية، وبالتالي الرأسمالية التي تحتويها، وما ينم عنها من تناقضات اليوم، إنما تستهدف المجتمع بأكمله. لقد تطورت تقنيات الاستعمار والإدارة لديها بصورة مذهلة من قبيل مستوى تطور الاحتكار والوسائل المعلوماتية، هذا فضلاً عن وسائل الإعلام والشركات العملاقة الدولية. إنها حقاً تقنيات متطورة تبعث على الرعب.

في الحقيقة، يكاد المجتمع بأسره يصبح مستسلماً لهذا الواقع الذي لا يحتضن الطبقة فقط، بل يضم في أحشائه المجتمع كاملاً. إن الألعوبة اليوم تحاك على المجتمع بحيث تدبر الألاعيب المختلفة بشأن كل طبقة أو شريحة على حدة. إنها تلعب على الجنس بشكل مختلف، وتدبر الألاعيب الفظيعة على الأطفال أيضاً. كما تستغل المرأة على نحو يثير الدهشة، بل إنها تستغل حتى طبقة رأس المال الوسطى بأساليب مغايرة تماماً. لهذه العلة أصبح التناقض عاماً وتوسع نطاقه كثيراً.

عندما يقال "العولمة" نرى أن الإمبريالية – الرأسمالية في هذه الظاهرة تقبض على أنفاس العالم أجمع كأخطبوط مخيف، وتسحق كل شيء كالأسطوانة العملاقة. بالطبع، ثمة تطورات حاصلة في التقنية قد مهدت لهذا الوضع، هذا بالإضافة إلى تطور التأثير الخارق للوسائل الإعلامية في خضم السنوات الخمسين الأخيرة. وقد نمّ هذا عن مخاطر وأهوال تضر بالإنسانية أكثر مما يظن البعض.

يمكننا صياغة التناقض على هذا النحو؛ إنه ليس تناقضاً بين الطبقة المظلومة المستعمَرَةَ والطبقة الاستعمارية الظالمة، ولا بين الشعب المسحوق والدولة الساحقة؛ بل هو تناقض يتضمن ذلك ويكمن بين القوة الاجتماعية – أو المجتمع بحد ذاته– وبين حفنة معدودة بعدد أصابع اليد، بما تملكه من مؤسسات إعلامية استثنائية لا نظير لها وإمكانيات تقنية أخرى توحدها جميعها لتتميز من خلالها بقوة إدارية كبرى.

ظهر اليوم إلى الوسط مصطلح يزعم بأن أمريكا قوة خارقة، ويعاني المجتمع العالمي خطراً جدياً في كنف هذا النظام الجديد. هذا هو التناقض الأول. أما التناقض الثاني فيتمثل في الهوة المتسعة باضطراد بين المجتمع والطبيعة.

أظن أن التخريبات الحاصلة في العقود الخمسة الأخيرة تضاهي ما حصل منذ بدايات البشرية وحتى يومنا الراهن.

لم يحصل التلوث البيئي الموجود في أي وقت مضى بهذا القدر. لا ينحصر الأمر في التلوث فحسب، بل إن الطبيعة يُقضى عليها حقاً، وثمة أنواع تواجه الانقراض وتوشك على الزوال، سواء من الفصيلات النباتية أو الحيوانية. كما أن الهواء يتلوث، والجليد يذوب، وتزداد نسبة الارتفاع الحراري على وجه الكرة الأرضية طردياً. أما الأماكن التي نقطنها فتكاد تتحول إلى صحراء قاحلة. كل هذه العوامل لا تنم عن خطر بسيط.

إن هذه المخاطر تزداد عن نسبة مخاطر الطبقات أربعين ضُعفاً. وقبل كل شيء ثمة كسح لخصائص المقاومة لدى الإنسان، وتخفيض من مستوى معنوياته.

إنها أزمة خانقة!

يكاد الناس يتحولون إلى حشرات ضارة بعيشهم المستمر بين الجدران الإسمنتية! هاهي الرأسمالية تحول الناس إلى حشرات، ورأسمالية كهذه لا يُنتظر منها شيء سوى هذا. يتحتم بلا شك تطوير النقاشات في هذا الموضوع حين يتم صياغة البرامج والنظريات الاشتراكية الجديدة.

ولو دققنا في الأمر سنتلمس ضرورة تطوير الموديل الاشتراكي لا محال. إنه نموذج لتطوير الإنسان، وبه يتمكن الإنسان من التحكم بكل شيء ومراقبته. يمكنكم من خلاله التحكم في التزايد السكاني وإقناع المجتمع بذلك بكل تأكيد. فالرأسمالية لا تُقنع المجتمع بل تزج به في متاهات الطيش وتستغله وتهدره. أما الاشتراكية فليست كذلك، ذلك أنها تُقنع وتحث على العمل الطوعي في كل شيء. الخطر كبير، فالكل يغفو في غفلة كبيرة حينما يقال بالتقليل من نسبة ثاني أوكسيد الكربون على سبيل المثال. حيث يقال؛ فليكن العدد السكاني قليلاً ولنقتات من الخيرات الموجودة.

لقد أوجد مجتمع متطفل ومبذر بشكل مريع، يسعى فيه الكل إلى التهام الطعام والبذخ أكثر. إنهم وحوش التبذير والاستهلاك! وعندما يتحول الكل إلى وحش مستهلك في المستقبل القريب، لن يبقى هناك عالم يمكن استهلاكه، عندئذ سينهشون لحم بعضهم.

أجل، في النموذج الاشتراكي العلمي لا يمكن أن تتواجد التخريبات في الطبيعة أو يلحق الظلم والإجحاف بالمجتمع. ويمكن القيام بالتخطيط السكاني والتوازن الاقتصادي المبرمج. إذن، الاشتراكية اليوم هي اسم للنضال ضد طيش الاستهلاك والهدر وتخريبات الطبيعية وأسر المجتمع من قبل الإعلام المكور والعديد من الآفات الأخرى المشابهة له.

لا يكفي المفهوم الاشتراكي السائد في القرن التاسع عشر بالتأكيد. إنه مفهوم صارم ومتصلب دوماً، وينادي بـ"الطبقة تجاه الطبقة، والتحرر الوطني تجاه الاستعمار". قد يلزم ذلك نوعاً ما، إلا أن الوجه البارز للمسألة

يكمن في تطوير الديمقراطية الاشتراكية وتصعيد النضال أساساً ضد التخريبات الكبيرة الملحقة بالطبيعة وطيش الاستهلاك المتفشي. قد يكون هذا فحوى البرنامج الجديد للاشتراكية. وبرنامج كهذا سيكون التعبير الأكثر شفافية للاشتراكية من جهة، وتعبيراً عن تحرر البشرية بحد ذاتها من جهة أخرى.

بهذا المعنى، الاشتراكية هي المستقبل الوحيد للبشرية.

في الماضي كان يقال "التحول الاجتماعي"، واليوم نسميه باسم "الاشتراكية". تبدأ الحيوانية عندما تغيب المجتمعية (التحول الاجتماعي)، وينشأ حينها أخطر الوحوش في أجواء الرأسمالية. لهذه العلة يعد النضال الاشتراكي السبيل الوحيد للخلاص في هذه المرحلة الامبريالية الرأسمالية. إنه شرط أولي لا غنى عنه. وإن لم يتم الوقوف في وجه حيوانية سائدة لهذه الدرجة ستواجه البشرية الزوال لا محال. بهذا المعنى أقول أن الإصرار على الاشتراكية يعني الإصرار على بناء الإنسان.

بعض الخصائص الجديدة
للحملة الاشتراكية في يومنا

أفضل جواب نعطيه ليوم ١ أيار، العيد التقليدي لوحدة وتعاضد وكفاح الطبقة الكادحة، هو امتلاك القرار الحاسم والملموس بشأن المواقف الأساسية الواجب إبداؤها حسب الحاجة بصدد رؤية العالم وممارساته العملية الخاصة بهذه الطبقة. ويظهر التحلي بهذه القدرة التطبيقية أمامنا كوظيفة مرتقبة.

كما أن الاحتفال بهذا اليوم بحشد جماهيري غفير شرط لا غنى عنه لنجاحنا في وظيفتنا تلك وإضفاء المعاني المؤثرة أكثر للاشتراكية، وخاصة بعد انهيار الاشتراكية المشيدة وتدني اعتبارها وتكاثف المحاولات للحط من شأنها. ومثلما لم يقل شأن تحديد المشاكل الأساسية الخاصة بالإنسان، سواء تاريخياً، أو حاضراً، أو إيجاد طرق الحل اللازمة لها؛ لربما أصبحت هذه الوظيفة إلى جانب ذلك تتسم بمعاني أفضل لإدراك فحواها مع مرور الأيام، وتغدو في صدارة المهام العاجلة التي لا يمكن التلكؤ فيها قط.

لا شك في أن انهيار الاشتراكية المشيدة لم يقلل من مشاكل الرأسمالية، ولم يعنِ أيضاً فوزها ونصرها كما يدعي البعض. بل على العكس من ذلك، إنها أصبحت تقف وجهاً لوجه أمام مشاكل أكثر ثقلاً بحيث تسحقها تحت وطأتها وتزج بها في طريق مسدود.

يمكننا القول أن علامات الانهيار تتبدى على الرأسمالية القائمة بنسبة لا يمكن مقايستها بأي مرحلة أخرى. حتى أن أكثر المفسرين تفاؤلاً يصرّحون بأن التاريخ يكاد يتوقف عن الجريان. قد يسمي البعض ما هو موجود بأنه "ظفر لانهائي للرأسمالية"، إلا أن كل المؤشرات تدل على حقيقة يُجمع الجميع فيها على أن هذه "اللانهاية" قريبة من يوم القيامة. لقد زجت البشرية في مسننات الاستهلاك والهدر الضخم بنسبة لا قرين لها، وأوقعتها في وضع تكاد لا تستطيع فيه التقاط أنفاسها من لهثها ذاك. وعاد من المستعصي تخمين المكان الذي ستصطدم به لتتابع بذخها وإسرافها ذاك. وهذا هو بالذات أصل الأزمة الخانقة والسوداوية واليأس المتفشي.

كل الطبقات الاستعمارية القمعية عامة، والطبقة الاستعمارية التعسفية العمياء بنظامها الرأسمالي – البورجوازي الذي تستند إليه خاصة؛ قد فقدت معناها وأهميتها تماماً. ومع ذلك صارت تشكل بلاء مسلَّطاً على المجتمع برمته منذ مدة لا بأس بها.

كثيراً ما قيل في ثورة أكتوبر "تشرين الأول" بأنها ثورة أُجهِضت مبكراً، وبالتالي أسفرت عن اشتراكية مثقلة بآفات بنيوية شديدة الوطأة ومبنية عليها بحيث لن تنجو لهذا السبب من الانهيار.

بإمكاننا تطبيق ذلك على الثورات المتحققة في المراحل الأكثر قدماً في التاريخ أيضاً. ففي كل انقلاب في الأوضاع أو كل ثورة قائمة، تكون الطبقة المشكّلة للأرضية الأساسية للسلطة الثورية اليسارية والراديكالية أكثر من غيرها، هي نفسها الطبقة القابعة في الأسفل والمناضلة في أحلك الظروف وأصعبها. وما العبيد والأقنان، ومِن بعدهم العمال، سوى طبقات كادحة يطرأ عليها التغير مع حصول بعض التغيرات في الظروف العامة.

كما أننا نعلم علم اليقين أن الطبقات الحاكمة أيضاً تغير من شكلها لتستمر في وجودها إلى راهننا. وما أضافته الرأسمالية – الامبريالية لم يكن سوى فرض عدمية الشكلية على الطبقات، وإيصالها إلى حالة لا تقدر فيها على الكفاح بهذا الشأن. ولهذا السبب استُخدِم التقدم التقني في الميدان الإعلامي لتوسيع نطاقه إلى جانب الحرب النفسية والأيديولوجية والثقافية المنظمة تماماً لنفس الغرض. والأنكى من كل ذلك تعريضها المجتمعَ لقصف يكاد يخنق تحته لتتمكن من إدارته وتوجيهه.

إنه لأمر مدهش! سابقاً كان الحكام يسعون لفرض الخنوع والإذعان على المجتمعات عن طريق الأسلحة النارية والغارات الجنونية، إلا إن مثل هذه الحروب لم تعد لها حاجة في يومنا، حيث حلت محلها الغارات الروحية والأيديولوجية والثقافية الأكثر تأثيراً. والتقنية الموجودة تساعد على ذلك بكل معنى الكلمة. لهذه العلة نرى أن الفرز الطبقي والأمور الواجب فصلها عن بعضها بأنواعها المتمايزة، إنما تتشابك وتتداخل فيما بينها. بالإضافة إلى دخولها في حالة تمكنها من الركض وراء أوامر طبقة ما بشكل أكثر خبثاً ودهاءً واستغلالاً وقمعاً خفياً ومكراً.

وإذا كنا لا نستطيع الحديث اليوم عن حدود فاصلة وواضحة لطبقة ما، فالسبب الأهم في ذلك يكمن في هذه النقطة. في الحقيقة، هذه هي ظاهرة الكدح والطبقة المعتمدة عليه مهما طرأت عليها تغيرات في الشكل والمضمون. إلا أنه يتوجب إيجاد تعريف سليم للطبقة الاستعمارية الحاكمة التي تغير من شكلها أكثر وتوسع من نطاقها لتتسربل في كافة خلايا المجتمع.

لم تعد تكفي التسميات والتعاريف الطبقية الكلاسيكية من قبيل "رب العبيد"، "رب الأرض"، "رب المعمل".

كما لا يكفي إطلاق تعاريف مثل "البورجوازية الوسطى" أو "البورجوازية الصغيرة". وإذا كنا نود تفهم الاشتراكية جيداً، يتحتم إذاً صياغة تعاريف والقيام بتحليلات طبقية تأخذ الواقع الحالي القائم بعين الاعتبار. ونخص بالذكر هنا وطناً مثل تركيا، حيث كانت البداية فيه بأيديولوجية تزعم فيها بأنه "نحن جماهير لا طبقية، ولا تمايزات أو امتيازات بينها". فهذا الوضع الجديد يتسم بأهمية أكبر في هذا المضمار.

حلت الأساليب الأيديولوجية والنفسية محل القمعية والفظة منها، مما جذَّر ذلك التشابك وزاده تعقيداً. فالمحتكرون للامبراطورية الإعلامية والمعلوماتية يقومون على توجيه المجتمع وإدارته على نحو أشد خطراً من أعتى الحكام وأكثرهم ضراوة. لقد تطورت منزلة التقنية في الإنتاج أكثر من السابق. وعوضاً عن قوة العضلات الفظة ترك الإنتاج مكانه لإدارة التقنيات الجديدة –وإن كانت هي الأخرى تعتمد على ذلك بالأصل– ليشل من تأثير كدح القوة العضلية. أي أن ما هو سائد هو الإضعاف من الجانب المرتكز إلى القوة العضلية والكدح الفكري لدى الإنسان الكادح بنسبة ملحوظة.

وكأن الزمر الاحتكارية، وعبر الثورة العلمية – التقنية التي طورتها، تقول للإنسان "لم يعد لك لزوم جدي". وارتباطاً بهذه الخاصية للرأسمالية نرى البطالة تتفشى في الأرجاء لدرجة تكاد البورجوازية تعلن صراحة أنه لا حاجة لوجود المجتمع ولا أهمية له، مع أن ما هو عديم الأهمية هو – بالأصل– الرأسمالية القائمة بحد ذاتها. إلا أنها، وانطلاقاً من احتكارها للنفوذ الأكبر والهيمنة وقوة الإدارة وشبكات التأثير والتبادل، تقول للمجتمع "أنت عديم القيمة" وتعمل على ترسيخ قناعتها تلك.

هذا فضلاً عن أنها تطبِق الخناق على كوكبنا وتكاد تقطع أنفاسه. بمعنى آخر، إن القضاء على الاخضرار في الطبيعة ليس إلا كبت لأنفاس الإنسان.

إنهم ينسفون سقف كوكبنا كلياً.

فبحدوث الثقب في طبقة الأوزون يصبح عالمنا في مواجهة شتى أنواع المخاطر والأهوال. ومن جانب آخر ثمة الخطر الذّري الذي بإمكانه إقامة القيامة في كل لحظة. لا شك بتاتاً في أن المسؤولية تقع على كاهل الرأسمالية القائمة في ظهور بعض الآفات والأوبئة الخطيرة من قبيل السرطان ومرض الإيدز، وفي الانفجار السكاني المختل والمتضخم باستمرار بحيث لا يمكن حسم النهاية التي سيؤول إليها عالمنا والإنسانية. وإنها تزيد من وطأة هذه المعضلات طردياً لتصبح أزمة حادة خانقة. أي أن أنفاس الإنسانية تُكبَتُ دوماً، سواء على الصعيد الروحي أو الفيزيائي.

يتم القضاء على تشبث الإنسان بالحياة ودواعيه الأساسية فيها، ونسف كل الجماليات، وشل تأثير دور كل من الدين والفلسفة.

تُشكِّل حالة الإنسانية المصابة بالعمى، والإنسان المصاب بالتقزم المضطرد كحشد غفير من النمل القزم، خطراً جدياً حقيقياً. أما النظام المتواري وراء كل ذلك فهو، الرأسمالية المكوَّرة.

ثمة حاجة ماسة لأيديولوجية جديدة وتعاليم أولية

أما الاشتراكية المضادة تماماً لذلك فقد وقعت في النقصان. واليوم تدور النقاشات حول أسباب ذلك.

كيف يمكن تحقيق حاكمية أيديولوجية تقدر على التغلب على النظام الامبريالي – الرأسمالي ثانية؟

هذه هي الساحة الأصلية التي يجب أن تتركز عليها النقاشات. فالدفاع عن الرأسمالية الموجودة لا يعني سوى القبول بيوم المحشر لأجل البشرية والقضاء على غدها الآتي، والسقوط بها في نهاية مأساوية واهية لا تدعها تقدر حتى على النضوج بقدر ما حصل في مرحلة البشرية البدائية. إن نوبات الطيش الجنونية للمجتمعات الاستهلاكية الحالية تُسهّل علينا صياغة تعريف كهذا للواقع القائم. وإذا كانت البشرية ستحيا لا محال – وهذا قانون ساري المفعول على البشرية بقدر صحته لقوانين الطبيعة على الأقل – يستحيل عندئذ القبول بهذا الوضع السائد. إن النقاش على هذا الوضع وبلوغ طريق الحل المرتقب، يدل على وجود حاجة ماسة لأيديولوجية وتعاليم أولية وتطبيقها على أرض الواقع، سواء أسميناه ذلك بالاشتراكية العلمية أم بالاشتراكية المتحققة بنسبة كذا أو كذا.

إننا ندرك كل الإدراك أن الاشتراكية العلمية لم تولد في يوم واحد، وهي ليست ثمرة تجربة عائدة لوطن واحد، بل حتى أنها ليست نتيجة للرأسمالية الأوروبية فحسب. فميول القطاعات الاجتماعية صاحبة أكثر التحولات راديكالية في كل المراحل الاجتماعية، وخاصة في فترات الارتجاجات والانقلابات الثورية؛ قد نمَّت على الدوام عن ظهور الميول والأفكار المؤدية إلى تطوير الاشتراكية. بمعنى آخر، إنها أفكار وممارسات عملية متطورة بالتوازي مع التحول الاجتماعي "المجتمعية". أما المرحلة الرأسمالية فقد أضفت على هذه الأفكار والعمليات قوة تعبيرية علمية للتعريف بها، لتصل بالتالي إلى صياغة الاشتراكية العلمية مع مضي الزمن.

لا شك في أن للاشتراكية العلمية أخطاؤها ونواقصها مثلما هي الحال في كل الأنظمة الاجتماعية الأخرى. حتى في الثورة الفرنسية المتحققة في أعتى مراحل الرأسمالية وحشيةً، كان اسم "الشيوعيون" يطلق على أكثر القطاعات راديكالية. هذا بالإضافة إلى أن الشرائح اليسارية للثورات البورجوازية اللاحقة لها أيضاً كانت تسمى بـ"الاشتراكيون، الشيوعيون". وفي كمونة باريس ١٨٤٨ – ١٨٧٠ كان الشيوعيون هم المؤثرون أيضاً ويستلمون دفة الحكم في ثورة أكتوبر. ومن ثم ينتشر هذا الوضع ليعم الأرجاء كلها فيما بعد. لا ريب في أن الاشتراكية اتسمت بالعلمية أكثر في هذه المرحلة، إلا أنه لا يمكن الادعاء بأنها الكلمة الفصل في صياغة الاشتراكية. لذا فإن تعريف الأوطان التي تحققت فيها الاشتراكية المشيدة وادعاءها بأنه "وصلنا إلى الشيوعية مبكراً" أمر بعيد عن الصحة والواقعية.

إننا الآن ندرك على نحو أفضل أن كل حركة انبثقت في كافة الثورات الكبرى، ونزعت إلى الكدح وتبنته؛ إنما تتضمن في أحشائها محتوى اشتراكياً نوعاً ما، أو أنها تتهيأ للاشتراكية وتمثيلها.

لنبدأ من انطلاقة سبارتاكوس التي تعد إحدى أهم التمردات الأساسية في العهد العبودي، وحتى كل المراحل الثورية الهامة على وجه التقريب، وسنرى أنها جميعها ساهمت لحدٍّ ما في الكفاح، وبالتالي في تاريخ الكفاح الاشتراكي.

حتى الثورة الإسلامية، وحتى الصراع الدائر بين الإسلام الرسمي والإسلام المعارض، يتضمن خصائص كهذه. ويمكن تسمية ذلك بالصراع المذهبي بين السنية والعلوية. على سبيل المثال حتى أكثر الشرائح الموالية لسيدنا علي راديكاليةً تعد – حسب تلك الظروف – اشتراكية أو يسارية. أما الإسلام المتحقق فهو القسم السني منه أو ما يقال له الإسلام الرسمي. ويمكن وضع فصل كهذا بكل سهولة.

الأمر كذلك سواء في ثورة أكتوبر أو الثورة الفرنسية، بدءاً من الفئات اليمينية وحتى اليسارية الراديكالية منها. كما أن ثورة أكتوبر أيضاً كان لها يمينيوها والمنتهجون للخط الوسط. أما القسم الراديكالي المسمى بالحزب البلشفي فيشكل الشيوعيين.

الحقيقة الساطعة التي تتبدى هنا هي أن نضال الاشتراكية والشيوعية طويل بقدر التاريخ البشري. إلا أنه كثيراً ما تم الانزلاق في المواقف المغالطة المضخّمة للذات، كمرض إعلان تيار ما عن نفسه خلال مدة جد وجيزة بأنه التيار الحاكم والمتوجه قدماً نحو النصر المؤزر على الصعيد العالمي. تماماً مثلما في ظاهرة النبوة، حيث يتم تقييم الذات بأنه آخر دين وآخر كلام. وبما أن سياق التطور الاجتماعي ما فتئ يستمر في منحاه، فإن أحاديث كل مرحلة هامة إنما تمهد السبيل في الأصل إلى ولادة تطورات أخرى جديدة تتجاوزها وتتعداها. وهنا، دعك من أن تكون آخر كلام، يبقى كلامك قديماً بالياً. ولكن هذا لا يعني أن الأقوال والأحاديث المقالة لا تحظى بأية أهمية أو معنى، بل إن ما حصل هو أن الإسلام والليبرالية البورجوازية وحتى الاشتراكية قد أسفرت عن تطورات هامة لا يستهان بها حسب زمانها ومكانها الذي ظهرت فيه لتترك للتاريخ ميراثاً هاماً للغاية. أي أنها لم تذهب سدى، بل إن التطور الاجتماعي والحرية قد تطورا بفضل مثل هذه الكفاحات لدرجة ما. ونخص بالذكر هنا النضال الاشتراكي الذي يعد اسماً لأهم تطور حصل. ذلك أن كل التطورات الموالية للكدح والإنتاج والإبداع إنما حققت تقدم البشرية على ضوء وجهة النظر الأيديولوجية هذه على الأغلب.

بإمكاننا القول أنه ثمة فوضى وأزمة خانقة سائدة على العموم في يومنا الراهن. إن الرأسمالية تزعم أكثر من أي وقت مضى بأنها نظام كوني عام تماماً. وحصيلة النواقص البارزة في الاشتراكية المشيدة وانتهائها بانهيارها على يديها هي، إنما يمد الرأسمالية بالفرصة لتزداد ثقة وقوة في ادعائها هذا. لكن الحقيقة هي عكس ما تزعم أو تصرح به.

تزداد حاجة الأزمة المتزايدة تعقيداً للاشتراكية طردياً.

البقاء بلا اشتراكية يعني الحرمان من الهواء.

يكمن الحل للأزمة المتزايدة في وطأتها أكثر من أي وقت مضى، وبالتالي لكافة المشاكل البارزة نتيجتها، في الاشتراكية التي تجد تعبيرها العلمي في المجتمعية. من المستحيل للرأسمالية أن تجد في داخلها حلولاً للدمار الفظيع الحاصل والمشاكل التي يستعصي عليها الخروج من تحت وطأتها.

من المستحيل حل هذه المعضلات عن طريق ثورات علمية – تقنية كهذه. ذلك أن الثورة العلمية – التقنية المسخرة في خدمة الرأسمالية ليس باستطاعتها فعل شيء سوى تحذير الأزمة الموجودة في النظام أكثر فأكثر.

الحل إذن، يكمن مرة أخرى في الواقع الاجتماعي ومساره الاشتراكي.

ولكن أي اشتراكية؟

ثمة حاجة ماسة لإرساء الاشتراكية وتكريسها سواء من الجانب النظري أو العملي. وبقدر الحاجة لإعادة النظر في النواقص الظاهرة في تاريخها وتخطيها، ثمة ضرورة حيوية لتقييم الأزمة الخانقة المتفشية في يومنا بعين موضوعية، وفرض قوة الحل اللازمة لها. وبدون اتباع سياسات جديدة بصدد كل المسائل، بدءاً من التحليلات الفكرية وحتى تحديد المواقف اللازمة كجواب للمعنويات النفسية، ومن كيفية تداول البنية الفوقية السياسية إلى إعادة ترتيب وتنظيم الاقتصاد؛ يستحيل إعطاء جواب حاسم وحازم على سؤال "أيّ اشتراكية؟".

في بداية حديثي أيضاً كنت قد أوضحت أنه ثمة مساعٍ حثيثة للإطباق على أنفاس عالمنا وخنقه بالمشاكل المنبثقة من الرأسمالية، وثَقْبِ غلافه الجوي أيضاً. هذا الخطر الذي يذكرنا بيوم الحشر يسفر عن آفاق اجتماعية استهلاكية مريعة، وظهور حشد غفير من أناس أقزام تحولوا إلى نمل صغير أو حبات رمل مصفوفة فوق بعضها.

هناك ضرورة حيوية قصوى لإرشادات وتحديد مواقف اشتراكية تعيد للإنسان اعتباره وكرامته، وتحقق الوئام بين وعيه وأخلاقه وبين الطبيعة، وتنبيهه إلى التناقض الكائن بينه وبين الطبيعة وتعميقه لحله.

بالإمكان القول بكل ثقة وقوة، وأكثر من أي وقت مضى، أن التوازن الذي أسسه النظام الرأسمالي – الإمبريالي بين الإنسان والطبيعة يتحول إلى تناقض مدمر على نحو خطير ومرعب للغاية. مثلما يؤدي تنظيمه الاجتماعي بالإنسانية إلى علاقات استهلاكية مسرفة. أي أنه قد مهد الطريق لظهور هذين التناقضين المكوَّرين "العالميين".

وهنا بالذات، بإمكان الاشتراكية الموجودة التعريف عن ذاتها بشكل صائب من خلال إعطائها الجواب اللازم لهذين التناقضين الأوليين. كما أن فرض الحلول الثورية لمشكلة علاقات الإنسان مع الطبيعة- ويسميها البعض

بالعلاقة مع البيئة– وتحليلها على نحو صائب، شرط حيوي لا مفر منه مقابل محاولات الحركات المعنية بشؤون البيئة والاخضرار وغيرها من الحركات التي تسعى لدراسة المشكلة على نحو إصلاحي.

وتجاه نموذج المجتمع الإمبريالي المتقزم في مضمونه كالنمل، من الضروري إعادة تخطيط النسل والإنتاج وتنظيم البنية الفوقية والتعريف مجدداً بالجوانب النفسية والأخلاقية للإنسان. إن القدرة على إيجاد الحل اللازم لتناقض شامل كهذا، ستسفر عن تكييف الاشتراكية مع متطلبات العصر. لذا لا يمكن الاكتفاء بالتعريف الطبقي الضيق لها.

لم يعد هناك طبقة عاملة مثلما كان في القرن التاسع عشر

وهنا تكمن نقطة عقم أخرى للاشتراكية القائمة، حيث تسود التقريبات حسب وجهات نظر تعود للقرن التاسع عشر من القضية، ويقال من خلالها "كذا طبقة عمالية، وكذا طبقة عمالية". في الأصل، لم تبق في الوسط طبقة كهذه. أو بالأحرى، مضى العهد الذي كانت فيه الرأسمالية تكتفي باستعمار طبقي بمعناه الضيق ذاك.

ثمة استعمار طبقي بالمعنى الضيق، ولكنه اتخذ أبعاداً عامة وصفناها بأنها مستجدات تأسر المجتمع بأسره من خلال الثورة العلمية– التقنية والعالم المعلوماتي والإعلامي وما يتمخض عنهما من متغيرات. وقد تطورت أساليب نهب ونصب وقمع مريعة بنسبة لا يمكن مقايستها حتى بما كان يحدث في القرن التاسع عشر.

من هنا، فالقيام بتقييم حاضرنا بوجهة النظر التي كانت سائدة في تلك المرحلة إنما يعني مغالطة كبرى بحق الحقيقة. إننا نجد ذلك في الجدالات الاشتراكية الجارية، وهذا ما يعني ضيق الأفق. إن دراسة هذا الوضع ستسلط الضوء على أساليب الحرب، أي على المشكلة التكتيكية. فالتكتيكات القديمة لم تعد وافية في يومنا الراهن. ومثلما أن المجتمع محاصر بطوق خانق من القمع والاستغلال على نحو متكامل، فإنه هناك حاجة ضرورية لتطوير أساليب نضالية معنية بكل المجتمع بالتأكيد.

لقد أخلَّ النظام الرأسمالي- الإمبريالي بالتوازن الطبيعي بالنسبة للإنسانية جمعاء. لذا ثمة ضرورة قصوى لإرشادات تخاطب كافة فئات وشرائح المجتمع بأوسع نطاقاتها. بمعنى آخر، بقدر ما ترد الاشتراكية على أسئلة "كيف يجب أن يكون البرنامج الاشتراكي الجديد؟ كيف تكون وجهة النظر الجديدة التي يعتمد عليها ذاك البرنامج؟ كيف هي التكييفات التي تحول وجهة النظر تلك إلى عملية على أرض الواقع؟"؛ حينئذ تكون قد أرست ذاتها وتعززت مرة ثانية واكتسبت قوة تخوِّلها لحل المشاكل القائمة في الواقع.

إن نقاشاً كهذا لهو أمر واقعي ومنطقي. من هذا المنطلق سيتقرب كل من يرغب إبداء تقربات جذرية في تداوله للقضايا الإنسانية ومن يهتم من الصميم بمصير البشرية، باهتمام أكثر عمقاً من الاشتراكية، وسيسعون للتحكم في الأمور بإيجاد الأجوبة اللازمة للمشاكل الجديدة.

تنتصب المهام أمامنا. ثمة اكتفاء بالأساليب القاصرة في دراسة الموضوع، لذا يستلزم تجديد النقاش والتركيز على صياغة تعريف جديد للاشتراكية – بالمعنى العصري- على الصعيد البرامجي والعملياتي والتكتيكي. بناءً على ذلك يمكن تشييد أحزاب اشتراكية جديدة وتطوير نماذج عملياتية جماهيرية حديثة. كما يمكن البلوغ بالثورة العملية – التقنية إلى مستوى من القوة يخوِّلها لتطبيق الحل اللازم للمشاكل القائمة بكل تأثير من خلال التحلي بوجهة نظر اشتراكية أثناء ذلك. ومثل هذه المواقف ستؤول -لا محال- في أقرب فرصة إلى التصعيد من الاهتمام بالاشتراكية والإظهار بأنها منبع الحل الأساسي، والكشف عن مرحلة اشتراكية ملائمة للمطلوب في مواجهة الرأسمالية التي قد دخلت أشمل مراحل انهيارها.

وبقدر ما يعتبر حزبنا PKK حركة قامت بانتقاد النتائج السلبية المتمخضة عن الاشتراكية المشيدة في هذا الإطار وتبيان موقفها تجاهها، فقد نجح في عدم عكس هذه التأثيرات السلبية على صفوفه، وتنبه إلى أن اشتراكية كهذه إنما هي قاصرة عقيمة. إلا إنه في نفس الوقت يعد حركة لم تفقد رغم كل ذلك إيمانها المطلق وثقتها الأكيدة بالاشتراكية الصحيحة، بل أبدت مواقفها حسبها.

إنه قوة قامت بتكييف ذلك على وجه الخصوص مع الظروف الاجتماعية لوطن يعاني أشد درجات التخلف، مثل "كردستان"، ويتسم ببنية اجتماعية بدائية؛ وكلها عزم وإصرار في ذلك، متسمة بالاستقلالية في سلوكها هذا، مما نمَّ ذلك نتائج هامة. إنه حزب مؤسس على هذه الأسس.

بهذا المعنى تعد تجربة PKK حركة متطورة ذات أعظم عملية اشتراكية وأرفع نهج ايديولوجي اشتراكي في مرحلة اتجهت فيها الاشتراكية المشيدة إلى الانهيار نتيجة انسدادها الداخلي بعد أن حازت على توازن معين مع النظام الرأسمالي – الإمبريالي على الصعيد العالمي، مما أسفر ذلك عن سقوطها من الانظار وتهاويها بنسبة ملحوظة. وبمنزلتها هذه تعد حركة PKK شبيهة نوعاً ما بالحركات النادرة التي أفلحت في الصمود في مراحل التخلف وسيادة الرجعية، إلا أنها تميزت بمكانة مشرفة معززة في نفس الوقت.

وبالطبع إنها حركة لا تترك حلبة الصراع، بل تتشبث بعزمها وإصرارها وتُظهِر أعلى درجات بطولاتها حتى في أعتى الظروف التي يسود فيها النظام الرسمي المهيمن ويلهث الجميع للارتماء في أحضان الرجعية. كما أنها في الوقت عينه حركة مميزة بمزايا تؤهلها للنطق باسم البشرية سائرة.

كل حركة تحررية عظيمة، كلما تصدت بنجاح لمرحلة التعصب والتحجر على الصعيد الكوني العالمي، لن يكون بمقدورها حينئذ إيجاد الحلول حسب ظروف الشعب والوطن الذي نشأت فيها فحسب، بل وستقدر على أن تكون ناطقة باسم آمال الإنسانية كلها وتطلعاتها إلى جانب ذلك. ومن الحري بنا التذكير هنا بأن المسيحية أحياناً والإسلام أحياناً أخرى والثورة الفرنسية وثورة أكتوبر أحياناً ثالثة قد حملت على كاهلها هكذا مهام، وتمكنت من تأدية أدوارها في النطق باسم الإنسانية لدرجة لا يمكن استصغارها.

ونحن، وإن لم نكن مستعدين لذلك في البدايات، وإن ذكرنا بأننا حركة وطنية؛ إلا أن الظروف الدولية والمستجدات الإقليمية الحاصلة إنما تدفع بPKK نحو تمثيل الاشتراكية على الصعيد الكوني العالمي، بل وتفرض عليه مساراً كهذا. ولو أننا لم نكن ننتظر ذلك في البداية، بل إن الظروف المتغيرة بسرعة البرق والمتعقدة في داخلها قد وضعت أمام حزبنا مهمة كهذه؛ إلا أننا نفتخر بذلك دون شك. لكن ذلك يشترط علينا بالتأكيد أن نعي مضمون هذه المهمة الملقاة على عاتقنا على نحو صائب، وتحديد كيفية مساهمتنا فيها بشكل سليم.

طالما شهدت منطقة الشرق الأوسط ميلاد العديد من الأيديولوجيات، وخاصة الأديان. وظهورها باسم الإنسانية وتطويرها عمليات ذات عزم وإصرار. وكونها مهد تكوُّن البشرية وتشكل كيانات كل الحضارات الأساسية، فهي تحدد بذلك مكانتها في سياق تطور البشرية ومواقعها الاجتماعية. وليس من الصدفة أن تظل

حتى اليوم متسمة بالعزم والإصرار في إيجاد الحلول رغم ولوج البشرية هنا في أصعب الظروف ومعاناة الإمبريالية لأشد درجات الأزمات الخانقة.

طالما برهن التاريخ بأمثلته العديدة على أن الانطلاقة الثورية تتطور بحدة في المكان الذي تحتد فيه الأزمة. واليوم فإن الوطن كردستان، الذي يعد أكثر مناطق الشرق الأوسط تخلفاً، والشعب الكردستاني، الذي رُمي به في زاوية النسيان وأُخرج من إطار الإنسانية؛ يسعى اليوم ويكافح ليفتح عيونه على الحياة مرة ثانية بعد أن كان مهداً للبشرية باعتبار يقطن أقدم الأراضي في التاريخ. وعندما يفتح عيونه على الحياة يجهد لتحقيق ذلك بخطوات أشبه ما تكون بالخطوات العظيمة التي خطاها في تطوير البشرية في بدايات التاريخ. وقد كانت هذه الخطوة من نصيب PKK – نوعاً ما – ليعبر عن عظمتها في ذاته.

من هنا، وبقدر ما يتسم حزبنا بالوعي التاريخي، فهو يدرك أيضاً ماهية الدور الذي ينيطه الواقع الحالي بالاشتراكية، ويسعى للنطق باسمها وتمثيلها. وبقدر مضمونه الأممي في هذا المضمار فقد أظهر أيضاً مضمونه الوطني بأرقى الأشكال، وبرهن على أنه لن ينكث عهده ذاك من خلال الشهادات القيّمة الكثيرة والتضحيات الجسام التي قدمها. وبينما يتوجه بشعبه نحو التحرر والخلاص، إنما يؤمن كل الإيمان بأن الإنسانية أيضاً تتحرر بذلك، وأنه خطا خطوة هامة على هذا المسار. إنه يقوم بذلك بكل وعي وإدراك.

PKK حركة اكدح

لا ريب في أن PKK هو حركة تعرضت طيلة مراحلها التاريخية للمؤامرات الدولية الرجعية بحيث لا أظن أنه ثمة حركة أخرى حوصرت بمؤامرات دولية واسعة النطاق على هذا النحو. إن صمودها كأقوى حركة اشتراكية وتحررية وطنية قد مهد لتعرضها للمؤامرات الدولية، لكنها قاومت ولم تُسحَق أو تفنى. وفي كل حملة جديدة لها برهنت على تغلبها الساحق بتمثيلها للاشتراكية وبمواقفها الأبية في الحرب. ناهيك عن احتمال التغلب عليها، بل إنها لا تبرهن بذلك على كونها الحركة المرحلية القوية المنيعة والسليمة بخطاها الواثقة فحسب، بل وتثبت في نفس الوقت أنها حركة اشتراكية كخاصية أساسية تكمن وراء تحقيقها كل ذلك.

لا محال في أنه يستلزم التعبير عن الوعي التاريخي والعصري بصياغات أكثر علمية، وإيجاد الأجوبة والردود الحديثة العميقة لحل القضايا المتواجدة. هذا فضلاً عن إيجاد تعاريف على أسس جديدة لكل من مصطلحات حزب الكدح، الديمقراطية الاشتراكية، عمليات الدولة – الشعب. وقد تبدى للعيان في ممارستنا العملية الملموسة وبتكتيكات متنوعة للغاية بأننا حركة جماهيرية واسعة النطاق.

يفتح حزبنا درب التحرر والخلاص للمجتمع برمته، لا للفقراء البؤساء فحسب، بل ولكافة القطاعات الاجتماعية الأخرى أيضاً. وبمقدوره إبداء مواقف حالَّة ومحرِّرة شاملة للغاية تجاه مسائل استغلال الكدح واستعباد المرأة والضغوطات المتمخضة عن الفوارق المذهبية أو التناقضات القومية الضعيفة. ولا يزال مستمراً في تقدمه رغم كل المصاعب والنواقص، ويعمد لأن يكون حزباً لأصحاب الكدح على أساس احترم الكدح. لقد تداول مسألة الشخصية وطراز الحياة بكل بطولة وتضحية وفداء يليق بالنَسَب البشري وعلى نحو شامل لا مثيل له في أي حزب آخر. وبالتالي طوَّر الأجوبة اللازمة بما يتماشى وتلك الشمولية.

الإنسانية التي تعيش حقيقة PKK تعني الإنسانية المتحررة.

لقد حققنا ذلك بأصغر أبعاده. وإذا ما أفلحنا في إحراز النصر المؤزر في ذلك بالنسبة لشعبنا، فإننا نعلم علم اليقين أن ذلك سيكون مكسباً عظيماً لا يُقَدَّر بثمن باسم الإنسانية جمعاء. وقد عرفنا هنا كيف نحول التحرر المحقق في الفرد إلى تحرر يحقق على صعيد الشعب.

وإننا متشبثون أكثر من أي وقت مضى بمبدأ تحويل الخلاص والتحرر المتحقق في الشعب إلى خلاص وتحرر على صعيد البشرية سائرة. كلنا ثقة بالإنسانية، ونعلم جيداً أنه ثمة حياة تليق بالإنسان. ولأننا مرتبطون بذلك من الصميم، فنحن نهب حياتنا للإنسانية على نحو قد لا يكون له قرين في أي حزب آخر.

وحركة كهذه تعيش المجتمعية بهذا القدر، وتبدي أسمى آيات الجسارة والفداء بهذا القدر، لا يمكن أن تكون إلا أفضل وأجود حركة اشتراكية. وقد حاز PKK على نصيبه المشرف في تمثيل ذلك بكل فخر. ولا شك في أننا سنحمي هذه المزية الأساسية لحزبنا كنور عيوننا. وما كل هذه الشهادات الحاصلة إلا خطوات تمت على هذا الأساس، ولأجل ذلك لا غير. ومثلما ظهرت كل هذه المقاومات العظيمة والتضحيات الجسام بفضل هذا

الجوهر المنيع، فإنها تتواجد أيضاً لأجل حماية هذا الجوهر. وقد ظهرنا نحن إلى الساحة بهذا الإيمان، وبه كبرنا وعَظُمنا. وكلنا ثقة بأن عظمتنا هذه لن تكون ممكنة إلا بحماية هذا الجوهر وتكريسه أكثر فأكثر، وأننا مكلفون بمهام كهذه في هذا المضمار. إننا نعي ذلك من الأعماق، ونحس بمسؤولية تمثيله وتطبيقه بأعلى الدرجات.

لقد تصاعدت وتيرة العمل وطراز إلحاق الضربات اللازمة بنسبة مهمة. وأُعطيَ جوابٌ لا يستهان به لنداء القيادة الذي صرحت به في تحليلاتها، والذي يقول "مَثِّل الشعب في ذاتك، مَثِّل الإنسانية الجديدة في ذاتك، ولأجل ذلك ابلغ أرقى المستويات الإنسانية، وافعل ما يتطلب منك في سبيلها".

هذه الحقائق التي لم يفهمها سوى نسبة معدودة من قوتنا الحزبية، ستتطور تصاعدياً من الآن وصاعداً لتنعكس على موجات متتالية على شعبنا وشعوب المنطقة والإنسانية جمعاء. إن الارتباط بسمو المبادئ الاشتراكية، والتقرب منها بعلمية، يشكل حقيقتنا الأساسية.

إن حركتنا الاشتراكية التي ظهرت على هذا الأساس وتحولت في يومنا هذا إلى أكثر الأحزاب تقدماً وتطوراً، ستتجه قُدُماً بعد الآن، وبكل ثقة وعزم ونجاح ومهارة وتأثير، نحو تحقيق أهدافها. لأجل ذلك نقول أن حركتنا أعطت أفضل جواب يليق بيوم الأول من أيار، يوم الكدح والوحدة والتعاون والكفاح. لقد وَثَّقنا من أواصرنا مع كل كادحي العالم، وأبدينا إيماننا بتاريخهم وحاضرهم. وبإمكاننا القول على هذا الأساس أننا حددنا وجهة مستقبلنا أيضاً بأفضل الأشكال.

عاش ١ أيار، يوم الوحدة والتعاون والتعاضد والكفاح لكل الكادحين في العالم!

١ أيار ١٩٩٣

إننا ندخل مرحلة ثورات جديدة

لا تزال أمريكا امبراطورية الاستراتيجية الدولية القائمة. وفي استراتيجية دولية كهذه تحتل تركيا، أو الإدارة التركية، مكانة مهمة داخل الامبراطورية. حيث ستحصل علاقات اسراتيجية مع الإدارة التركية بشأن دول البلقان والقفاس والشرق الأوسط، بل وسيزداد الاهتمام بها أكثر. إلا أن توثق هذه العلاقات لا يعني أنها ستكون ذات سمة دائمة لا يمكن الاستغناء عنها، بل على العكس من ذلك، فالاهتمام الزائد بها يتضمن الشكوك والمخاوف أيضاً. لا تتركها وشأنها، إلا أنها تسعى دوماً لإيجاد البدائل في كل لحظة تجاه احتمال انزلاقها من بين يديها. تكثر الأقوال، وخاصة تصريحات رئيس الوزراء التركي بصدد أنه "إنهم يساندوننا كثيراً. يزداد الاهتمام بنا لهذه الدرجة لأول مرة. لقد أدركوا أهميتنا الاستراتيجية". أجل لقد أدركوها، ولكنهم يعرفون أيضاً أنك زائل. ولأنهم رأوا بأن الأمور تسير بالعملاء المتواطئين، فهم يقومون بإجراءات إضافية أيضاً.

هكذا هو مفهوم أمريكا لحدٍّ ما. وهي تقول في استراتيجيتها "سنبدي كل الحساسية الفائقة كي لا تتعرض الجمهورية التركية للانهيار والزوال، حتى ولو كان قبل ٢٤ ساعة أو حتى ساعة واحدة فقط من ذلك". إلا أنها من جانب آخر تتساءل بكل ارتباك واضطراب "ماذا عساني أفعل؟"، وستظل كذلك. وبينما تعلن PKK كحزب إرهابي من الدرجة الأولى، نراها من الجانب الآخر تفكر في إقامة علاقة مباشرة أو غير مباشرة معه، وتزج بكل المتواطئين معها في استنفار لذلك وتدعوهم إليها على أعلى المستويات، وتدس بعدة عملاء، وتتظاهر بأنها تشعل الضوء الأخضر لتلطف الأجواء لدينا ولتسيطر عليها المرونة تجاهها. إنها تهوى الأجنحة المرنة معها كثيراً، وتصر على خلق جناح كهذا لدينا بكل عناد.

حتى في الأثناء التي كانت تقول فيها "PKK إرهابي" كانت لا تدخر جهداً في اتباع موقف مفاده "اخلق PKK مرناً". وما هذا سوى مؤشر على مدى الضيق الذي تعانيه، وتصريح ساطع على مدى قربها من مرحلة

تعترف فيها بنا كقوة سياسية ذات شأن. ويمكننا القول بكل راحة أنها في الغد القريب ستعترف بـPKK بما فيها قوتنا القتالية المحاربة. ولن تتردد في البحث عن إبرام العلاقة معنا.

إن الاعتقاد بأن أمريكا ستواجه تصاعداً ثورياً كهذا باللامبالاة في استراتيجيتها، أو أنها ستسعى للرد على الثورة بأساليب شد الخناق عليها من قبيل الزعم بأنها "إرهاب" فحسب؛ إنما يتضمن نواقص جدية فادحة. بل إنها ستجهد للتسلل إلى داخل الثورة أيضاً. وها هي تذكر منذ الآن أنها تعتمد أساساً على الجناح المرن. وإذا لم تنجح في مساعيها هذه فستسعى هذه المرة للتسلل إلى الداخل وخلق جناح مرن كهذا فيه. وستستمر في موقفها هذا حتى ولو بعد تحقق النصر بعشر أو خمسين سنة. وإننا واثقون من ذلك تماماً، إلا أننا لا يمكننا تجاهل هذا الأمر تحت ذريعة أننا واثقون من ذلك.

سنرى بكل جلاء ما هي استراتيجيتها وعلاقاتها ومآربها. وبناء عليه لن نخافها، ولن نهاب العلاقات معها. لكننا سنشكك في آمالها ونواياها وقيمها الاستغلالية الامبريالية. سنتعرف عليها جيداً، وسنضع نصب أعيننا سياساتها هذه في كل زمان وسنقف في وجهها الآن وبعد عشر أو خمسين سنة أيضاً. بل إننا سنعمل على جذبها لعقد العلاقة معنا لنفهمها أكثر ونتحاسب معها ونحاسبها على هذه السياسة الدنيئة التي طالما اتبعتها لسنين عديدة، وسنتحامل عليها.

من المستحيل التغاطي عن أمريكا كأكبر قوة امبراطورية في المرحلة الحالية، أو عدم تقييمها من جميع الجوانب. أما استنكارها فهو من سابع المستحيلات. سننتبه لذلك حتى عندما نتعامل معها أو نكون على غير علاقة معها. من المهم جداً أن نكافح تجاهها عندما لا تكون ثمة علاقات بيننا، وأن نكافح تجاهها عندما ندعي بأننا بدأننا بعقد أفضل العلاقات معها. وإذا كانت الامبريالية تجدد ذاتها وتتقدم باستمرار، فمن الضروري أن تجدد ثورتنا ذاتها وتحافظ على قدرتها القتالية في كل مرحلة، كشرط لا غنى عنه لتحقيق عظمتها وتأمين ديمومة نجاحها ونصرها.

من الواضح جلياً أن الامبريالية لا تزال موجودة ولم تُمحَ من الوجود. هذا القول كان شائعاً في فترة سابقة بين صفوف اليسار التركي، أما الآن فيكاد اسم الامبريالية لا يُسمع ولا يُذكر. إن المفهوم المشوه بصدد الامبريالية يكاد يتحول اليوم إلى مفهوم "لا توجد امبريالية".

الامبريالية موجودة. بل حتى إنها قائمة بطراز دقيق مكثف أكثر من السابق بحيث بمقدورها التحكم أكثر بداخل الإنسان والتسلل إلى قلبه وعقله. قد لا تكون في مرحلتها التي يسود فيها السلوك العسكري الفظ أو الضغط السياسي الفظ أو الاستعمار الاقتصادي الفظ، إلا أنه ثمة تطور امبريالي متفوق أكثر من كل ذلك بحيث يصل بالإنسان إلى وضع يتجرد فيه من الثقافة والمشاعر والأحاسيس، وتهيج فيه الغرائز والنزوات الشهوانية ويكون أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.

علينا رؤية هذا الجانب من التطور الامبريالي الذي يهاجم بكل ضراوة على طبيعة الإنسان ومحيطه وروحه، وخاصة على تاريخه. وما الظاهرة البارزة في السنين الأخيرة من تدمير للطبيعة وجعلها في وضعية لا يطاق العيش فيها، حيث تسمى بظاهرة التلوث البيئي؛ سوى حصيلة الاعتداء المجحف والتعسفي للامبريالية.

هذا فضلاً عن أنه ثمة اعتداء ضارٍ على التاريخ والقيم التاريخية. وثمة جهود سارية على قدم وساق لفرض النسيان على كل القيم الأخلاقية والتاريخية التي تمثل كل شيء بالنسبة للإنسان، وذلك بالتذرع بأنها "اللا تاريخ" أو أنها "نهاية التاريخ"، وبفرض نمط حياة امبريالية يقال بأنها امريكية الطراز.

هل التاريخ هو الذي قد حلت نهايته؟

أم أنها الامبريالية التي شارفت نهايتها وانتهت وبقيت بلا تاريخ؟

أم أنها الإنسانية؟

يجب رؤية ذلك بوضوح. إنها تعتم الروح والوجدان. كما أن الامبريالية لا تنشأ على أساس الربح فقط. ثمة استعمار واستغلال فج فيها، ولكنها كشفت النقاب عن الروح التي لم تُكتشَف حتى الآن في الإنسان ومشاعره أيضاً. إن المتاجرة بالمشاعر والأحاسيس من خلال أنماط الموسيقا المبتَدَعة، والمتاجرة بالغرائز تحت ذريعة أنماط الحياة الجديدة وجعلها سلعة تجارية؛ إنما برزت وتصاعدت في المرحلة الامبريالية بأقوى أشكالها. أما القضاء على ثقافة الشعوب ومعنوياتها وقيمها الروحية وحقيقتها الوطنية تحت اسم العولمة والتكور، وشن الحرب على هذه القيم، وإتاحة المجال بلا حدود من جهة أخرى لحفنة من النصابين المختلسين والاحتكاريين الدوليين وللمأسسة

المتشابكة المعقدة غير الصافية "الكوسمولوتيكية"؛ فكل ذلك انتعش بأعلى درجاته على أكتاف الامبريالية ليحتدم الهجوم والاعتداء بهذا القدر.

ما يتبدى هو أنه ثمة تطور في الامبريالية، لا تراجعاً أو فناءً. هذا إلى جانب وجود تعمق وتسلل امبريالي للداخل واتساع نطاقه، لا انعداماً امبريالياً.

مثلما أن كل تطور يتضمن في وجهته علائم الانهيار، يمكن التفكير من هذا المنطلق بتواجد خمود واندحار للامبريالية أيضاً. حينها يبدأ الانعدام الامبريالي بدل النفوذ الامبريالي. ومن غير الممكن عدم النظر إلى ذلك كنزعة مضادة. لا ريب في أن الامبريالية – من ناحية ما – دخلت مرحلة الضعف والوهن، وأن نيل البلدان استقلالها، وتوجه الشعوب نحو وحدة في الحياة لا يمكن مقايستها بأي مرحلة منصرمة، إنما هو تعبير صريح عن تراجعٍ وانحسارٍ امبريالي.

ونخص بالذكر هنا ظهور مراحل الحروب التحررية الوطنية ومراحل الاستعمار الفظ للكدح واستغلاله على الأغلب في القرن التاسع عشر، بينما تسود الأشكال الأخرى في القرن العشرين. لقد اندحر الاستعمار الامبريالي والقمع السياسي الامبريالي في تلك الحقبتين الكبيرتين. وعلى الأرجح أنه سيكون القرن الحادي والعشرون قرن تجاوز كل التخريبات التي خلقتها الامبريالية في عقل الإنسان وروحه وثقافته. وعلى وجه الخصوص، من المهام التي ستحقق النجاح والنصر في هذا القرن هي؛ إعادة الطبيعة إلى حالة يمكن العيش فيها، التحكم في التزايد السكاني بالحدود الممكنة، الوقوف في وجه انعدام التاريخ أو هدر القيم التاريخية، الوقوف في وجه خنق روح الإنسان وكبتها، إعاقة تحويل المرأة إلى سلعة أو تحويل أنوثتها الجنسية إلى متاع مادي وسد الطريق أمام استغلالها، تحقيق انفتاح المرأة على الخدمة الإنسانية وتأمين التقائها بثقافة الإنسان وتاريخه وطبيعته. كما يمكننا التبيان منذ الآن بكل سهولة أن خلق مستوى رفيع من تحرر المرأة وتكريسه في الحياة سيكون هدفاً هاماً للثورات التي ستقوم في القرن الحادي والعشرين.

بهذا المعنى فإن مرحلة الثورات لا تنتهي، بل على العكس، إننا ندخل مرحلة ثورات أكثرعمقاً وشمولية ودقة.

أو أننا نخلِّف وراءنا مرحلة النضال الثوري الطبقي والوطني الفظ لنبدأ بمرحلة الثورات الاجتماعية، الثورات الثقافية، الثورات الروحية، الثورات المعنوية بأعمق أشكالها. وهي ثورات قيِّمة بقدر الثورات العسكرية والسياسية والاقتصادية على الأقل.

كيف يمكننا الحديث عن ثورة أو حياة سليمة ما لم تتواجد الثورة الروحية، والثورة الاجتماعية، والثورة الطبيعة للإنسان؟

لذا، ومقابل الاعتداءات المتعمقة والمتعززة للإمبريالية، ثمة حاجة ماسة للثورات المتعمقة الراسخة في الروح والمفعمة بالمعنويات والأخلاق والتاريخ والثقافة. إنها مرحلة ثورات كهذه، ويمكننا القول أننا نعيش عصراً كهذا.

لا جدال في أن الإمبريالية لا يمكن أن تهاجم الثورات الشعبية أو البنى الاجتماعية للبشر بقواتها الهجومية الفظة مثلما كان في السابق. بل إنها ستهاجمها بأساليب مغايرة، وهذا ما تفعله. إنها تعتمد على التقنية والاكتشافات العلمية لتفرض بذلك إدارة نفسية مذهلة على العالم. إنها تؤسس الإدارة العلمية والإدارة التكنولوجية في العالم، وتعمد إلى شد الحصار على الإنسان وأسره بالتقدم التقني. لن تستخدم الذَّرّة بعد الآن، ذلك أنه إذا ما استخدمتها فستصبح الدنيا في وضعية لا تتحمل هي أيضاً العيش فيها.

هذا بالإضافة إلى أنه لا داعي للاستيلاء على أماكن واسعة، مع أنه لم يبق بقعة لم تحتلها في الواقع. لهذه العلة من الضروري بالنسبة للإمبريالية أن تطور نموذجاً آخر من الاحتلال والاستيلاء، وأن تخترع نمطاً آخر من تقنيات السلاح. وهي تسعى الآن لتحقيق أهدافها هذه، إنها الحرب النفسية. بهذا المعنى تستخدم هذه الأساليب بعمق كبير وستستخدمها مستقبلاً أيضاً.

ثمة نقل للحرب إلى العقل والروح لتعشش فيها، حيث تطورت أواصر عقلية وروحية جديدة، وستتطور أكثر. لذا ستتم مستقبلاً الثورة العقلية والثورة الروحية، وستوجد أساليبها وطرقها.

إنها ثورة القدرة على التفكير المستقل، وعدم بيع الروح، والحفاظ على القيم الإنسانية الأساسية، ويمكننا تسميتها بالثورة المحافظة.

ذلك أنه عليك الحفاظ على الإنسانية عندما تتم المحاولات للقضاء عليها. وعليك المحاربة والكفاح لإعاقة تدمير الطبيعة بالأساليب والتقنيات الملائمة لذلك حينما تتم محاولات كهذه. سنتصدى مساعي القضاء على المجموعات السياسية والبلدان بدون سبب، وسنتحدى محاولات تشويه اللغة والثقافة. يكاد يكون زج الإنسان في الارتباك والتوتر الشديد بمثابة مرض جديد. بل إن الاضطراب النفسي أصبح أساس ومنبع كل الأمراض. كما تتطور أمراض أخرى كمحصلة للشذوذ والانحراف الجنسي من قبيل الأيدز.

عليك التحلي بميزة إنقاذ الإنسان تجاه كل هذه الآفات. الاضطراب النفسي "الأرق" هو أحد ظواهر الإمبريالية. والكفاح ضد هذه الأمراض الجديدة كفاح ضد للإمبريالية، عليك إيجاد شكل وأسلوب ذلك. يقال في الأيدز بأنه وباء العصر، وهو ينبع من الانحراف والشذوذ الجنسي. سنعيق ذلك عبر مفهوم جنسي صحيح، ورجال العلم الإمبرياليين أيضاً يقولون ذلك.

إذن، فالثورة هي الحل الوحيد الصحيح لذلك أيضاً. ثمة أمراض عديدة ناجمة عن طبيعة التطور الإمبريالي. وما أسميناه بحادثة "الأرق" (الاضطراب النفسي) هو مرض عضال لا يمكن تجاوزه إلا بواقع اجتماعي أو تنظيم اجتماعي جديد، أي بالثورة. وسنوجد التقنية الجديدة لذلك.

تبدأ مرحلة نظرية جديدة تماماً للاشتراكية، إذ لن يكون بمقدورنا المساهمة في إغناء النظرية الاشتراكية من خلال تقييمات القرن التاسع عشر. بمعنى آخر، لا يمكننا إغناء النظرية الاشتراكية بحفظ التقييمات والنظريات الاشتراكية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر عن ظهر قلب، ولا من خلال التقييمات التي كانت موجودة في عصر الإمبريالية والثورات التحررية الوطنية في القرن العشرين. وبالطبع لا يمكننا الادعاء بأننا اشتراكيون ماهرون من خلال حفظ كل ذلك عن ظهر قلب. لا يمكننا إبداء أية مساهمة للاشتراكية بمجرد الاكتفاء بطرح القضايا المتواجدة في القرن الحادي والعشرين أو في المرحلة التي نمر بها، ورؤية المستجدات المتجذرة على نحو أعمق. بل يتحتم إلى جانب ذلك صياغة نظرية تحدد أساليب وطرق الوقوف في وجه هذه المشاكل وإيجاد قوة الحل لها.

أجل، هناك حاجة لنظرية تناسب هذه المرحلة، ولكن علينا ألا نتنكر تماماً للماضي. كما يجب التفكير في أن إغناء المفاهيم الحزبية وتكتيكاتها النضالية دون استنكار القديمة منها، هو مساهمة ملحوظة للاشتراكية. يجب التطرق إلى اكتشاف تكتيكات جديدة كمشاركة في تكتيكات الصراع الاشتراكي.

كل ذلك يدل على أنه، لا يوجد زوال لعصر الاشتراكية – على أساس الكفاح في سبيل النظرية والعملية – أو انهزام لها. بل على النقيض من ذلك، هناك تجدد لها وتطوير لصياغة نظريات جديدة. والأهم من كل ذلك تطبيقها على أرض الواقع عبر ممارسات عملية جديدة، وامتلاك القدرة الخلاقة المتجددة في ذلك. بهذا المعنى، بقدر ما يحتد الكفاح ضد الإمبريالية وممثلها الأساسي، فإن تمثيل الاشتراكية أيضاً يدخل مرحلة جديدة.

لا يعني انهيار الاشتراكية المشيدة في السوفييت أنه نهاية كل شيء، فالمكتسبات الاشتراكية البارزة هناك ستشق طريقها بأشكال مختلفة. إن المكتسبات الوطنية والاجتماعية الحاصلة في العديدة من بلدان العالم، الصغيرة منها والكبيرة، وشعوبها، تُظهر للعيان أن مرحلة كهذه سيتم خلقها، وأن التعبير العلمي عن الجوهر الخلاق المبدع للاشتراكية يتطلب ذلك لا محال، وأن ذلك هو الاشتراكية بحد ذاتها. وإننا قد أظهرنا بشكل ضارب وملفت للنظر في تجربتنا، أن ذلك أمر ممكن.

ولاشك في أنه ليس من الصعب تقييم الوطن الذي نهدف إليه ضمن هذا الإطار.

بينما تلعب أمريكا دور الإمبراطورية الرئيسة والمؤثر الأساسي، نرى ألمانيا لا تقف مكتوفة اليدين، بل فعلت دوماً ما فعلته في القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث نزعت إلى التحول الرأسمالي في كل وقت، وسلطت الحربين العالميتين الأولى والثانية على رقاب البشرية، وتسببت في اندلاع العديد من الحروب الصغيرة والكبيرة في شتى الأنحاء. وقد وصلت لمرحلة حققت فيها العديد من التطورات الفاشية ومجازر الشعوب وأصبحت بلاء مسلَّطاً مرعباً. ليس فقط المجازر بحق اليهود، بل هل من الممكن عدم رؤية المساندة الألمانية للاتحاد والترقي في تنفيذ مجازر الأرمن أيضاً؟ دعك من ذلك، فهل من الممكن عدم رؤية المساندة الألمانية في المجازر المطبقة اليوم في كردستان؟ حقاً، يتسم رؤية نصيب الإمبريالية الألمانية في المجازر، سواء المطبقة داخلها أو خارجها، ووضع النقاط على الحروف في ذلك، بأهمية كبرى.

لملمت اليابان أشلاءها للتوّ لتوسع من نفوذها على العالم. كيف تجهد بكل ما في وسعها كي لا تكون أقل شأناً من أمريكا وألمانيا في تغذيتها لهذا النظام الفاشي؟ وبزعمها لربطها من الناحية الاقتصادية، يتوجب التنبه إلى مساعيها الحثيثة في التسلل إلى منطقة الشرق الأوسط. إنها تستيقظ مؤخراً لكنها تؤول إلى نتائج وخيمة.

من المهم بمكان تقييم التشويه الحاصل في روسيا أيضاً على نحو صائب. هل روسيا امبريالية؟ مع انهيار الاشتراكية المشيدة، هل ستتطور الامبريالية في روسيا، أم سيظهر تطور اشتراكي جديد؟ يستلزم تحليل السمة المتناقضة للسياسة الروسية على نحو سليم. فانهيار الاشتراكية المشيدة لا يعني النهاية والزوال كلياً، بالتالي ظهرت قوى اشتراكية من جهة، وتنافرت معها القوى القومية التعصبية أو ما نسميها بالميالة للرأسمالية من جهة ثانية. وتصدرت تناقضاتها، خاصة علاقاتها مع الدول الامبريالية، أحاديث الساعة. كما يستلزم دراسة انعكاس ذلك في دول البلقان وحتى القفقاس والشرق الأوسط بشكل دقيق.

كما يتوجب الحسم جيداً في مسألة كيفية حدوث انطلاقة الثورة الكردستانية في أجواء تعمها هذه التناحرات والصدامات الامبريالية المتفاقمة، وكيفية استفادتها منها. بهذا المعنى فانهيار الاشتراكية المشيدة قد صعّد من حدة التناقضات في هذه البلدان الامبريالية المذكورة. يستلزم –لا محال– القيام بتحليل جيد للوضع المساعد للانحلال والملائم للتطور أكثر مما كانت عليه الحال في أيام الوضع القديم، والتنبه للمرحلة التي حانت كفرصة سانحة لتشق الثورة فيها طريقها ضمن هذه الفوضى وانعدام النظام الذي أسمته أمريكا بـ"النظام الجديد".

هذا بالإضافة إلى أنه ثمة تطورات عديدة في بلدان منطقتنا "الشرق الأوسط". فالصراع العربي – الإسرائيلي، الذي يبدو وكأنه عداوة أزلية، يظهر وكأنه يميل نحو المساومة والوفاق. إلا أنه يستلزم التبيان أن ذلك ليس بمكنته جلب عهد يسوده السلام والوفاق الكلي. فبنو إسرائيل، أو كيانهم الصهيوني، لن يقبلوا بسهولة بالاكتفاء باسرائيل لوحدها. الصهيونية هي القوة المؤثرة والمتحكمة في مجرى الأمور في العالم، وهي لا تكتفي بفلسطين والدول العربية، بل ستسعى لتوسيع محيط تأثيرها باستمرار. كما أننا نعلم بالطبع مدى تأثيرها على تركيا، ومدى ثقل وزنها في الإدارة التركية، وكم هي سيدتها المتحكمة فيها. كما ندرك جيداً كم أرادت نشر ذلك في كافة الجمهوريات التركية، وكم نشرته بالفعل. هذا بالإضافة إلى مدى وكيفية اعتماد العديد من القوى الإدارية العربية عليها. لذا من الضروري التنبه إلى أن هذه التناقضات المذكورة لا يمكن أن تتساوم في طرفة عين. بل علينا

الملاحظة أن هذه الخصائص المتضادة ستتعمق وتستمر وتتفاقم باضطراد. إلا أنه من جانب آخر ثمة حاجة للمساومة والوفاق، ذلك أنه تجلى بما لا غبار عليه أن الإدارات الحالية وتنظيماتها وأشكال نضالها وكفاحها لم تعد تفي بالغرض لتكريس توازن القوى الحالي ضمن الواقع العربي – الاسرائيلي. بل إنها فقدت معناها أيضاً. فلا العرب يستطيعون القضاء كلياً على إسرائيل مثلما يدّعون ويزعمون، ولا إسرائيل بمقدورها أن تفرض الذل والخنوع على كافة العرب. لذا من المستحيل الحديث عن نصر نهائي لكل من الطرفين على السواء. وهذا بالذات ما يشكل أرضية لما أسميناه بالمساومة والوفاق. والمحصلة ستكون محاورات السلام. فلا مآرب إسرائيل ولا أهداف العرب يمكن تحقيقها على النحو المراد له، بل سيلتقون في نقطة وسطى. والآن يقومون بالمحاورات واللقاءات الثنائية والمتعددة لأجل ذلك. ومثلما أنه لن يكون بمقدورها التوجه نحو شن حروب تستهدف القضاء على الطرف الآخر، فإنه لا يمكن بهذا الشكل الحديث عن سلام دائمي طويل المدى واستراتيجي.

ما يتم الآن هو وفاق متذبذب ضمن مرحلة مضطربة ومتوترة على الأغلب، وقد ينهار هذا الوضع في كل لحظة. سيتطور الوفاق، إلا انه سيحتضن في جنباته الكثير من بذور الاشتباكات العديدة. وها نحن نرى في كل يوم كيف يسود هذا الوضع ومن ثم ينهار ثانية.

من الضروري إضافة وضع إيران من الشرق إلى ذلك. لقد رأت إيران نفسها منذ القديم ضمن عراكات متتالية سواء مع القوى الآتية من شبه الجزيرة العربية أم تلك الآتية من الأناضول أو القفقاس أو آسيا الوسطى. وما الصراع الإيراني – العراقي سوى استمرار لهذا التاريخ. كذلك الحال بالنسبة لصراعها مع تركيا، حيث له جذوره التاريخية. أما انعكاسه المذهبي فلا يحوز بأهمية تذكر، فالصراع سياسي الماهية، ويرتبط كليا بالتناقضات القائمة بينهما. لذا فهي لا يمكن أن تتساوم بسهولة مع تركيا، وعلى وجه الخصوص لا يمكن أن تؤسس معها علاقة ودية يؤتمن لها.

كما أنها لا يمكن أن تقيم اليوم علاقات صداقة ودية دائمة مع العالم العربي عامة والنظام العراقي خاصة. ذلك أنه ثمة تناقضات كبيرة بينهما. لذا فهي مؤهلة لتكون إحدى القوى المتصارعة في منطقتنا. وقد كانت حالها في أيام الشاه مثلما هي حالها اليوم بإدارتها الحالية. وقد يتكرس وضعها هذا غداً أكثر فأكثر. إلا أنها لا تستطيع

شن الحروب أو التحريض عليها كثيراً لما تعانيه من مشاكل، لكنها من جانب آخر لا تستطيع العيش كثيراً في وئام ووفاق. علينا رؤية هذا الجانب أيضاً.

يتطلب النضال على مدى طويل ضد الرأسمالية

يتعلق تطور الإنسان بقدرته الفكرية عن كثب. وبدون وجود قوة الفكر والعقل لدى الإنسان وما يتمخض عنها من انعكاسات على الإرادة والروح، لا يمكن للحياة العملية أن تتطور ضمن سياق التطور الإنساني. وعندما يكون الإنسان هو موضوع النقاش تظهر الحاجة أولاً لمثل هذا التطور العقلي والفكري. لماذا يعد الحيوان حيواناً، مع أنه ثمة ميول معينة لديه، ولو بنسب متفاوتة، تجعله يسير ويحيا؟ وإلا فالحيوان لا يتدحرج مثلاً كالصخرة الصماء. أما الإنسان فهو ظاهرة وجودية غلب عليها الجانب الفكري بالتأكيد عندما بدأت ظاهرة المجتمعية "التحول الاجتماعي" بالتكون.

أقول ذلك لهذا السبب؛ مستواكم العملي منفصل عن الفكر. وهذا أمر خطير للغاية، لأنه يتضمن في ذاته خطر البقاء في مستوى الكائنات البدائية. يتجاوب الإنسان مع المشاكل الطبيعية الثقيلة الوطأة عن طريق الفكر، وهكذا يستمر في وجوده. كما أنه يجهد لحل المشاكل الاجتماعية أيضاً بالقوة الفكرية. وباقتضاب، بدون وجود الفكر والعقل وقوة الخيال، تستحيل الحياة.

تكادون تنسون التفكير، أو أن ما تعتبرونه فكراً وتحفظونه مبتور من الحياة. وإذا ما أردنا شرح الأمر على نحو ملموس أكثر، بإمكاننا القول أنه لنا حياة ثورية ينفصل تفكيركم عنها. لم تتمكنوا من الإجابة بشكل لائق على سؤال "كم من الفكر، وكيف، لأجل القيام بعملية ثورية؟"، ولا تزالون عاجزين عن الرد عليه. أقول ذلك لتنبيهكم على المغالطة الفظيعة التي أنتم فيها.

إذن، فالكائن الاجتماعي يتطلب ظروفاً فكرية تمهيدية كهذه. لن نتطرق هنا لشرح مفصل لتاريخ الفكر الإنساني، ولا داعي للاهتمام هنا بدراسة تطور الفكر الإنساني على مر التاريخ. فهذا موضوع أكاديمي، ولا

جدوى في تخصيص مكان خاص له هنا. ومن يرغب ذلك بإمكانه البحث والتدقيق في التاريخ. والتاريخ الفكري يتم تدريسه في الأوساط الجامعية الأكاديمية المختصة كدرس هام وأولي.

ثمة منعطفات أساسية في تاريخ الفكر، ويمكننا العبور عليها مرور الكرام. في البداية كان المستوى الفكري متخلفاً للغاية في الإنسان لدرجة يعبّر فيها عنه بأنه بدائي، ويتم التعبير عنه من خلال السحر والشعوذة وظهور الأديان على الأغلب. بمعنى آخر، فسواء السحر والشعوذة، وسواء التيارات الدينية، تُعتبَر في الحقيقة الأشكال الأولى للفكر. الدين أيضاً هو فكرة، ولكنه متخلف كثيراً عما نسميه بالعلمية من انضباط ونظام. ومع ذلك لا يزال يحافظ على وجوده، وسيستمر في مسيرته. هناك السحر والشعوذة أيضاً، والسبب في ذلك يعود إلى ارتباط هذه الظواهر بوجود الإنسان.

هل يمكن للإنسان أن يكون علمياً على وجه التمام؟

هل باستطاعته الاستمرار في كل تصرفاته وسلوكياته على أساس العلمية؟ هذه الأسئلة هي في نفس الوقت أسئلة فلسفية بلا جدال. وثمة فرضيات وآراء في هذا الخصوص بحيث تتطور بنسبة ملحوظة على مستوى علمي. إلا أن التفكير أو التصور بزوال الخيال والدوغمائيات والدين من الوجود لا يبدو كأمر محتمل، وهذا ما يتوارى في طبيعة الإنسان. فطبيعة الإنسان مرغمة على تخصيص مكانة معينة بلا شك، وحسب الحاجة، لكل من الخيال والدوغمائيات والمسائل الدينية التي يقال فيها أنها قيم مقدسة، وحتى الأخلاق والمعنويات. ونخص بالذكر هنا الحالة التي نسميها بالمعنويات، إذ بدونها من المحال أن تخلو حياة الإنسان من المصاعب والمشاكل، وبها يكون عيشه سليماً وصحياً.

وينبع الانسداد البارز في أيديولوجية الاشتراكية من افتقارها للمعنويات.

وعلى الأرجح أن عدم تداول مسألة الدين والمعنويات على نحو صائب كان السبب الأساسي في انهيار الاشتراكية المشيدة. أي أنه، وبقدر الحاجة للعلمية والفكر العلمي، يعد الادعاء بأن "كل شيء يتطور كما هو مدون في الوصفة الطبية الجاهزة" مثلما كان في المادية البحتة "الفظة"، دليلاً على عدم معرفة ماهية الإنسان.

وقد طُبِّقت المادية البحتة "الفظة" لحد ما في الاشتراكية المشيدة. والمآل الأخير البارز كان انهياراً مروعاً للغاية. ولا شك أنه ثمة دروس وعبر جمة يمكن استنباطها من ذلك.

لِمَ يكون المجتمع البشري هكذا؟

بيد أن الدياليكتيك يوضح هذا الموضوع نوعاً ما. ثمة قوانين أساسية للديالكتيك، وإذا لم تُحَرَّف عبر مواقف المادية البحتة، أي إذا تمكنا من تجاوز الحالة التي شهدناها حتى اليوم للاشتراكية؛ ستزداد قدرتنا على معرفة ذاتنا أضعافاً مضاعفة. وإذا ما تداولنا العلمية لوحدها منفصلة عن غيرها، فسينمّ ذلك عن مخاطر تماثل على الأقل ما تتضمنه الدوغمائيات الدينية من أهوال.

المادية البحتة أو الدترمينيزم (Determinizm) التي تنادي بالعلمية البحتة الصارمة (أو ما يقال لها تحديد التحديد)، لا تلائم خُلُق الإنسان كثيراً.

لا نود هنا الدخول في الفلسفة. أي أننا لا نقوم هنا بدراسة مسائل وأسئلة فلسفية من قبيل؛ هل الروح قبل المادة أم العكس؟ هل الوعي يحدد المادة أم المادة تحدد الوعي؟.. ورغم تقدم العلم إلا أنه لم يجد الحل الجذري بعد لهذه المسائل. كما تدل التطورات الأخيرة الحاصلة في العلوم الفيزيائية والبيولوجية وحتى البسيكولوجية على أن هذه المواضيع ليست أموراً بسيطة.

بل وتدور النقاشات فيما إذا كانت الذَّرّات المادية هي كائنات ذات مشاعر أم لا! وتكاد مسائل تحوُّل المادة إلى طاقة، واختلاط المادة والروح، تُمحى وتزول بعد نقطة معينة. أيها تأتي قبل الأخرى؟ وإذا ما توغلنا أكثر فيها لظهرت لدينا حالات ماوراء الفيزياء "الميتافيزيقيا" أو ماوراء الروح "الإلهيات"، والتي لا تحتويها ذاكرة الإنسان ولا تحتملها. أي ثمة نسبية ومحدودية كبيرة في الإنسان. ورغم وضع الإنسان ذاته محل الإله، إلا أنه بالإمكان القول أنه لن يكون كذلك البتة. وحتى إن أصبح إلهاً، فلن يكون بمقدوره التخلص من الامتثال والانصياع لقوانين الدياليكتيك إطلاقاً. يحظى التأثير المادي للتطور الفكري بأهمية ملحوظة، وهو ما يحدد وجهة الحياة. إلا أن انتهاج المادية المتطرفة أو الروحانية المتطرفة، يسفر عن حالات عقيمة.

هذه هي المعضلة الأساسية القائمة في عصرنا اليوم. وهي تبدو ظاهرياً كمشكلة نشوء الإنسان الأول وظهوره، إلا أنها في الواقع تهم الإنسان الحالي أيضاً. ثمة مصطلحات قوية وقوى مهيبة خارقة وتفكير وعبادة استثنائية لدى الإنسان الأول، وقد حلت هذه المسألة نوعاً ما. لكن الآن أيضاً، ثمة أهوال لا تقل شأناً عما كانت في الماضي، ويتم البحث الدؤوب عن حلول علمية لها. ومثلما يلاحظ أنه ثمة فوارق بسيطة وقليلة بينها، نرى أنه هناك مشاكل قائمة الآن أثقل وطأة بكثير من تلك التي كانت موجودة قبل عدة عشرات آلاف من السنيين. في الواقع، بالإمكان هنا دراسة الإنسان على نحو أكبر، بل ويمكننا تداوله بجوانبه الفكرية إلى جانب المادة والطبيعة على نحو متداخل. لكن هذا خارج إطار موضوعنا. فالدخول في الفلسفة الآن ليس أمراً ضرورياً، ولا داعي له حسب إطار الموضوع الذي نعالجه. ولكن لا يمكننا النظر فيه دون عقد أواصره مع الفلسفة بالطبع.

الأيديولوجية والمعنويات ضرورية للإنسان الأول والإنسان الأخير على السواء

لا يمكن لأحد تصور انعدام الأسس الأيديولوجية المنيعة في حركة PKK. بل على النقيض من ذلك، إنها تمتلك أرضية أيديولوجية في أكثر المستويات تقدماً. وكما يلاحظ، إنها لا تشبه الاشتراكية المشيدة ولا هذه الأيديولوجية أو تلك. ثمة موقف أيديولوجي مستمر قُدُماً في تطوره الديناميكي. لكن لا يجب المرور على مسألة التطور الأيديولوجي مرور الكرام.

بالأصل، يعود السبب الرئيسي لعدم تحكمكم في ذاتكم بحالتكم هذه إلى افتقاركم إلى الأرضية الأيديولوجية المنيعة. ينتاب الخوفُ الإنسانَ من وضعكم لأنكم بلا أيديولوجية. قديماً كان يقال "عديمو الإيمان، عديمو الدين، عديمو الأخلاق". والإنسان عديم الأخلاق يعبر عن حالة واهية، كذلك الأمر بالنسبة لعديم الدين. لذا يلعن المجتمع أمثالهم جميعاً ويعاقبهم أشد عقاب. والآن تحل الأيديولوجية محل كل هذه المصطلحات. وخاصة لدينا، فالأيديولوجية شرط لا غنى عنه. أنا لا أتكلم عن أيديولوجية المادية البحتة "الفظة" أو هذا المستوى المتحقق أو ذاك من الاشتراكية المشيدة، بل أتكلم عن احتياج أساسي للغاية، أي عن الاحتياج الأيديولوجي. خاصة وأن هذا ليس ضرورياً لأجل الآن فقط، أو لأنكم تنتمون إلى PKK فحسب، بل إنه ضروري أولاً وأخيراً. إنه مهم للإنسان الأول وسيكون مهماً لآخر إنسان أيضاً، إلا أنه يطرأ عليه التغير على مر العصور.

إذا كنا كشعب نقبع في مستوى يكيل فيه اللعنة علينا كل من حولنا وينفر منا، فسبب ذلك يرجع إلى افتقارنا إلى الأيديولوجية. أي إلى القيم الفكرية والمعنوية الموافقة لواقعنا المادي الخاص بنا. لو أننا كنا شعباً يربط بين قوته المعنوية والفكرية وبين واقعه المادي القائم، لما كان وضعنا مثلما هو عليه الآن على الإطلاق. ويمكن التعبير عن هذا الوضع بالقول "إن هذا الأمر قد فصل شعبنا طيلة التاريخ الاستعماري عن المعنويات الأيديولوجية بهذا الشكل أو ذاك". لكن المهم هنا هو تحقق هذا الوضع.

وعوضاً عن التلفظ بالكلمات التي طالما رددها الكل من قبيل "شعبنا جاهل، عديم الفكر"، بإمكاننا القول على العموم أن شعبنا عديم الأيديولوجية، عديم المعنويات. ولكونه فُصِلَ عن هذه المصطلحات الأساسية، وزجَّ به في مستوى أقرب ما يكون فيه إلى الحيوان. ويتم استعماره قدر ما يُراد، والركوب عليه قدر ما يُراد، وقتله قدر ما يُراد، ومقابل ذلك فهو لا يستطيع التفوه بأية كلمة، وإن تفوه بها فلا أحد يأبه له.

فكروا في مسألة تحقيقي لذاتي. وإذا كنتُ قد استطعتُ أن أصبح صوتاً مدوّياً ومسموعاً، فسبب ذلك يعود أساساً إلى تطوير ذاتي أيديولوجياً. ولو انتبهتم لرأيتم أنني لم أقم بأي عمل بالسلاح "بمعناه الفظ" ولا بالمال.

طراز عملي يكون بالأيديولوجية.

وامتلاكي قوة فكرية كبرى وملائمة لواقعنا المادي ومنسجمة معه، وإبداعي للفكر، وبلوغي بذاتي إلى مستوى القدرة على تطبيقه؛ قد حولني إلى انفجار كبير.

لماذا أمتلك هذا القدر من قوة التأثير؟ يصفونني الآن بأنني كالمعجزة لأنني حلّلت في ذاتي عدمية الأيديولوجية وعدمية المعنويات، وعن طريق هذا الحل أصبح مستوى تطبيق ذاتي عملياً ينسجم كثيراً مع الظروف المادية السائدة. ولأجل ذلك تتسم كل انطلاقة تاريخية بمزايا خارقة معجزوية.

لنضع نصب أعيننا الظروف المادية للعرب في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، أو الوضع المادي السائد في أوربا قبل قيام الثورة الفرنسية، أو الوضع المادي السائد في روسيا قبل قيام ثورة أكتوبر، وقد ذكرتُ هذه الثورات باعتبارها من الثورات المعروفة لدينا؛ سنرى حينها أنه ثمة بُعد كبير حقاً عن الأيديولوجية، وتفشٍ في انخفاض المعنويات وسيادة اليأس، أو نفوذ زمرة ضيقة منفعية في عموم المجتمع لتهشيشه وتهميشه. ولأجل ذلك ثمة حكومات مهيمنة لا تفعل شيئاً سوى تعميم الجهل واليأس، ويمكن تسميتها بالديكتاتوريات أو الإدارات الظالمة. وفي مرحلة كهذه يظهر شخص ما يحمل على عاتقه مهمة الريادة الأيديولوجية والمعنوية للذين انفصلوا عن الايديولوجية والمعنويات، ويتحول بعد مدة وجيزة — سواء كان شخصاً أوعدة أشخاص — إلى انفجار اجتماعي كبير. وهذا ما نسميه بالثورة.

أين تكمن عظمة النبي محمد "ص"؟ تكمن في مواجهة عهده الذي تسوده ظروف اجتماعية متخلفة وفظة للغاية، بمستوى عالٍ ورفيع من الفكر والمعنويات. ذلك أنه يقوم بجمع القيم الدينية المتشتتة المتبقية وتوحيدها في القرآن– كانت الأفكار حينها تعبَّر بالألفاظ والمصطلحات الدينية – ويمنحها للمجتمع بمعنويات عليا. وهكذا يحصل انفجار إسلامي عظيم. الوضع المادي للعرب في تلك الأيام كان متخلفاً جداً، حيث لا يعرفون معنى الفكر، لذا كانت الإنسانية تتهاوى بكل سهولة في سبيل مصالح بسيطة وتافهة. هذا فضلاً عن أوضاع ملعونة أخرى جمة مشابهة لذلك. وهنا تجد هذه الانطلاقة الحل لهذه الأوضاع.

قُبَيل الثورة الفرنسية أيضاً وصل تطفل الفئة الأرستقراطية وازدياد التحول إلى البروليتاريا، إلى حالة لا تطاق. فأحد الطرفين يعيش الحيوانية من الأعلى، بينما يعيشها الطرف الأخر من الأسفل. ومن البديهي أن الرد على ذلك سيكون بانطلاقة أيديولوجية ومعنوية كبرى. بيد أن فلاسفة هذا العصر هم من أعظم المفكرين ومؤسسي الأخلاق. أما محصلة ذلك فهي، الثورة الفرنسية.

يستمر ذلك في الثورة الروسية أيضاً، لتسود الحيوانية في روسيا في البنية الفوقية والتحتية على السواء في ظروف أشد تخلفاً. والرد على ذلك أيضاً كان بموقف اشتراكي راديكالي للغاية، وما يدعمه من فكر ومعنويات. وهذا بحد ذاته يشكل ثورة عظمى.

الواقع الكردستاني أيضاً مشابه لذلك لحد ما، إذ يسود نظام حيواني بكل معنى الكلمة. ففي الأعلى ثمة إدارة حيوانية، ومن يتحملها في الأسفل يتحول إلى حيوان. ونحن رأينا هذا الوضع، وجهدنا لتحديد كيفية تجاوزه وتعيين الفكر والمعنويات اللازمة لذلك. وفي المحصلة ظهر انفجار مُدَوٍّ أسميناه بالثورة الكردستانية. وإلا فمن أين انتهلنا قوتنا؟ إننا لم نصمد بالمال أو العادات الاجتماعية القديمة البالية أوحتى بالأشكال التنظيمية السائدة للطبقات والشرائح في المجتمع. بل على العكس من ذلك، قمنا بتمزيق كل ذلك إرباً ارباً، لأنها جميعها قد تردت وحُطَّ من شأنها. إن ما قدمناه هو إمكانية التقييم السليم للواقع الذي نعيشه حقاً من جهة، وصياغة الفكر والمعنويات الأكثر ملاءمة لتحقيق انطلاقة من ذاك الواقع من جهة أخرى.

لا يمكنكم الاستهانة أو الاستخفاف بذلك، حيث أن حقيقتكم بادية للعيان. ولهذا السبب أوصيكم كل يوم بالتقرب من الحياة بفكر كافٍ ومعنويات عالية. إلا أن قوتكم الفكرية ومعنوياتكم لا تزال غير قادرة حتى على

إنقاذكم لأنفسكم. إنكم عاجزون عن التخلص من كونكم مساكين بؤساء. أي واحد منكم يتحلى بمعنويات عالية، وتفي قوته الفكرية للتجاوب مع الظروف المادية القائمة؟ لغياب ذلك فيكم أقول أنكم متذبذبون وغير مبدئيين وغفلة. إن عدم بلوغكم للحل، وخاصة الحل القيادي، يجعلكم متخلفين جداً عن مواكبة تطور PKK، بل وحتى "PKKويين" مزيفين. ولهذا السبب أنتم عاجزون عن إحراز التطور، ذلك أنه للتطور قوانينه.

إذاً، فالأمر يرتبط بالفكر عامة، وبشكله الأيديولوجي خاصة. أي أنه يمكن إقامة علاقة بين الفكر والأيديولوجيا.

الفكر هو الفرضيات العامة، الأفكار العامة. والأيديولوجيا هي الأفكار المتطابقة والمتكايفة مع الظروف المادية لمجتمع ما، وتم التفكير بها لمصلحة ذاك المجتمع، وحتى أنها صيغت بمقتضى ذلك.

إنها تعبر عن فكرة وموقف معني بمجتمع ما، سواء بهدف تطويره أو جذبه إلى الوراء أو فرض المحافظية والتزمُّت عليه. ثمة أيديولوجيات رجعية وأخرى تقدمية. ثمة أيديولوجيات متزمتة وأخرى تستهدف التغيير. ترتبط الأيديولوجيات بالمستوى الاجتماعي الملموس وتتوازى معه.

ثمة سياق لتطور الأيديولوجيات أيضاً على مر التاريخ. فالأيديولوجيات الدينية تطورت، سواء في هذا المجتمع أو ذاك، وبهذا المستوى أو ذاك، إلا أنها تستمر قُدُماً دون انقطاع. هذا إلى جانب وجود أيديولوجيات يغلب عليها الجانب الفلسفي. وهنا علينا فهم لفظ الفلسفة وماهيتها. تنبثق الفلسفة من الدين، أو أنها تظهر أمامنا بعد مرحلة معينة من تطور الدين. أي أنها قديمة في تاريخها قِدَمَ الدين على الأقل.

ما يميز الفلسفة هو كونها أقرب إلى العلمية. فهي لا تقول "الله موجود، هكذا يقول الله"، ولكنها تشرح وتقول "هناك الطبيعة، وهي هكذا". أي أن الفلسفة، على غير بعض الدوغمائيات الأخرى، تطور الأفكار حسب حقائق الطبيعة. ثمة جوانب عديدة منها مشابهة للدين، بحيث يتداخلان مع بعضهما، لكنهما يختلفان أيضاً عن بعضهما البعض. فالفلسفة تسعى نوعاً ما لتحليل وتفسير ظواهر الطبيعة، بينما يعتمد الدين كلياً — وحينما نقول كلياً لا نقصد بذلك أنه يتجاهل تماماً وجود الطبيعة — ومنذ بداياته على مبدأ ماوراء الطبيعة. فهو يقول

"ذاك الرب، وهذا كلام الرب"، ويسعى لتنظيم الطبيعة والحياة المادية بموجب ذلك. وعلينا ألا ننسى أن هذا أيضاً نمط فكري. فمن يعتقد كلياً بماوراء الطبيعة نراه يتميز بالقوة، لا لأنه هناك الله، بل لأنه يتحلى بقوة فكرية ثابتة تغلب عليها المعنويات العالية.

متى وكيف تكونت فكرة "الله"؟

تمر هذه الفكرة من عدة مراحل تطور، ولازال المقصود بكلمة "الله" مجهولاً. حتى لدى آينشتاين الذي حقق تقدماً ملحوظاً في العلم، نرى وجود فكرة "الله". حتى الفرد الذي ينظر إلى أية قوة طبيعية بدائية على أنها إلهاً، تتواجد لديه فكرة "الله". إلا أنه ثمة فرق بين هذه الحوادث. فالعلم أيضاً يتكلم عن تعريف من قبيل "القوة الموجهة للطبيعة" أو "قوانين الطبيعة". ما نريد قوله هنا هو أن مصطلح "الله – الرب" لا يزال يقطع أشواطاً من التطور. وبمعنى آخر لا يقلل من تطوره شيئاً. إلا أنه من غير الممكن من جانب آخر النظر إلى كل فكر ارتباطاً بهذا الإطار وتوضيح سياق تطويره من هذه الزاوية. وهنا يبدأ دور الفلسفة وفاعليتها. الفلسفة أقرب إلى العلمية نوعاً ما، وتسعى لتوضيح وتحديد أسس تطور الطبيعة.

ثمة العديد من التيارات الفلسفية كما هو معلوم، من قبيل التيارات المثالية، التيارات المادية والأساليب التي تتبعها. ومن جانب آخر ثمة من يريد إيضاح الأمور من خلال مواقف ماوراء الفيزياء – أي الميتافيزيقيا– وهناك من يريد شرحها بالمواقف المادية. وبينما يرتبط الديالكتيك بالفلسفة المادية أكثر، تكون الميتافيزيقيا مرتبطة أكثر بالفلسفة المثالية.

لن نقوم بشرح هذه الأمور كثيراً هنا، لكن ثمة روابط بينها جميعها وبين سياق التطور الاجتماعي، ولو بنسب متفاوتة. وقد تواجدت هذه الروابط في أولى العهود الإنسانية، ولا تزال موجودة الآن أيضاً. المهم هنا رؤية دور الدين أو الفلسفة في تطور الإنسان، وإدراك ما يعنيه كل منهما. بمعنى آخر، عليكم الإدراك، هل أنتم حسب الدين أم حسب الفلسفة؟ هل أساس تفكيركم ديني أم فلسفي؟ هذا ما عليكم معرفته. وهنا بالطبع ثمة مصطلح آخر، الفكر العلمي. فالفكر العلمي يوضح الحياة المادية بعين أكثر موضوعية نسبةً للدين أو الفلسفة على حد سواء. أي أنه يؤمن بأن "٢× ٢=٤". إنه يتضمن ماهية كهذه. واسمه يدل عليه، الفكر العلمي، أو علوم

الاجتماع، علم الفيزياء، علم الكيمياء، علم البيولوجيا، وحتى يمكن القول علم النفس، حيث ثمة محاولات لإيجاد ميول أساسية فيه.

ما هو الفرق بين الفكر العلمي والأفكار الأخرى؟

الفكر العلمي – نسبةً للأشكال الأخرى من الفكر – يوضح الكون والطبيعة والمجتمع على نحو أفضل، حيث يشرحها حسب الأسباب والنتائج. وبالطبع قد زوّد هذا النمطُ الإنسانَ بقوة أخرى. يُعد التفكير حسب العلم اليوم أساساً، حيث يحرز الإنسان التطور به. إلا أن الدين أيضاً قد طور الإنسان على مر التاريخ وزوّده بالقوة والوجود. كذلك لعبت الفلسفة الدور نفسه ولا تزال، ولكن ثمة تطور في النواحي العلمية فقط. تواجَدَ العلم منذ القِدَم، منذ بدء عمل الإنسان وفعله. أي أن الإنسان عندما كان ينشغل بالصيد أو يطور أولى فعالياته الزراعية، كان هناك وجود للعلم. ما هو الجانب العلمي في هذه الفعاليات؟ إن القول "لو توجهت إلى الصيد بهذا الشكل، لو ضربت فريستي على هذا المنوال فسأوقع بها أرضاً" هو قول أو موقف علمي. كما أن القول "لو زرعت هذا الحقل بهذا الشكل فسأجني كذا شيئاً بالمقابل" هو تفكير علمي يمتُّ بجذوره إلى القدم منذ بدء التاريخ البشري. أي أن العلمية ليست حالة خاصة بيومنا الحاضر، ولكنها اليوم منتظمة أكثر بكثير، وقطعت أشواطاً عظمى في العديد من المجالات المختلفة.

بينما كان الدين يحتل منزلة الصدارة في بداية البشرية، يلاحظ أن نطاقه ضاق لحد ما في حاضرنا. كذلك الفلسفة، إذ وبينما كانت تستمر في وجودها البارز في العصور الوسطى والقديمة، وحتى في أولى مراحل الرأسمالية، نلاحظ أنها تدنت إلى المرتبة الثانية اليوم، أو أنها تبدو على هذا المنوال. أما العلم، وبينما كان محدوداً في البداية، نرى أن كل شيء اليوم يُنظَر إليه بمنظور العلم، وهذا بحد ذاته يشكل معضلة هامة.

ثمة جدالات دائرة حول؛ ترى كم سيكون بمقدار التقنية الناجمة عن تقدم العلم اليوم أن تودي بالإنسان نحو الإبادة والفناء؟

فالتقدم التقني المنبثق عن العلم اليوم يتضمن خطراً يهدد المجتمع بقدر الدوغمائيات الدينية أو بعض النزعات الفلسفية على الأقل. بل حتى أنه يمكن القول بأن التقنية المرتكزة إلى العلم ستؤدي بالإنسان إلى الزوال في

المستقبل القريب أكثر من أي شيء آخر. إذا لم تتَّخَذ التدابير اللازمة، قد يخلق التقدم التقني معه وحوشاً تبلع الإنسان، وما الذرة سوى غول وحشي. أو أن التقنية غول وحشي يدمر كل البيئة والمحيط في يومنا.

قديماً أيضاً كانت هناك وحوش، لكن كان بِمكنة الناس حماية ذاتهم تجاهها آنذاك. الإنسان الذي استطاع حماية نفسه من الوحوش الكاسرة في العهود القديمة في بدايات التاريخ البشري، عاجز اليوم عن حماية ذاته تجاه الوحوش التقنية. بل حتى أن الوحوش التقنية التي قد تظهر بعد عدة قرون، قد تكون أكثر خطراً وتهديداً. لكن الإنسان بلا شك سيعرف كيف يحمي ذاته تجاهها.

يقيّم الناس العهود التي يمرون منها بأنها "آخر عصر" على وجه العموم. ورغم أن الأمر يبدو كذلك على الدوام، إلا أنه في الحقيقة ليس كما يقال. فالتغير هو الأساس. أجل، التغير ضرورة من ضرورات مبادئ الديناميكتيك. ولكن يتوجب تقييمه بشكل صحيح. لا يعني التغيير غض النظر عن الوقائع الحاصلة. فلكل مرحلة مستواها وقيمتها المحددة من التطور، وعندما نتنبه لذلك يمكننا إضفاء المعنى على التغير الحاصل. وفي حال العكس، أي إن زعمت بأن "كل شيء يتغير" فلن تكون حينئذ سوى مراوغاً مخادعاً. وأظن أن التغير يتم فهمه لدينا على أنه مراوغة لحد ما. لأجل فهم التغير الحاصل يجب رؤية ما هو دائم فيه وثابت. ثمة قيم راسخة لا تتغير مثلما هي حال التاريخ البشري، كما أنه ثمة قيم يتحتم تغييرها أيضاً. علينا أن نتحلى بمفهوم فلسفي كهذا بشأن التغير.

بإيجاز، ما يجب ملاحظته هو أن الأفكار والأيديولوجيات تتداخل في سياق التطور البشري مع الحياة بالتأكيد، سواء كان شكل التعبير عنها بالسحر أو الشعوذة أو الدين أو الفلسفة أو العلم. فالحياة لا تتدفق أبداً دون وجود مثل هذه الضوابط.

يكون الإنسان إنساناً كلما اتسم بالقوة الخيالية والفلسفية والعلمية.

ولكن، أي جانب يجب التركيز عليه في أمر ما؟ أي جانب يجب العمل به؟ أي جانب يجب تغييره؟ ما هي حاجة أمر ما لشكل أيديولوجي ما، وكيف؟ أين وكم هناك حاجة للانضباط والمعنويات والأخلاق اللازمة لتطبيق أمر ما؟ كل هذه المسائل إذا ما حُدِّدت على نحو سليم فهذا يعني أن ذاك المجتمع المعني بها هو مجتمع

صحي، مجتمع حر، مجتمع يعيش ذاته. أما إذا لم يفلح في ذلك وبقي عاجزاً عن حل مشاكله المعنوياتية والأيديولوجية، فهو حينئذ يسقط ويهوي نحو القاع وإن كانت دفة الحكم في يده. وبسقوطه يتشتت ويتلاشى.

ومجتمعنا الكردي أيضاً يشبه لحد ما المجتمع الساقط.

المجتمع الكردي هو مجتمع ساقط متردٍّ. بل والأنكى من ذلك أنه يواجه التشتت والتبعثر وجهاً لوجه. ذلك أن واقعه الاجتماعي منحط أيديولوجياً ومعنوياتياً.

وهنا بالذات، ما هو PKK؟

PKK أولاً هو حركة إيجاد الأيديولوجية والمعنويات لشعب قد انهارت أيديولوجيته ومعنوياته.

يتحتم إدراك ذلك جيداً لأنه يمثل مفتاح الأمر. لكنني أنظر إلى علاقتكم بالمجتمعية وأحاول فهم المعنى الذي يستخلصونه من مسألة التغير. أشَبِّه وضعكم بحال القرويين القدماء الذين كانوا يرفعون العصا ويلوحون بها مطالبين بالتغيير. وأنتم، عوضاً عن العصا تمتشقون السلاح، وهو مجرد فرق تقني لا غير، أما المفهوم فهو عينه. القروي أيضاً يلوّح بالعصا ويقول "سأريك يا فلان، اغرب عن وجهي"، ولكنه لا ينجو فيما بعد من صرف جهوده هباءً، مثلما هو هجوم دونكيشوت على طواحين الهواء. لا تنسوا أن تلويح الكثيرين للسلاح يشبه هذا الوضع؛ بل إنه أخطر منه. ذلك أنه إذا ما كنت كالدونكيشوت بامتشاقك للسلاح فستحترق بناره. وهانحن نواجه ذلك بذهول ونسعى لإعاقته، والآن يعد إخراجكم من كونكم "الدونكيشوتات المسلحة" من أهم وظائفنا الحالية. لكن كيف سنعيق ذلك؟ سنعيق ذلك أولاً، مثلما نوهت سابقاً، بإيجاد القوة الفكرية الأيديولوجية والمعنويات التي ستطبق ذلك بإرادة عليا وعزم لا يلين، وربطها بالحياة وإحيائها وتجسيدها في سبيل عرقلة انحطاطنا الاجتماعي وتشتتنا. وأنتم محتاجون لذلك، كما أنني لا أرى حلاً آخر مغايراً لذلك.

ثمة العديد من الأيديولوجيات التي تمتلك هذا الإصرار والعزم. وعلى سبيل الذكر، ثمة أيديولوجيات نسميها بالمعاصرة، والتي تتطور بمحاكاة مستوى التقدم العلمي لعصرنا. ما هي هذه الأيديولوجيات؟ إنها التعصبية القومية التي نعرّفها بأنها أيديولوجيات مرتبطة بالواقع الاجتماعي للبورجوازية وما يتمخض عنها من أشكال مختلفة. وهناك الليبرالية والتدوّل، وغيرها من التيارات والأيدلوجيات الكثيرة التي نسميها بهذا المصطلح أو ذاك.

لكن الخاصية الأساسية لجميعها هي تعريفها بالتعصبية القومية. أما الأيديولوجيات السابقة لها، فبقدر ضعف أواصرها بالتطور الاجتماعي ومحدوديتها، كانت متخلفة حتى عن المستوى الوطني، حيث كانت تعتمد على الأرجح على الجماعات ومجموعة من العشائر، وحينها تكونت جماعات على شكل عائلات. الأيديولوجيات الإلهية، وحتى المدارس الفلسفية كانت تعتمد على مصالح جماعة ضيقة، لتكون بالأصل أيديولوجية تلك الجماعة، لا المجتمع بأسره.

البورجوازية طبقة متقدمة خطوة إلى الأمام عنها، وعلى الأقل ترتأي لذاتها بناء وطن، وسوق وطنية، وحدود وطنية، ودولة وطنية. ويُعبَّر عن ذلك عادة في حقيقة الأيديولوجية القومية. ما هي الأيديولوجية القومية؟ تعمل البورجوازية للسمو بالمجتمع والوطن. أي ثمة حاجة أكيدة للوطن وبنائه، ذلك أنها بحاجة للدولة الوطنية والثقافة الوطنية والأراضي الوطنية. وبناء عليه يتم تطوير فكرة الدولة الوطنية والثقافة الوطنية والاقتصاد الوطني والأحزاب الوطنية، وغيرها من الكثير من الأبعاد ذات الطابع الوطني. هذا بحد ذاته يعني قومية كبرى، بيد أنه كثيراً ما ينزلق نحو الفاشية لأسباب مختلفة. وعلى سبيل المثال، هتلر يمثل أعلى مستويات القومية الشوفينية، حيث يقول "الألمان هم الأرقى والأسمى، والباقون كلهم منحطون". وهذه أخطر نقطة يصل إليها التطور الأيديولوجي للبورجوازية.

لا يمكن بالطبع التغاضي عن الروابط القائمة بين الأيديولوجيات وبين المجتمعية والطبقات الاجتماعية. وهي مرتبطة عامة بالإنسان، لكنها مرتبطة على وجه الخصوص بأناس المجتمع، أي بتطور الفرز الطبقي. ومن المستحيل غض النظر عن ارتباط الأيديولوجية بالمجتمع عامة وبطبقاته خاصة. وللبورجوازية أيضاً تطورها الأيديولوجي على هذا النحو، والذي لا يزال مستمراً بكل قوته. والليبرالية والتدوّل أيضاً هي أشكال مختلفة للقومية.

مقابل ذلك فالطبقة الكادحة، توأم البورجوازية أو الأخت التي ظهرت معها على مسرح التاريخ، تجهد للبروز بأيديولوجية تحاكي وتوازي ما يسمى بالبروليتاريا. وكما هو معروف فهي تسمى أيضاً بالأيديولوجية الاشتراكية. تمتد جذور الأيديولوجية الاشتراكية إلى الماضي السحيق. ومثلما يعود إرجاع القومية إلى الأرستقراطية، وحتى إلى

طبقة أسياد العبيد في التاريخ المديد، فالاشتراكية أيضاً تمتد بجذورها حتى أكثر المسحوقين والاقنان والمضطهدين المسمين بـ"بلاب Pleb".

للبلابيين "Pleb" تجربتهم الاشتراكية مع سبارتاكوس، وللأقنان تجاربهم الشيوعية الاجتماعية العديدة في العصور الوسطى. إلا أن هذه التجارب قطعت أشواطاً ملحوظة في القرن التاسع عشر فيما يسمى بالاشتراكية العلمية.

أي، لكل عصر اشتراكية خاصة به.

مثلاً، سيدنا علي، أو العلوية في الإسلام هي لحد ما اشتراكية الإسلام. وفي العصور الوسطى، لكل دين على وجه التقرب شكل اشتراكي خاص به. بل إن هذا الأمر صحيح حتى في العصور القديمة أيضاً.

ما ظهر في العصر الرأسمالي إلى جانب الأيديولوجية العلمية السائدة وارتباطاً بها، ثمة علمية الاشتراكية أيضاً. ولأجل تمييز الاشتراكية البارزة حينها عن غيرها من الاشتراكيات، يطلق عليها اسم الاشتراكية العلمية.

لماذا علمية؟

القرن التاسع عشر هو قرن العلم بحيث لم تبقَ منطقة لم يتسلل إليها العلم أو يبرز فيها. وقد أثر هذا التطور الحاصل على العلوم الاجتماعية أيضاً. بالتالي تظهر الاشتراكية كأكثر التعابير جوهرية للعلوم الاجتماعية. ولأجل ذلك يطلق اسم "الاشتراكية العلمية" عليها، أو بمعنى آخر العلمية للاشتراكية "علمية الاشتراكية". وهذا ليس بالأمر الهام كثيراً.

تتسم الاشتراكية بأنها الأكثر عزماً وإصراراً على العلمية في تاريخ الأيديولوجيات.

ولهذا دوافعه، حيث يأتي ارتباطها بالطبقة الكادحة في مقدمتها. فالطبقات الحاكمة مرغمة على الكذب والرياء واللاموضوعية، أما الطبقة الكادحة فمرغمة على الواقعية، أي العلمية، لأنه لا حاجة لها بالكذب أو استعمار أو استغلال الغير. ولأجل ذلك تعد الطبقة الكادحة نزاعة للعلمية. هكذا هو الأمر نسبياً.

أصلاً، يحتاج الإنسان عموماً لليوتوبيا في كل زمان. لكن اليوتوبيا ليست تبعية وخضوعاً. بيد أنه من المستحيل عدم التفكير بالخاصية اليوتوبية للاشتراكية أيضاً. وفي الواقع، كل أيديولوجية هي يوتوبيا. والاشتراكية مرغمة على أن تكون كذلك. أرادت الاشتراكية المشيدة تجاوز ذلك لكن نهايتها كانت الانهيار. ويمكن اعتبار نتيجة كهذه على أنها شكل تحريفي مضاد لجوهر الأيديولوجية الاشتراكية. وكل تحريف – كما هو ملاحظ – لن ينجو من التعرض للفشل الذريع.

المحطات الهامة في تاريخ الأيديولوجية الاشتراكية

والآن لنحاول تسليط الضوء على سؤال: هل هناك حاجة لأيديولوجية علمية؟ أو، هل أيديولوجية ما مرغمة على أن تكون علمية؟

يتجه فكر الإنسان نحو اكتساب العلمية قدماً. لذا، ومثلما أنه هناك نسبة ملحوظة من التحول العلمي في الفيزياء والكيمياء أو غيرها من الفروع، فالأمر كذلك تماماً في فروع العلوم الاجتماعية أيضاً. لكن، ومثلما أن العلم لم يعبّر عن ذاته على أكمل وجه بشأن قوانين الطبيعة الأساسية حتى الآن. فالأمر سيان بالنسبة لعلم الاجتماع الذي يعاني الوهن ومن غير الممكن أن يتسم بالعلمية كلياً، ذلك أن المجتمع بحد ذاته يتصف بصفة الخيالية. ومن المستحيل التعبير عن الخيال والروح والتصورات من خلال صياغات مكمّلة. وعلى وجه العموم، الإنسان بذاته ليس كائناً يخلق على نحو علمي كامل. وإذا ما دُرِسَ الإنسان على هذا النحو ونُظر إليه من هذه الزاوية، فالمآل سيكون مثل مآل الفاشية التي خلقت العِرق الألماني الصافي. وهذا بحد ذاته أمر خطير للغاية. بل حتى أنه قد جُرِّب هذا في الاشتراكية، وأسفر عن الانهيار والتفسخ.

الفاشية أيديولوجية بورجوازية تفسخت مبكراً. الاشتراكية المشيدة أيضاً انهارت لأنها تحريف اشتراكي، حيث تكاثفت الجهود لخلق مجتمع "وفرد" خامد وخامل، ميكانيكي وروتيني.

يمكن تعريف الاشتراكية كمصطلح على أنها أكثر الأساليب حرية في تحديد العلاقات الاجتماعية للإنسان. وهي تناهض كل ما هو مبتور عن الواقع الاجتماعي أو متعالٍ عليه أو ضاغط له أو مستغل إياه. ولكن القول من جانب آخر بأن "كل شيء في المجتمع متساوٍ كأسنان المشط، ومرغم على التشابه والتطابق مع بعضه" لا يعني سوى استنكار التطور الطبيعي. ذلك أنه لا يوجد أي تطور طبيعي على هذه الشاكلة. لهذه العلة يعتبر الانضمام الحر هو الأصح والأسلم.

يجب أن تكون المساهمة أو الاشتراك الاجتماعي حسب المواهب والكدح.

بيد أن الاشتراكية تُعَرَّف على هذا النحو. أما الاشتراك البيروقراطي أو الاكتفاء بإعطاء الأوامر أو القول مسبقاً "٢×٢=٤"، فهو لا ينسجم وطبيعة الإنسان. وتفكك الاشتراكية المشيدة وتشتتها خير مثال على ذلك. في العهد العبودي أو الإقطاعي كان الفرد يعلو بذاته فوق المجتمع ويضع نفسه مكان الرب. واليوم يضع نفسه مكان "رب العمل". لكن، ومثلما تم تجاوز هكذا أرباب، فإن رب العمل أيضاً يتم تخطيه. أما تحويل الإنسان إلى آلة، والعمل على مَكْنَنَتِهِ، فهو تحريف ليس إلا، وليس مستوى تحررياً بتاتاً.

طوّر كل من ماركس وأنجلز مفاهيم الفكر الاشتراكي والمساواة والحرية لدى المسحوقين عموماً في القرن التاسع عشر، فاكتسبت صيغة علمية. ما قام به ماركس وأنجلز هو مساهمة لإيجاد صياغة علمية للاشتراكية، وقد حازا على مكتسبات ملحوظة وبلغا صياغة علمية لليوتوبيا الاشتراكية والتقاليد الاشتراكية، وخاصة على الصعيد الأيديولوجي. من هنا فالدعامات التي استفادا منها واستندا إليها هي الفلسفة الفرنسية والسياسة الاقتصادية الإنكليزية والمادية التاريخية الألمانية. أي أنهما تعمقا على كل ذلك لينتهيا في نهاية المضاف بصياغة علمية للغاية. ولكي يبيّنا الفرق البارز لاشتراكيتهما عن غيرها، يعرّفانها بأنها "علمية". إنها مرحلة هامة لا يمكن استصغارها.

فمن جهة يصيغان الأيديولوجية الاشتراكية بكل صفاء على هذا المنوال ويضفيان عليها العلمية، ومن جهة أخرى يسعيان لتنظيمها. هكذا أسسا الأممية الشيوعية الأولى باسم "الشيوعية ليغا"، ومن ثم تأسست النقابات العمالية واكتسبت الطبقة العمالية وعياً تنظيمياً أكبر. إلا أن ذلك لم يصل بها إلى السلطة تماماً. وكانت كمونة باريس مجرد تجربة لم تحز بالنصر.

ما قام به لينين هو إضفاء البُعد السياسي على الاشتراكية والخطو بها خطوة أخرى إلى الأمام. ونرى وجود مرحلة متقدمة من التطبيق— السياسة في الثورة الاشتراكية بقيادة لينين، والتي يطلق عليها اسم "التجربة البلشفية".

المساهمة الكبرى لـ"لينين" في الاشتراكية تكمن في تسييسه إياها.

لقد حقق قفزة كبرى من الأيديولوجية إلى السياسة. وكما هو معلوم، ثمة نظرية ثورية لدى لينين. ثمة مقولة "التحطم من أضعف حلقة" في نظرية الثورة الإمبريالية لديه. كما له تقييماته بصدد الحزب الطليعي وتكتيكاته الحربية من انتفاضات وحرب أنصارية، وهناك نظريته في ديكتاتورية البرولتياريا. إذ يحوّل كل ذلك إلى مصطلحات يصيغها ويحولها إلى برامج ملموسة من جهة، وينظمها بريادة حزب طليعي من جهة أخرى. بل إنه وصل بها إلى مرحلة التدوُّل. وفي المراحل اللاحقة له — خاصة في عهد ستالين ومن بعده — طبقوا ذلك على نحو تأسيس الدولة.

كل ما قام به ستالين هو تأسيس الدولة الاشتراكية. وقد عالج هذا الأمر، أو بالأحرى قام بدراسته على محمل واحد فقط، لدرجة تكاد تنحل الأيديولوجية في بوتقة السياسة، وحتى الاقتصاد أيضاً. بيد أنه يمكن الاستغناء عن الحزب والدولة. وقد بيَّن كل من ماركس وأنجلز مقاييس ذلك، فالدولة في البداية ضرورية، ولكن الخروج من إطارها أيضاً ضروري. كما يمكن أن يزول الحزب، ولكن بعد تحقيقه مآربه. فالحزب والدولة مجرد وسائل عبورية.

زال الحزب من الوجود في التجربة السوفييتية وأصبح دولة. وزالت الأيديولوجية، ولكنها أُسقِطت على السياسة الخارجية والداخلية. وبالطبع، ينُمُّ صهر الأيديولوجيا داخل السياسة بهذا الشكل عن مخاطر وأهوال مريعة. وهذا ما ظهر فعلاً. إن النظام السوفييتي المتسيس، وحتى الجهاز الحزبي المسيس لهذه الدرجة يتحول إلى جهاز للدولة. إضافة إلى أن الأمين العام "السكرتير" للحزب يستولي على كل القوة على الصعيد العالمي؛ وهذا ما تمخض عن وضع أكثر تخلفاً مما عليه في الرأسمالية.

إنه انحراف.

أجل، ثمة حاجة لدولة البروليتاريا، أياً كانت الزاوية التي ننظر منها إلى الأمور. لكن تحول حزب ما إلى دولة لهذه الدرجة ليس إلا انحرافاً يعاكس دوافع وجوده وتأسسه. وهذا ما تجذر في السوفييت وأدى إلى الانسداد العقيم الذي انتهى بدوره طبيعياً بالانهيار.

لا يزال العالم يعيش ذلك. كان هناك واقع عالمي يقسم العالم إلى نظامين، الاشتراكي والإمبريالي، وتم تقييمه على هذا المنوال قرابة سبعين عاماً. كما نُعتِت هذه المرحلة باسم "عصر الثورات البروليتارية". ويبدو أن هذه المصطلحات قد فنت بعد انهيار التجربة السوفييتية، ولم يعد يتم التلفظ باسم "عصر الثورات البروليتارية" أو مصطلح "ديكتاتورية البروليتاريا". بل حتى أنه يُزعَم تجاوز دول الاشتراكية المشيدة التي كانت قد أُسست حينها.

تدور النقاشات اليوم حول الوضع الجديد البارز. ومهما سمي ذلك بـ"نصر الرأسمالية"، إلا أنها لم تعد الرأسمالية نفسها التي كانت في بداية هذا القرن. إنه وضع مغاير للغاية، وتبذل الجهود لفهمه أكثر.

لا يمكن للاشتراكية بلوغ مآربها بالتدوّل

من اللازم لحد ما رؤية مشكلة تحول الاشتراكية إلى قوة سياسية. وبدون حل مثل هذه المشاكل يستحيل إعادة البناء. وعلى الاشتراكية أن تتقرب بصحة من مشكلة السلطة مثلما هي الحال لدى أية أيديولوجية أخرى.

تسعى الأيديولوجيات للتدوّل وبلوغ السلطة واحتلال مكانها في المجتمعات.

إنها ضرورة تتطلبها مزاياها. ولكن المشكلة هي، إلى أين وكيف ستكون؟ لذا، لا يحق لأحد إلقاء الذنب على الاشتراكية لمجرد أنها تهدف إلى الدولة. من البديهي أنها ستسعى لتكون دولة لصالح الكادحين كأحد أهم أهدافها. ولكن هل يُحَلُّ كل شيء بتكوين الدولة فقط؟ هنا إذن تظهر المشاكل.

لا يمكن للاشتراكية أن تبلغ مآربها بالتدوّل.

من الأصح أن يُفهَم التدوّل على أنه مجرد هدف بسيط للاشتراكية. ثمة بعض أهداف اشتراكية يتم تنفيذها بيد الدولة، فلكي تُقمَع الرجعية وتُنسَف وتُشَل تأثيرات الأخطار الامبريالية الخارجية يتوجب وجود دولة.

ولكن انتظار كل شيء من الدولة يؤدي بالاشتراكية نحو الجمود. بيد أن ذلك أشبه بانتظار كل شيء من الله. للأديان أيضاً معناها الخاص في البداية، وتعطي الجواب الملفت للنظر للاحتياجات اللازمة. بإمكان دولة ما البدء بالدين لتصبح دولة. ولكن يظهر شخص ما فيما بعد ليُسقِط الدين على الله وحده ويقول "أنا ظل الله ورسوله". وهكذا يصبح سلطاناً مونارشياً "مَلَكيّاً" وديكتاتورياً فريداً. والاشتراكية تشبه هذا الوضع، إذ يجب أن تصبح دولة وتكون ديمقراطية للغاية في البداية. فيما بعد تتحكم بصرامة وقساوة عامة على كل شيء لتصبح زعيمة على الصعيد العالمي مع ظهور "الأممية".

كل شيء أصبح مع الدولة ليظهر في نهاية المطاف نفوذ صارم أو مكتب سياسي يحل محل الله.

وهذا هو الانحراف بعينه.

لو نظرنا إلى داخلنا من هذه الزاوية سنرى أن من يستلم بعضاً من صلاحيات الحزب يتحكم في كل شيء، حتى في قبض الأرواح. ونتطرق إلى ذلك كي نعكس الواقع المعاش لدينا والخطر الناجم عن وصول أيديولوجية ما إلى السلطة. وقد حصل ذلك على نطاق واسع في السوفييت، حيث مهدت التطبيقات الاشتراكية الأولى له نوعاً ما.

في الحقيقة، أول ما طُبِّق في السوفييت هو ممارسة اشتراكية وحشية لا مثيل لها سابقاً.

وعندما نضيف إلى الخصائص الشخصية لستالين بعض التأثيرات الأخرى، نرى أن ما جرى هو تضخيم الدولة بهذا الشكل والوصول بالاشتراكية لدرجة تكاد تكون محصورة بالسياسة الداخلية والخارجية والاقتصاد في الدولة.

أما المحصلة النهائية فكانت "الاشتراكية مستحيلة".

هكذا بإمكاننا تداول النقاشات مجدداً بصدد الاشتراكية بالتداخل مع السياسة.

قديماً أيضاً كانت الدراسات موجودة بشأن العلاقة القائمة بين الاشتراكية والسياسة، وبين الاشتراكية والدولة. وفي أيام لينين نوقشت مسألة السلطة والدولة وقضية الديمقراطية الإثنية بكثرة، وأوجدت حلول معقولة للغاية حسب الأسس الطبقية. ومثّل ذلك تسيّساً لا يستهان به حسب تلك المرحلة، بحيث شكّل يوتوبيا خلاص البشرية وتحررها. وبخلقه لهذه الساحة الجاذبة استمر الاهتمام الكبير بالاشتراكية طيلة القرن العشرين.

لماذا حصل هذا؟ حقاً كان ثمة عالم عظيم ستمنحه للبشرية سواء على الصعيد الأيديولوجي أو السياسي. كما أن التطبيق العملي كان يوازي هذه اليوتوبيا. ولكن تم تحريفه.

كيف حُرِّفَ؟

كل شيء أصبح في سبيل مصالح السوفييت. وضمن مصلحة السوفييت كل شيء لأجل مصالح روسيا. وضمن مصلحة روسيا كل شيء لأجل البيروقراطية. وضمن البيروقراطية كل شيء لأجل الحزب. وضمن الحزب كل شيء لأجل المركز والمكتب السياسي والسكرتير العام. وفي المحصلة أُريدَ تسخير الإنسانية جمعاء لخدمة زمرة معدودة.

أرادوا استثمار الاشتراكية على هذه الشاكلة، لكن من الواضح تماماً أن الأمور لن تسير هكذا. فجوهر الاشتراكية مناقض لذلك، لذا حصل الانهيار بسرعة البرق. وقد تطور هذا على نحو يكاد لم ينتبه إليه أحد ولم يحسب له الحساب. وبما أن المجريات كانت مخالفة لجوهر الاشتراكية، يعد هذا الأمر مفهوماً ولا غبار عليه. واليوم أيضاً علينا ألا نستغرب من انهيارها، ذلك أن الأمر الطبيعي هو ما حصل فعلاً. ومن الجدير التنويه إليه هو أن الديكتاتورية التي كانت قائمة كانت كاسحة ساحقة حقاً.

هذا الانحراف كان خطيراً جداً. في صفوفنا أيضاً يكون الشخص بلا تأثير بداية الأمر، ولكن عندما يستلم وظيفة حزبية يتحول إلى غول وحشي، وقد رأيت بأم عيني المئات من هذه الأنماط في ممارستنا العملية. هذا ما حصل في السوفييت، ولكن على نحو أكثر عصرية وأوسع نطاقاً. الأمر اللازم هنا هو تداول العلاقة القائمة بين الأيديولوجية الاشتراكية والقوة – الوظيفة "النفوذ"، وكذلك علاقتها مع السياسة على نحو سليم.

كيف يمكن تداولها بشكل سليم؟

بالمراقبة المحكمة للشفافية الأيديولوجية.

يتحتم عدم تشويه الأيديولوجية بالسياسة.

يستلزم عدم تحويل السياسة إلى آلة تسخَّر في خدمة مصالح حفنة ضيقة لطبقة ما – وما نعيشه اليوم لا يعد حتى مصالح طبقية- أو منافع شخصية أو لزمرة ما.

ماذا يلزم لذلك؟

يستلزم جهازاً أيديولوجياً. اليوم ثمة حكومة آية الله في إيران، والتي تسمى بنظام الأئمة التي لا نصوّبها كثيراً. وقد كانت تمتلك قوة مكنتها حتى من قلب قوة سياسية عظمى كالشاه، حيث كانت قوتها أيديولوجية كلياً. "آية الله" هو في الأصل جهاز أيديولوجي، ورجاله يسيّرون أعمالهم بالأيديولوجيا لدرجة تجعلهم مؤثرين لغاية اليوم.

وهذا ما كان غائباً في الاشتراكية. فالجهاز الأيديولوجي قد أهميته سواء بإعلامه أم الناطقين باسمه أم بأيديولوجييه. فالأيديولوجيون أصبحوا مجرد ببغاوات بسيطة للدولة، وطالبوا الجميع ليكون آلة للكذب والرياء تحت ذريعة "المصلحة الداخلية الفلانية والمصلحة الخارجية الفلانية". بيد أن الأيديولوجية الاشتراكية تتسم بخطابها للإنسانية جمعاء. وحتى رجال آية الله في إيران يقولون "نحن نفكر بالإسلام لأجل الإنسانية جمعاء، لا لأجل إيران فحسب"، وينتشر صدى ذلك في الأرجاء. والأممية في السوفييت كانت لأجل الإنسانية جمعاء بادئ الأمر، لكنها حُوّلت فيما بعد إلى مصالح السوفييت والروس أو زمرة محدودة على وجه التمام.

لكي نعرقل هذا الأمر، ثمة حاجة ماسة للاتسام بالأيديولوجية وتجسيدها، سواء على الصعيد الوطني أم الدولي. وقد بُذِلَت محاولات حل ذلك بالأممية، وتأسست الأمميات. إلا أنها رغم ذلك لم تنقذ السوفييت من الدخول في هذا الوضع. لا يمكن القول أنها لم تلعب دورها على الإطلاق، إلا أن النتيجة كانت الجمود والانهيار.

إذن، هذا ما معناه أنه من الواجب وضع الفرق الكامن بين الأيديولوجية الاشتراكية والسياسة، وتبيان أهميتها ومعناها وضرورتها. يجب ألا تصبح آلة بيد المصالح الديكتاتورية أو الزمرية الضيقة، بل أن تلعب دورها لأجل الكادحين، وبالتالي لأجل الإنسانية سائرة.

يجب أن تكون الاشتراكية ضمن مسار يربط بينها وبين التاريخ والمستقبل واليوبيا والعلم ومستوى التنفيذ والأهداف المرتآة، وتكون كالعقل المدبر والمشرف المفكر به على الدوام. يجب أن تطور ذاتها كجهاز لا يرتبط بوطن معين أو مصالح طبقية ضيقة، بل يمثل الكدح، ويرتبط بالطبقات الممثلة له – نسبةً لمدى اهتمامها بالإنسانية وتأمينها على الحقوق والتطور في ذاتها– ولا ينفصل بأواصره عن وجهة نظر طبقية. يجب أن تكون فعالة كجهاز لا يغض النظر عن الواقع الوطني، ولكنه لا يخنق نفسه في المصالح الوطنية فحسب. وتتقرب بعدالة من كل وطن – يقال لهذا "مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها" – وتتسم بالديمقراطية، ولا ترى النفوذ والحكم في مصالح زمرة ضيقة. وبقدر ما تهدف للقضاء على الدولة والأجهزة الاستعمارية الباطلة التي تسعى لسيادة نفوذها وديكتاتوريتها، فهي تعمد أساساً إلى إطراء التحولات عليها وإعادة بنائها مجدداً، وتفكر بما شابه ذلك من الأفكار والمخططات والمشاريع السليمة، وتضع أسسها الأخلاقية الراسخة.

الإنسان ليس مجرد ظاهرة إنماء فحسب. ويكاد يتحول في الاشتراكية المشيدة إلى حيوان مستهلك أَكُول تحت ذريعة السباق مع الرأسمالية. بيد أن الجميع كان يهرول قاصداً الدكاكين عندما انهار السوفييت. بل إن تعبئة الجعبة هنا وهناك بالمواد الغذائية غدا خاصية أساسية للإنسان السوفييتي. أجل، ثمة حاجة للتطور الاقتصادي، ولكن الحط من شأن الإنسان وتحويله إلى حيوان لا ترى عيونه سوى الغذاء والنهم ولا يفكر سوى في "تعبئة هذا الركن وهذه الجعبة بالمأكولات والمشروبات"، فهذا ليس باشتراكية.

كما أن الجانب الآخر اللازم للاشتراكية هو المعنويات. بيد أنه يقال في الأديان "يعيش الإنسان كلياً بالمعنويات وبموجب المبادئ المقدسة". لكن وإن لم يكن الأمر كذلك كلياً، إلا أن المعنويات شرط أساسي. وإذا ما حاولتَ إشباع الإنسان بكل ما في وسعك بالماديات، فلن يشبع. وما الدمار الشائع في الطبيعة، والفتك بالمجتمع وتحول الإنسان إلى مجمع مرض عضال كالسرطان، ليس إلا ثمرة لهذه القوالب في المجتمع الاستهلاكي.

وأوروبا اليوم تشكل جماعات استهلاكية متقدمة للبلدان الرأسمالية المتقدمة. وقد وصلوا باستهلاكهم درجةً لم تعد تحتملها الطبيعة. ومثلما ضاقت الدنيا على قوالب المجتمع الاستهلاكي تلك، فإن الخناق سيضيق أكثر فأكثر. هذا فضلاً عن تفشي السرطان العضال. وبقدر ما يقصد بذلك وباء السرطان الحقيقي، فإنه ثمة حالة عامة من

هذا القبيل. ولا تزال ثمة أوبئة وطنية عديدة مشابهة تبرز وتتطور. والمحصلة هي ظهور السرطان الذي اكتسب المناعة، والأيدز.

كل هذه الآفات تنبع من البذخ والاستهلاك. فالإسراف الجنسي مثلاً يؤدي إلى الأيدز. وهو مرض ينبع من قوالب المجتمع الاستهلاكي. وما الاضطراب والأرق – وما شابه – سوى مسبب لذلك بشكل لا مناص منه. هذا بالإضافة إلى أمراض جديدة ناجمة عن القضاء على قوة المقاومة والمناعة لدى الإنسان تجاه قوالب المجتمع الاستهلاكي.

ظهرت مثل هذه الأحوال في مراحل تاريخية أخرى أيضاً. فالطاعون وغيره من الأمراض، شوهد تفشيها بين الفينة والأخرى. كل هذه الحالات ترتبط عن كثب، بلا شك، بالانحطاط الاجتماعي. فقوة المقاومة والمناعة – وهي قوة معنوية — عندما تفنى ينحل الإنسان ويتفسخ.

شعبنا أيضاً يشبه السرطان بكل معنى الكلمة.

ذلك أن قوة المقاومة والمعنويات قد تحطمت لديه. ويجول كل نوع من الأمراض في الأرجاء ويصول. أما الإدعاء بأن هؤلاء الناس أصحاء، فيلزمه ألف شاهد. وأنا حقاً أرى الجميع مرضى، وأمارس جُلَّ ثوريتي في سبيل عدم الإصابة بالعدوى. ولو قتلتموني لن أستطيع العيش مثل هؤلاء الناس. إنهم مرضى روحياً ومعنوياً وجسدياً، ولا يوجد جانب يمكن التعلق أو الإمساك به لديهم. يا لهم من مساكين! لا حياة سليمة لهم، ومعنوياتهم معدومة. أما ثقافتهم ولغتهم فتعرضت للتشويه وانتهت. وإذا ما زعمتَ بأنك تستطيع العيش مع مجتمع يتفشى فيه هذا الكم من الأمراض والأوبئة، فإنك عندئذ تكون قد حَرَّفت نفسك.

إذن، هذه هي المشاكل الأساسية التي تطرح نفسها للبحث عن كيفية تجاوزها بالاشتراكية. ومن الواضح جلياً أنه من المحال تجاوزها عبر الاشتراكية المشيدة، فإذا ما حاولت الاعتماد على إشباع بطنك فقط، مثلما هي الحال في الرأسمالية، حينها تحوّل الناس إلى كائنات أشد تخلفاً من نمط الإنسان الذي خلقته الرأسمالية. وبالطبع إذا ما حطمت المعنويات ولم تطور الديمقراطية، ستتمخض عندئذ ظروف أشد تخلفاً مما هي عليه في الرأسمالية، وستبقيك أنت أيضاً في الخلف.

ترجع أسباب ذلك – مثلما نوهنا سابقاً– إلى عجز الاشتراكية المشيدة عن تطوير الديمقراطية وتكريسها ورفع المعنويات وتعزيزها، وإلى عدم قدرتها على تخطي القوالب الاستهلاكية الرأسمالية. ولأجل ذلك تناقضت مع الأيديولوجية.

لا ترى الأيديولوجية الاشتراكية إطلاقاً أن الأعراف والتقاليد الرأسمالية هي الأساس بالنسبة للإنسانية.

ولا تقول البتة "تعطي الرأسمالية بهذا القدر، وأنا سأعطي بهذا القدر". يجب البحث التدقيق في ذلك، وهذه مسألة تعنى بها الاشتراكية. الرأسمالية تلوث البيئة والمحيط وتحوّل المجتمع إلى سرطان عضال. أما أنت فستوجد الحلول المعيقة لذلك. وإلا إذا ما قمتَ بتلويث البيئة والمحيط تحت ذريعة "أنا أنتج أكثر من الرأسمالية"، أو شددتَ الخناق على المعنويات والديمقراطية، فإن ما تفعله لن يكون اشتراكية، فضلاً عن أنه لا يمكن أن يكون حتى كاريكاتوراً لها أيضاً. وقد ظهر ذلك للعيان.

ثمة حاجة أكيدة للاشتراكية. لو تُرك زمام الأمور بيد الطبقة الاستعمارية الحاكمة وممثليها، سواء في حاضرنا أو في بداية التاريخ في العهود العبودية والوسطى، فإن الوحوش التي ستظهر للوسط — مثلما نوهنا سلفاً– ستفوق في وحشيتها ما كانت عليه الوحوش في العصور الأولى بأضعاف لا حساب لها. بيد أن هذه الوحوش هي في صلب الأمور منذ الآن وتفتك بالإنسانية وتنهش فيها. لهذا السبب، ومثلما فعل المعلمون الأوائل باتسامهم بعزمهم الذي لا يلين في الحياة وتحليهم بالمعنويات العالية في تحديهم عندما قالوا "الاشتراكية هي الحل المضاد للرأسمالية"؛ عليك أنت أيضاً أن تكون هكذا.

عليك الرد على التوحش المتصاعد في يومنا باشتراكية أشد تأثيراً. كيف يكون هذا الرد؟ من البديهي أنه رد يمكن إعطاؤه بسهولة، ذلك أن القوالب الاستهلاكية المدمرة للرأسمالية ليست بأمر لا يمكن تخطيه. إلا أن ذلك يستلزم الكفاح، وخاصة المعنوي. كما يستلزم التنظيمات والبرامج الجديدة والنقاشات المحتدمة المعمقة بشأنه. وإلا فالادعاء بأن "الاشتراكية انهارت وأثبتت إفلاسها" يشير إلى الاعتداء الأيديولوجي الرأسمالي، وهذا ما هو رائج الآن.

لا تدّخر الرأسمالية جهداً في سبيل تحويل عقوبتها التي أقرت بها الاشتراكية إلى براءة.

في الواقع، إنها مرت بمحاكمات ثقيلة شاقة طيلة القرن العشرين، وقضي عليها، وليس من المستعصي تجاوزها في الواقع العملي. إلا أنه، وبسبب النواقص المعلومة، ولعدم حلول أوانها بعد، لم ينته الحكم عليها بتخطيها تماماً، وطال عمر الرأسمالية مدة أخرى.

ولكن لا يجب الظن أن عمر الرأسمالية أطول مما كان عليه في بدايات القرن، أو أنه أكثر صحة منه.

إن القول مسبقاً "سيقضى على الرأسمالية قبل حلول نهاية القرن، وسيتم بلوغ الشيوعية" كان خطأ ومغالطة وتضخيماً للأمور. إنه في الحقيقة الشكل المحرَّف ليوتوبيا ما. ذلك أنه، وبينما تعبر الاشتراكية المشيدة عن وضع أشد تخلفاً من الرأسمالية من جهة، كانت تزعم من الجهة الأخرى بأنها أسست الشيوعية. يمكن رؤية هذه المبالغة والتحريف في واقع الاشتراكية المشيدة.

في الحقيقة، يستلزم نضال طويل النفس والأمد تجاه الرأسمالية.

كان المعلمون يذكرون أن هذا النضال سيستمر قروناً عديدة، إلا أن تاريخ الرأسمالية يكاد يقارب الألف عاماً.

فليكن تاريخ تطور الاشتراكية أيضاً طويلاً لعدة آلاف سنة. علينا ألا نتردد في ذلك، لأنه من المستحيل إقحام كل شيء في عشر سنين في تاريخ الاشتراكية.

نقول أن تاريخ الاشتراكية قديم قدم التاريخ البشري، وسيكون مستقبلها كذلك.

لكن الادعاء بذلك لا يكفي للعيش بلا أيديولوجية تجاه الرأسمالية الحالية أو البقاء بدون صراع أو كفاح ضدها. نحن مضطرون لإيجاد الأساليب والتكتيكات الأساسية لتحديد مدى وكيفية تسيير النضال.

لذا ثمة حاجة لنقاشات معاصرة حول الاشتراكية بحيث تتداول أولاً المشاكل التي تفرضها الرأسمالية البشرية. أي أنه ثمة حاجة لنقاشات حول السياق الذي يودي بالبلدان المسحوقة أولاً وكافة الإنسانية ثانياً، والطبقات المسحوقة على وجه الخصوص نحو الدمار والهلال، والذي يسفر عن تخريب الطبيعة كلياً وتفشي التخريبات المشابهة داخل المجتمعات الرأسمالية ذاتها أيضاً.

باختزال، ما يلزم القيام به في يومنا هو النقاش الشامل بعد انهيار الاشتراكية المشيدة. أي أنه انتهى عهد واندحر، ولكن كيف يمكن المجيء بمرحلة أخرى محله؟ يجب تسليط الضوء على ذلك بالنقاشات الشاملة.

لننتبه إلى أنه ثمة نقاشات عظيمة في تاريخ الاشتراكية.

حتى النقاشات بصدد العلوية – السنية في الإسلام تشبه من ناحية ما النقاشات بصدد الاشتراكية – الرأسمالية. فالسنية كانت طيلة التاريخ الشكل الرسمي للدولة الحاكمة، وسعت لإخماد العلوية وتحويلها إلى مذهب ودفعته للالتجاء إلى الجبال. واليوم أيضاً تتعرض الاشتراكية لقمع كهذا من قبل الرأسمالية الرسمية ويُفرَض عليها التحول إلى مذهب، ويراد التأكيد للمجتمع على أنه لا يطاق العيش بها.

إذن، ومثلما يراد للعلوية التي أسميناها باشتراكية الإسلام، أن تكون تابعة للدولة وتتعرض للإفراغ من جوهرها الثوري؛ فالهجوم نفسه يلاحَظ في تحامل الرأسمالية على الاشتراكية. تكتسب الرأسمالية عدة مواقع بهجومها ذاك لتجهد بالتالي إلى إتباع الاشتراكية القائمة بذاتها. وقد أتبعتها فعلاً لحد ما. فمثلاً، فُرض على كل الكوادر الاشتراكيين القدماء في تركيا اللهث وراء خدمة الرأسمالية، تماماً مثلما هو لهث بعض ممثلي العلوية أيضاً. حتى داخل PKK أيضاً يراد للبعض أن يلهث وراء خدمة الدولة.

هكذا كانت الحال طيلة التاريخ، وهي كذلك حالياً. ولكن لا يمكننا – بمجرد القول أنها كذلك – التغاضي عن بعض الجوانب المناهضة للظلم والاستعمار في الثورة الإسلامية. كما لا يمكننا تجاهل الجوانب المناهضة للظلم والاستعمار على الصعيد الكوني في الاشتراكية، إلى جانب مناهضتها للتوجه بالبشرية نحو أخطار فادحة كلية. ثمة أمور يجب القيام بها والحال هذه.

يجب الانطلاق نحو اشتراكية أممية جديدة

يمكن التعريف بالاشتراكية بأفضل التعابير العلمية وأجودها مثلما جرى طيلة التاريخ. وإذا ما قيمنا حاضرنا، سنلاحظ انقضاء عهد القطبين اللذين كانا في السابق. ويقال الآن المعسكر الجنوبي، المعسكر الشمالي، أو تطلق مصطلحات أخرى. يتحتم إيجاد العوامل المشتركة لكل من يدير نفسه كنظام بحد ذاته ويتضايق من الرأسمالية، بما فيها البلدان المسحوقة والطبقات المسحوقة والمعنيون بالبيئة. الأمر يشبه كلياً أيام الأممية الأولى في تاريخ الاشتراكية، حيث سعت للنجاح في تحقيق وحدة العمال ليس في وطن واحد، بل في كل البلدان، وتأسيس وحدتهم الأيديولوجية على الأغلب. ونجحت في ذلك حقاً.

والأممية الثانية كانت ذات كيان جماهيري يستهدف الوصول إلى السلطة، ولكنها لم تنجح فتم تخطيها. كذلك الأممية الثالثة كانت أممية الاشتراكية المتدوّلة. لكنها استخدمت التدوّل على نحو سيء وتم تجاوزها لأنها عجزت عن القيام بتحليل سليم للعلاقة القائمة بين الاشتراكية والدولة.

إذن، ثمة حاجة الآن أيضاً لتأسيس أممية جديدة. والمستوى الحالي من النقاشات الدائرة سيؤدي تدريجياً إلى طرح هذه المسألة.

كيف يجب أن تكون الأممية الاشتراكية؟

الأممية الاشتراكية التي ستؤسس، عليها أن تعتمد اشتراكية أكثر برمجة ومتطابقة مع ظروف كل وطن وقارة ومنطقة وساحة على الصعيد الكوني، ومع الوضع الطبقي القائم داخل كل وطن أيضاً. أي أنه عهد تأسيس جديد، بحيث يكون على مراحل متعاقبة. هذا هو مبدأ الاشتراكية، فبينما تتحقق مرحلة في مكان ما، يمكن تحقيق مرحلة أخرى في مكان مغاير.

على سبيل المثال يمكن ذكر مرحلة الوحدة الأيديولوجية، مرحلة التدوّل، مرحلة تخطي التجربة الأولى بسبب مشاكلها، مرحلة التوجه نحو اشتراكية أكثر صحة وسلامة. يجب عدم رفض ذلك، فهي مراحل تتدفق وتروح.

المهم هنا تحديد مشاكل الاشتراكية بشكل صائب في صلب الوقت الحاضر. ويمكن ترتيبها على النحو التالي بالخطوط العامة؛ الاشتراكية والدولة، الاشتراكية والإنماء، الاشتراكية والمعنويات، الاشتراكية والقضية الوطنية، الاشتراكية والثقافة، الاشتراكية والاقتصاد، الاشتراكية والاشتراكية المشيدة، الاشتراكية واليوتوبيا، الاشتراكية والعلم، الاشتراكية والدين، الاشتراكية والعائلة، الاشتراكية والمرأة، الاشتراكية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، الاشتراكية والديمقراطية، الاشتراكية والحزب. كل هذه المسائل هي موضوع نقاش مجدداً.

أي أنه من الضروري إعادة تعريف وصياغة الأيديولوجية الاشتراكية، وتسليط الضوء تدريجياً على هذه الصياغات والمصطلحات، ومن ثم برمجة ذاتها، ومن ثم تنظيم ذاتها والبدء بالعمليات الملموسة.

سيكون التطور عبر مراحل كهذه بلا جدال. قد لا يكون هناك حالة من الإصرار الصارم الآن، بل وتسود النقاشات الضيقة والسطحية؛ لكن، ومثلما حصل في الأمميات الأولى والثانية والثالثة، يمكن أن تتطور الرابعة والخامسة أيضاً.

عندما نتدارس الأيديولوجية الاشتراكية ووصولها إلى السلطة وتسيسها، بإمكاننا العودة إلى واقعنا وتسليط الضوء على مصطلح السياسة. أعتقد أن السياسة من أكثر المواضيع التي نلقى الصعوبة فيها. إنكم، ومثلما تعجزون عن تعريف السياسة كمصطلح، لا تعرفون كثيراً ما يسمى بالتطور السياسي. في الحقيقة، الأمر كذلك بالنسبة للأيديولوجيا أيضاً. لقد جهدتُ لإيضاح مصطلح الأيديولوجيا، ولكن، كم أنتم مؤهلون حقاً لفهمها واستنباط الدروس منها حسب طاقاتكم، وتمثيل الأيديولوجية في ذاتكم؟ يمكن تحديد ذلك حسب مسار تطور كل واحد منكم.

لكنني طالما ذكرت أنه بدون تحقيق التطور الأيديولوجي لن يكون بمستطاعكم التخلص من الوضع الحيواني. هذا إلى جانب أن المجتمع إذا لم يعبئ نفسه بالأيديولوجية، لا يمكنه الخلاص من التشتت والتشرذم. والمجتمع المفتقر

للأيديولوجيا لن ينجو إطلاقاً من أن يكون مجتمعاً بدائياً مريضاً ومتفسخاً. الأمر سيان على صعيد الشخص أيضاً. إنكم بعقلكم البدائي وبغرائزكم، دعكم من القيام بثورة، لا تستطيعون حتى إعالة ذاتكم.

تكمن كل قوتي وتفوقي في خلق ذاتي أيديولوجياً.

بيد أن وضعي الأيديولوجي الرفيع يجعلني قائداً.

هذا المستوى الأيديولوجي القيادي قد زودني بالرصانة والمنعة أكثر لأنه حلل الواقع الاجتماعي، ولأن تحليلاتنا على وجه الخصوص هي تطبيق خلاق ملفت للنظر للاشتراكية العملية.

إنه مستوى أيديولوجي تام، وإذا ما طبقت أيديولوجية كهذه مع تسيس رصين، فسينُمُّ عن قوة عظمى لا تضاهى.

وإذا أردنا تعريف السياسة هنا، نقول أنها مرحلة العبور من الأيديولوجيا إلى المجتمعية. أما التسيس فهو تحول الفكرة إلى قوة، وتنظيمها، وتحولها إلى دعاية، وجعلها مُلكاً للمجتمع. القيادة الأيديولوجية تظهر القوة اللازمة للمجتمع وتعرّفها حسب أسس سليمة. ومن ثم يتم تخطي مشكلتها في الانتشار عن طريق التنظيم. فالمراكز والآليات التنظيمية تتحول إلى قوة كلما ضمت إليها الجماهير في نهاية المطاف. وما هذا سوى التسيس بحد ذاته.

كنا قد نوهنا في التثبيتات الأساسية للبرنامج أن الأيديولوجية ترتأي التسيّس. وإذا ما تجمهرت، وذلك يكون عبر التنظيم، يلجأ التنظيم حينها إلى العمليات لترسيخها. وقد تكون العمليات عسكرية المضمون أو سياسية.

لننوه على الفور أن العسكرتارية هي السياسة بكل معنى الكلمة. بل حتى إنها التعبير المكثف للسياسة. ويجب ألا ينظر أحد إلى العسكرتارية على أنها مؤسسة مختلفة عن السياسة. فالمستوى المكثف من السياسة هو النمط المتحقق بالسلاح والعسكرتارية.

العسكرتارية سياسة متطورة.

ولا مزية لها تميزها عن السياسة أو تجعلها تحتل مكانها. في الحقيقة، السياسة هي الفكر المتطور والشكل المكثف للأيديولوجيا. أو بالأحرى هي حال الفكرة التي أصبحت مُلكاً للمجتمع.

وعلى سبيل المثال، إذا ما طابقنا الأمر مع الواقع الكردي يتبدى أنه للكرد حاجة في أن يكون لهم وطن، وأن يحظوا بالتحرر الوطني. ولأجل التحرر الوطني هناك حاجة للتنظيم، ولأجل التنظيم هناك حاجة لرفض الدولة والتنظيم الاستعماريين، ولأجل ذلك يتطلب العملية. أي أنه لا مفر أن يكون تنظيماً عملياتياً. هذه حقائق أو تثبيتات أيديولوجية وعلينا تطبيقها. لنؤسس حزبها أولاً ولنطور تنظيمها وعملياتها. في المحصلة تظهر السياسة والقوة السياسية. وتصبح المصالح والرؤى الأساسية قوة مادية ملموسة. أي أنه إذا ما لبيتَ متطلبات الرد على السؤال "كم أعطيت للشعب؟ كم أسست التنظيم؟ كم حولته إلى عملية؟"، حينها تكون سياسياً ويعني أنك تتسيس.

إذن، التسيس ليس ثرثرة فارغة مثلما يظن أغلبكم. بقدر ما تنظم الجماهير، وبقدر ما تدرب الناس، وبقدر ما تدير شؤونهم، تكون بنفس القدر سياسياً. أما المصطلحات من قبيل "المصالح الوطنية الرئيسية، التنظيم الوطني، الدولة الوطنية، الثورة الوطنية"؛ فيعبَّر عنها أيديولوجياً ويتم إدراجها في برامج. وما تبقى من الأمر هو التطبيق العملي، وهو ما يسمى بالتكتيك. قوموا بالدعاية، نظموا، أعدوا مظاهرة أو اثنتين، قوموا بعدة عمليات كبيرة. هذا هو التطبيق العملي والنضال السياسي والتسيس.

إذا ما قمتم بذلك فإنكم تتسيسون. بهذا المعنى فالتسيس يعني التحول من الأيديولوجية وحقائقها إلى الرصانة والتحلي بالقوة.

حقيقة القائد – المناضل في الاشتراكية

بإمكاني ذكر مثال من ذاتي؛ قمت أولاً بتحديد الحقائق: في البداية القضية الوطنية. وعندما قمت بتحديد بعض الحقائق الأساسية في القضية الوطنية من قبيل "الحزب وبرنامج الحزب" وما شابه ذلك، عبرت فوراً إلى الدعاية. ثمة حقائق صحيحة حياتية بالنسبة للمجتمع الكردي. وقد ناديت لأجلها. هذه هي الدعاية والتحريض. ولأن ذلك لم يكفِ توجهتُ إلى التنظيم، وكلفت البعض بمهمة تمثيلنا، والبعض الآخر بمهمة تشكيل اللجان، والبعض بترتيب المظاهرات، وأعطيت السلاح للبعض ليجسد المبادئ. هكذا أصبحنا حركة سياسية ومن ثم عسكرية. وتحولتُ أنا من رجل أيديولوجي إلى دعائي إلى محرض إلى عملياتي. يوجِد الأيديولوجيُّ فكرةً ما ويصوغها ويبتكرها بينما يقوم المناضلون بنشرها. لكنكم ترون بأم أعينكم أنه، ولعدم وجود المناضلين بكثرة لدينا، يكاد يكون مبتكر الأيديولوجية وصائغها وناشرها شخص واحد بعينه، وقد كان الأمر كذلك لدينا لمدة طويلة. وبالطبع فإن عدم الفهم التام لذلك، أو تطبيقه بشكل محدود، يعد مشكلة أيديولوجية – سياسية أو مشاكل مختلفة كالمسائل التنظيمية للسياسة. لكن لو تمعنتم في الأمر جيداً لرأيتم أن التطور الحاصل لدينا مبهر ومدهش، حيث يُعِدّ الفردُ نفسَه حسب احتياجات مجتمعه وشعبه ويعبئ ذاته أيديولوجياً، ومن ثم يحصل إعلان الحزب، ويقوم بالتحرك بتكتيكات ملائمة لأبعد الحدود لتلبية متطلباته، ويحدد المناطق البعيدة عن المخاطر. بالطبع لا يمكن تحقيق ذلك دون تلقي تدريب منيع، ذلك أن تزويد الإنسان بالأيديولوجية لا يكون إلا بالتدريب، وبدونه يكون الإنسان لدينا مجرد مسكين يسير على حافة الحيوانية. لذا عليك التركيز على التدريب وتقوية نفسك به. إذا كنت تريد إنقاذ الإنسان أو نفسك من الحيوانية، أو تريد التخلص من كونك شخص بدائي معرض للضغط والقمع والاستغلال، درب نفسك. التدريب مهم كي تصبح قوة دعائية، وقوة تنظيمية، وتنفجر لديك المواهب الفكرية والروحية. ويظهر ذلك على نحو تنير فيه من حولك وتنظمه وتجذبه إلى العمليات وتزجه فيها. حينها تكون شخصاً متعلماً، مدرَّباً ومنظَّماً حقاً. وبالطبع شخص كهذا هو فرد سياسي، وحتى عسكري إن دعت الحاجة.

العلاقة الكائنة بين السياسة والعسكرية وبين الأيديولوجية، وبين الأيديولوجية والمستوى الحيواني المنحط للمجتمع؛ ساطعة سطوع الشمس. وتتجلى هذه الحقيقة في واقع كردستان بشكل صارخ أكثر. المجتمع الكردي مجتمع مبتور من الأيديولوجية والمعنويات، مشتت ومنصهر. وبما أن حاجته ماسة ومصيرية للأيديولوجية وتمثيلها في شخص معين بكل قوة، ومن ثم تسييرها عبر حزب، وإن كان ضعيفاً؛ فإن نقل هذه الأيديولوجية إلى المجتمع بسرعة وتحوّلها إلى حركة منقذة بكل معنى الكلمة قد تكلل بالنجاح. ولذلك يتجه الجميع إليها بكل عنفوان. وهذا بدوره يؤدي إلى عمل الكثير من خلال كمٍّ يسيرٍ من التدريب والعمليات، ذلك أنه احتياج تاريخي.

إذن، عليكم فهم السياسة على نحو أفضل. ومن الساطع تماماً وجود الأواصر الوثيقة بين السياسة والأيديولوجية، والعلاقة الكامنة بين الأيديولوجية ومستوى الانخطاط الاجتماعي، وأنها مكلفة بتخطي ذاك الانخطاط والقضاء عليه، وأن السياسة هي الوسيلة الأساسية لذلك. أي أن الأيديولوجية تتحدث والسياسة تعمل، أو الأيديولوجي يتحدث والمناضل ينخرط في العملية. حتى أنه إذا كنتم جنوداً عسكريين فبإمكانكم القيام بعملية أكثر تأثيراً. ولكن إذا كانت مجرد عملية لوحدها، وإذا ما فعلتم كالقروي الذي يلوّح العصا بيده، فستكون نهايتكم الفشل. كما هو معلوم، فكل القرويين والعشائر تخور قواها في المشاجرات التي تحصل في القرية. ذلك أنه لا أيديولوجية ولا أهداف ولا مقاصد اجتماعية أساسية لديهم. بهذا المعنى فالشجار الكردي هو شجار ينهي فيه نفسَه بنفسه.

أغلبكم يقوم بالأعمال الدعائية. لكن، ولافتقار هذه الدعايات للخصائص الأيديولوجية الأساسية، فهي ليست إلا فتنة وفساداً وثرثرة وسفسطة. على سبيل المثال، أنا أيضاً أتكلم كثيراً، لكنني أحوز بالنجاح كثيراً لأن أحاديثي مرتبطة كلياً بالمصالح الأساسية للمجتمع. ولا أحد بمكنته جذبي إلى الفتنة أو الفساد أو التكلم بما هو خارج نطاق المصالح الأساسية. وأنا لا أتيح مجالاً لذلك، فكل أحاديثي مرتبطة بالمصالح الأساسية. من هنا فأنا دعائي جيد وأيديولوجي جيد، وفي المحصلة أتسم بقوة تأثير عظمى.

لماذا لا تستطيعون التأثير؟ لأنكم لستم أيديولوجيين بما فيه الكفاية. ومثلما أنكم لستم أيديولوجيين، فلكم أساليب دعائية أشبه ما تكون بالفتنة والفساد. ولأنكم بقيتم في نشاطاتكم كالقرويين والأحباب جاويشيين،

فإنكم تعانون من العجز عن تحقيق التطور المطلوب. وفي نهاية المطاف يظهر للوسط مستوى منخفضاً عديم التدريب، مفتقراً للتنظيم وهزيلاً لدى المناضل، إضافة إلى بُعده عن الأيديولوجية.

أما انعكاس ذلك على الكفاح المسلح فيكون على شاكلة حقيقة مناضل كيفي، يمتشق السلاح ويستخدمه حسب هواه، لا يأتي للتكتيك ولا يسير حسبه، بل يبقى خارج نطاقه. ذلك أنه، ومثلما نوهت، الأيديولوجية هنا هي التي تدل على الطريق. إنه لا يعرف القيام بالدعاية، ولا ممارسة السياسة، ولا تكريس التنظيم، ولكنه يمتشق السلاح. من البديهي أنه – والحال هذه – سيضرب نفسه ويصيبها بأذى. بيد أن الكثيرين فعلوا ذلك رغم أن سبيل تجاوز الأمر ساطعة كالنهار. إذا ما كان ثمة مَن يحط مِن شأن الشعب، يتوجب الوقوف في وجهه بلغة أيديولوجية وحنكة سياسية ماهرة. وأنتم تدركون جيداً أن كل شيء لا يتم بالسلاح. حتى السلاح بحاجة إلى التنظيم قبل استخدامه وتشغيله. ذلك أنه إذا ما أطلق الكل النار حسب هواه ومشيئته، وإذا ما قالوا "إن شئت أستخدم السلاح، وإن شئت فلا. إن أردت أقوم بعملية، وإلا فلا"؛ فإن ذلك ينُمُّ عن أهوال خطيرة. ولكي لا تحصل هذه الكارثة هناك حاجة ماسة للتنظيم. أي أنه عليك أن تكون منظَّماً أولاً، ومرتبطاً بالبرنامج والحزب. وإذا ما تواجد التنظيم واكتسب مستوى رفيعاً من الانضباط بموجبه، وربطه بأهداف أساسية ومصيرية؛ حينها يمكن الحديث عن النصر المظفر.

لا يمكن أن أكون موجوداً دون وجود الأهداف الوطنية – الطبقية كمسألة حياة أو موت. وإذا كنتم ترغبون فهمي فأنا قبل كل شيء أيديولوجي، وأقتفي أثر الأهداف الوطنية الأساسية. هذا هو القائد الوطني، وهنا يكمن مربض قوتي ومغزاها.

الحزب ضرورة، لذا أسير على هدى مبدأ الحزب. وتنظيمه يتطلب مناضلاً حزبياً، لذا أعمل على خلقه، وأخلقه. هكذا سيكون المستوى الوطني الأصلي والمستوى السياسي لمناضلية الحزب، هكذا يكون الدعائي ويتحلى بالقوة. وهكذا يمكن تنظيم المنهج الحزبي أو تنفيذه. بعد اتباع هذا الموقف وسلوكه، سيكون بالإمكان انتهاج العسكرية، وتمثيل النظام والانضباط والتحلي به، واستخدام السلاح في مكانه المناسب وحسب قواعده السليمة. وهذا ما معناه النهج العسكري الصحيح والجيد. وتحقيق نضال عسكري حسن يعني الجيش. باقتضاب، إذا ما رأيتم هذه المشاكل بشكل متداخل ومترابط بإمكانكم التحكم في الحقائق والوصول إليها على نحو أفضل.

تقسيم العالم إلى معسكرات أمر غير واقعي، وقد تم تجاوز ذلك

إذا ما أردنا إيضاح الوضع السياسي الحالي للثورة الكردستانية، بإمكاننا القول أننا كنا نقوم بذلك سابقاً على نحو شامل للغاية، بل حسب الاشتراكية المشيدة. لم يكن هذا عيباً حينها ولا خطأ، لكننا الآن لا نستطيع فعل نفس الشيء. مثلاً يقال في المانيفستو لدينا "العالم هكذا، وهو هكذا في الطرف الفلاني، وثمة هذه الأمور في الطرف الفلاني الآخر. هكذا هي الإمبريالية – الرأسمالية، هكذا هي القوى الاشتراكية والتحررية الوطنية...". لكننا بالتأكيد نتجاوز مثل هذه التعاريف اليوم.

لم تعد مثل هذه التعاريف صحيحة بعد حلول التسعينات على وجه الخصوص، ويراد للعالم أن يعرَّف على نحو مكوَّر أكثر. لكن كيف يمكننا انتهاج السلوك الصحيح؟ يسمي البعض المستجدات بـ"التناقض الشمالي – الجنوبي".

وما هذا سوى إضفاء مصطلح فظ لما هو كائن، حيث ليس من الموضوعية تقسيم العالم إلى "شمال – جنوب". ولكن إذا قلنا أنه تناقض أساسي بارز– وهناك حاجة لمصطلح على هذا المنوال– فهذا أمر ممكن. يمكن وصف الأمر الواقع بأنه ثمة قوة نظام إمبريالي – رأسمالي محتكر متحكم في الأمور ومهمين متربع في الذروة، وثمة من تتناقض مصالحهم معه في الجهة الأخرى. أي أنه تناقض "الشمال – الجنوب". أو يمكن صياغته على النحو التالي: البلدان الساحقة – البلدان المسحوقة، الطبقات المستعمرة – الطبقات المستعمَرة. والاسم ليس مهماً بهذه الدرجة حسب اعتقادي.

لكن هذا ما ظهر إلى الوسط: قم بتقسيم الجنوب أيضاً إلى قطبين مثلما حصل في الاشتراكية المشيدة، بل واربطْ كل شيء في القطبين بالسوفييت، بالسياسة الخارجية للسوفييت، ومن ثم قل "كل شيء مرتبط بذلك"!

أو قل "النضال ضد الإمبريالية أيضاً أصبح مرتبط بذلك، ومن يناقض هذا الوضع، ليس اشتراكياً"! حقاً هذا ما حصل في الماضي. وهنا يكمن الخطأ الفادح والخطر الجسيم.

كل شيء كان لأجل مصالح السوفييت، وضمن مصلحة السوفييت كل شيء لأجل مصالح روسيا. أُحيلَ كل شيء إلى المكتب السياسي وارتبط بتقييماته تدريجياً، حينها تكون الأعمال خطيرة للغاية. ومن الواضح تماماً أن هذا الأمر لن ينمّ عن نضال ناجح تجاه الإمبريالية.

إذن، تقييم كهذا لم يعد يحتفظ بمعناه السابق. أي أن تقسيم العالم إلى معسكرات، ووضع المسافات الشاسعة فيما بينها، أمر غير منطقي أو واقعي. ومن الساطع تماماً أن الرأسمالية هي المستفيد من ذلك.

كنا قد ذكرنا سابقاً أن تقييمات الاشتراكية المشيدة قد أدخلت تاريخ النضال الاجتماعي العام في انسداد عقيم. كما سدت الطريق أمام النضال الاشتراكي وأتاحت للرأسمالية أن تلتقط أنفاسها وتطيل من عمرها لستين أو سبعين عاماً أُخَر. لو أنها بقيت متداخلة فيما بينها عوضاً عن تفريق وفصل كهذا، وعوضاً عن وضع حدود فاصلة كهذه، وبناء سور برلين؛ لكانت النتيجة إيجابية بالنسبة للأوطان والشعوب. بيد أن الاشتراكية ليست بحاجة لبناء الأسوار وإعلاء الجدران، بل على العكس، هي بحاجة لهدم الأسوار والجدران الموجودة. لكن كل البلدان الاشتراكية قامت ببناء جدران أكثر غلاظة وأشد سماكة مما هي عليه في البلدان الرأسمالية أو مبادئها القومية المتعصبية. وعلى الأرجح فالاشتراكية ليست نظاماً يسعى لحماية نفسه وزيادة حصانته. القلاع وجدت في العصور الوسطى. كذلك عندما تأسست الرأسمالية سعت دولها إلى تحصين مناطقها الاستعمارية لتشييد الأسوار الواقعية وإعلاء الجدران الجمركية. إذن، وكما أن قيام الاشتراكية ببناء قلاع أكثر حصانة وجدران أشد غلاظة هو اختيار خاطئ من الأساس، فإن ما يتوجب عمله هو نقيض ذلك تماماً، أي القضاء على الأسوار والجدران الرأسمالية.

قسمت الرأسمالية البشر إلى أصناف وطبقات وقبائل وما شابه، وخلقت العديد من الشرائح والفئات. والأمر الصحيح مقابل ذلك هو الهجوم عليها بالديمقراطية الاشتراكية والمبادرة الاشتراكية. وهنا يتطلب تنشئة أناس اشتراكيين يقومون بذلك وينتشرون في كافة الأرجاء لهذا الغرض. تحكمت كل من أمريكا وأوروبا في إنسانها كلياً بطرازها الرأسمالي مما مهد السبيل إلى بلوغها قوة لم تكن تحوز عليها من قبل قط، وتمكنت من بلوغها بالاستفادة

من سياسة الاشتراكية السوفييتية في بناء الأسوار التي لا داعي ولا معنى لها، فاستطاعت تكبد خسائر لا يستهان بها في المحصلة طيلة الأعوام السبعين المنصرمة.

يُدرَك هذا الأمر اليوم جيداً. ولا حاجة لرؤيته على أنه أمر سيء. وعندما كانت السوفييتات تنهار لا يمننا الادعاء بأنه لا يوجد هناك أي أثر للاشتراكية. بل على العكس، قلنا أن مشاكل الرأسمالية تزداد وطأة وثقلاً، وتظهر صحة ذلك الآن. كما تظهر أرضية اشتراكية أكثر سلامة ومتانة. وهذا الأمر يُفهَم اليوم على نحو أفضل. فانهيار البيروقراطيين هو تطور أفضل، وينضم البشر إلى بعضهم بشكل أكبر، وهذا أمر ضروري. ذلك أنه إذا اتسعت المنحدرات الشاهقة والهوات الشاسعة بين الطرفين، يمكن حينئذ تهديد البشرية بالقنابل الذرية، وبإمكان رأسمالي متهور وطائش عندئذ استخدام الذرة أيضاً. بيد أن أمريكا قد استخدامها. وهذا ما معناه نهاية البشرية. ولو بقي الأمر في مضمار الخطر الذرّي فقط، فكيف ستحمي الناس منه؟ عليك الترويج لنضالك الطبقي ونشره حتى أعماق أمريكا ذاتها، وأن تنشر الإنسانية وتروج لها بشكل متداخل حتى لا يكون الرأسمالية هدفاً بسبب القنبلة الذرية فحسب. أي أن السبيل الوحيد لشل تأثير السلاح الذري هو تعميم الاشتراكية وجعلها ملكاً لكل بلد وبقعة. هذا الخطر لوحده كافٍ للشعور بمدى خطأ تقسيم كهذا إلى معسكرات، وعدم الحاجة لخرافات من قبيل القنبلة الذرية الاشتراكية والقنبلة الذرية الرأسمالية.

يتحتم أن تكون الاشتراكية ملكاً للبشرية بأسرها، ولكل الناس في كل مكان، في البلدان الرأسمالية والبلدان المسحوقة. وأن تتسم بوجهة نظر متكافئة ومتوازنة، لا أن تقول "هذا الطرف اشتراكي بهذه النسبة، وذاك الطرف اشتراكي بتلك النسبة، وذاك الطرف ليس اشتراكياً بهذه النسبة".

قد تكون دولة اشتراكية، ولكن يجب أن تكون لك علاقات مع الجميع، حتى مع أمريكا. وهذه العلاقات ليست استسلاماً ولا رغبة في الرأسمالية، بل مجرد علاقات وتكتيكات ضرورية في كل الأوقات. وعلى هذا المنوال تؤثر هي عليك وتؤثر أنتَ عليها. تسعى هي لإيجاد مجموعات رأسمالية متواطئة معها في صفوفك، وأنت أيضاً تسعى لإيجاد مجموعات اشتراكية لنفسك في داخلها. هي ترتبط بك وأنت ترتبط بها. وهذا هو الصواب، حيث لا يتيح ذلك الفرصة لنشوب صراعات جماهيرية أو حروب إبادة. كما أنه يسفر عن تطور عام في كل الأوطان معاً، لا التطور في وطن لوحده. ما حصل في السوفييت مع تجربة الاشتراكية كان يخص الوطن الروسي على

الأرجح، أما البلدان الأخرى فبقيت في الخلف. بل وبقيت متخلفة أكثر من كثير من المناطق خارج السوفييتات. لكن لا يوجد في جوهر الاشتراكية تطوير بلد أو حتى طبقة ما داخل البلد على حساب طبقة أخرى أو بلد آخر. بل الأساس في الاشتراكية هو التطور الإنساني المتكافئ، والتطور الاشتراكي المتكافئ.

الاشتراكية مسألة نوعية،
مسألة أن يجعل الإنسان نفسه اشتراكياً

من هنا يتحتم في الحقيقة تقييم الوضع السياسي الراهن. ولا داعي للأسى والحزن بالقول "لم تترسخ المعسكرات بهذا القدر". في الماضي كان ثلث العالم اشتراكياً! قبل كل شيء، صياغة من هذا القبيل للقول بأن ثلث أو ربع أو سدس العالم اشتراكي، أمر ليس واقعياً. فالاشتراكية ليست مسألة كمية. ومن الواضح جلياً أننا لا نستطيع خداع أنفسنا بالقول أن ثلث أو سدس العالم اشتراكي.

الاشتراكية حقيقةً هي مسألة نوعية، مسألة أن يجعل الإنسان نفسه اشتراكياً.

ليجعل الإنسان نفسه اشتراكياً على أكمل وجه، حينها قد يكون بالمستطاع ظهور عالم اشتراكي أفضل بكثير من سدس العالم ذاك.

من هنا، لا يمكن إسقاط الاشتراكية على مصطلح جغرافي ما وحصرها به. كما أن القول "هذا الكم من البشر متأثرون بالاشتراكية" لا يدل على مدى نجاح الاشتراكية، فمؤشر نجاح الاشتراكية يبدو من خلال الإنسان المبني. وهذه مسألة نوعية، لا كمية. فمركزٌ مؤلف من عشرة أشخاص يمثلون الاشتراكية بكل معنى الكلمة، أقوى بكثير من عشرة ملايين اشتراكيين جبناء أو غافلين، ومن كل الناس الذين هم تحت تأثير الرأسمالية. ولو تشكل مركز كهذا في وطن ما سيكون ذلك أفضل وأثمن أضعافاً مضاعفة من أن يكون سدس العالم اشتراكياً. وهو أمر ممكن وصحيح. وهناك حاجة لمصطلحات وصياغات كهذه يتم إظهارها وصياغتها في كل مكان دون التمييز بين الدول أو الناس الاشتراكيين.

لو عمدت الأحزاب في النظام الاشتراكي المتفوق، والتي تحكم الشعوب على أساس هذا النظام، وتحدد وجهة مصير الشعوب، وتطور الإنسان النوعي بكفاءة وتوازن على أساس أيديولوجية حقيقية، وتُمَأسِسُه تجاه المخاطر المريعة المختلفة والمتعددة التي تفرضها الرأسمالية على البشرية على الصعيد الدولي كالقنبلة الذرية، وتُسيِّسُهُ؛ لو

عمدت إلى تطوير تعاضدها والتصعيد من صياغاتها وتعابيرها الأممية؛ فسيكون ذلك ذا قيمة ومعاني أسمى بكثير من تلك المغالطات والمبالغات البارزة في تجربة الاشتراكية المشيدة بالقول "لقد أنقذنا هذا الكم، وسنضم إليه هذا القدر". ولكن هذا لا يعني بالطبع أن تكون الاشتراكية راسخة منيعة في كل مكان. أما أن تكون الاشتراكية في مكان ما قوية وراسخة جداً، بينما في مكان آخر معدومة، فهو أمر خطير يدل على انحراف عن الجوهر الاشتراكي. لو طوَّرتَ الاشتراكية أيديولوجية على شاكلة يكون فيها طرف ما اشتراكيا تاماً وطرف آخر فاشياً تاماً، فإنك حينها تكون قد أفرغتها من فحواها. والأمر سيان بالنسبة لحزب ما، فإذا كان قسم منه اشتراكياً جداً والقسم الآخر قروياً جداً، فهذا يعني أنك قضيتَ على الحزب ونسفتَه من الوجود. أي أن الاشتراكية تتضمن في جوهرها التطور المتكافئ المتوازن.

لو نظرنا إلى اشتراكيتي لرأينا كم صارعتُ بلا كلل أو ملل لخلق حزب اشتراكي داخل حزبنا، وكم تصدرتُ مهمة تحقيق التطور الاشتراكي بذاتي بريادة PKK في كردستان. إنها من ضروريات الاشتراكية.

فمثلاً، كان بإمكاني أن أصبح اشتراكياً بيروقراطياً! أو أن أتفوه بكلمتين وأترك الباقي للآخرين، تماماً مثلما هي حال اليسار التركي البيروقراطي. أو أن أكون كالراعي وأدير الآخرين كقطيع ماشية! لكن، ولأن مفهومي الاشتراكي لم يقبل أمر كهذا، لم أسمح بتاتاً بظهور أمور كهذه في ذاتي.

تعبر الاشتراكية عموماً عن المستوى الاشتراكي لحزب ما بأكمله.

على الحزب أن يعكس مستوى تحرر الجماهير من خلال مستواه الاشتراكي الذي بلغه هو، وأن ينقله إلى الساحة الدولية على هذه الشاكلة. أنا أيضاً، ولكوني تداولت نفسي ارتباطاً بصياغة اشتراكية كهذه، استطعت أن أصبح اشتراكياً سليماً ومؤثراً وبليغاً.

بينما كان كل الاشتراكيين البيروقراطيين، بل وحتى كل رجالات الدولة، ينهارون؛ استطعتُ أنا تعزيز مكانتي وتقوية ذاتي. ثمة دروس وعبر جمة يمكن استنباطها من ذلك. هاهم يتساءلون "انهارت الاشتراكية الكلاسيكية. انهارت الاشتراكية، ولكن كيف نجحتَ أنتَ في الصمود كآخر اشتراكي". بيد أنهم لا يفهمون ماهية اشتراكيتنا. إننا لا نعترف بتاتاً بالاشتراكيين المشيدين، الاشتراكيين البيروقراطيين، الاشتراكيين الإقطاعيين، والاشتراكيين

البورجوازيين الصغار. أو لا علاقة لنا بهم لا من قريب ولا من بعيد. بل على العكس، إننا نخوض صراعاً مريراً تجاههم في بنية PKK، ذلك أنه ثمة العديد من الآغوات والبورجوازيين الصغار والقرويين المتظاهرين بأنهم اشتراكيون في PKK. وقد كافحناهم بلا هوادة، وفي النهاية كانت اشتراكية PKK هي المتحققة والراسخة. ولا يزال الأمر كذلك.

الكل يدرك تمام الإدراك أن PKK أصبح قوة بدأت تلعب دورها على الصعيد الدولي بمستواها التحليلي والتطبيقي. لقد حققنا ذلك وقمنا بالتمثيل القيادي والشعبي والحزبي والديمقراطي على أكمل وجه بالتحلي بمفهوم اشتراكي صائب وسليم. وأعطينا الجواب اللازم لمشاكل الإنسان الأساسية ولضغوطات الرأسمالية أيضاً. وهذا بحد ذاته تطور ملحوظ.

يمكننا القول بكل ارتياح أن مستوى الحل لدينا ومستوى تنفيذه على أرض الواقع، إنما يعبر عن انتصار الاشتراكية بمعنى من المعاني. ولا يمكنكم أنتم ولا حتى العدو استنكار ذلك لأن كيفية تحقيقي إياه واضحة وضوح النهار، وبُرهِن عليها بما لا غبار عليه. لقد حققت ذلك بالمفاهيم والسلوكيات والمواقف والتصرفات والأساليب النضالية.

أنا أيضاً إنسان، ولكن أيّ إنسان؟ إنه إنسان له أواصر أيديولوجية، وله علاقة بالسياسة العملية، بالكفاح تجاه الرأسمالية، بالسمو بالناس المسحوقين، وله العديد من العلاقات الأخرى مما يخطر على بالكم. والمحصلة كانت تحليل الاشتراكية المتحققة، واكتساب تأثير ملحوظ في PKK وفي واقع الشعب الكردي وحتى المنطقة برمتها، وتحقيق تطور ذي شأن وصيت. هذا ما يمكن قوله بإيجاز بصدد الوضع السياسي الدولي والمستوى التطبيقي والتحليلي الموجود في PKK.

مثلما لا نصادف فيما نذكره أي أثر لمدح الذات أو تضخيمها، فإنه لا يقال فيه "انهارت الاشتراكية – وهذا ما يبرز لدى اليسار التركي – ولم يبق أمامنا سوى درب الإمبريالية"، ولا يتم اللهث أو الحث على الهرولة وراء هراء كهذا. لم نكن كالسكارى مثلما كانت الحال في الاشتراكية المتحققة قديماً، ولم تنخفض معنوياتنا عندما انهارت. بل على العكس اتجهنا نحو دربنا وسرنا فيها محمّلين بمعاني عظيمة. آمنّا بأن تحليلاتنا ثمينة وقيّمة، وأنه يتوجب التوغل فيها، وأدركنا معنى ذلك وازددنا إصراراً وعزماً عليه. وفي النهاية تم تجاوز اليسارية المزيفة أو

البيروقراطية، وتخطي اليسار المشيد، ولم يكن باستطاعتهم لمّ أشلائهم ثانية. أما نحن فحققنا التطورات المتعاقبة، وإذا استمرينا بهذه الوتيرة وانتهج خمسة أو عشرة أشخاص الطراز القيادي لدينا بكل معنى الكلمة؛ فلن يبقى هناك لا الفاشية التركية ولا الرجعية الشرق أوسطية. وإذا برز عدد أكبر من الاشتراكيين المتسمين بالعزم والإصرار، وعملوا بنفس الوتيرة والطراز وطبقوه حسب متطلبات المرحلة وسيّروا نضالهم بأساليب مناسبة؛ حينها تكون قد تحققت أممية عظمى.

نشعر بالحاجة لتجسيد التواضع والتحلي به لأبعد الحدود. ولكن إذا ما عرف البعض كيف يبقى مرتبطاً حتى بالشكل المتحقق الآن، فلا يمكن حينها التفكير إلا بأنه يعبّر عن أممية حقة. يمكن نقل المستوى الذي حققناه في الواقع الكردستاني إلى الواقع الشرق أوسطي بكل سهولة، أما إلى تركيا فيمكن نقله على الفور دون تماطل. وفي نهاية المآل يعني ذلك زعزعة الساحة الدولية، ويمكن أن يحتل مكانة أسمى من التجربة البلشفية في صفحات التاريخ.

لكننا نهتم الآن بالمستوى الوطني، وحتى بداخل حزبنا. دعك من بنى الأوطان الأخرى، نحن الآن منشغلون بتطوير المستوى السياسي للبنى الأخرى في كردستان، وبتطوير مستوانا الداخلي، وهذا هو الصواب. بل إنني اهتممتُ بالشخص داخل PKK، وانشغلت بذاتي وبالمناضل. بيد أن هذا هو الصواب الذي أسفر عن النتائج المتوخاة.

ننتج ونحيا ونكافح بشكل سليم

لقد أسقطنا التحليلات على مستوى الفرد لأبعد الحدود، بحيث نكاد نتوغل في أدق تفاصيله، وقد ثَبُتَ صحة هذا الطراز. وما الاشتراكية سوى أيديولوجية معنية بالإنسان على الأغلب، وبعيدة عن الدوغمائيات، ومساعدة على تأمين الإمكانيات لرؤية كافة جوانب الإنسان واكتشافها. وأضفينا معنى كهذا عليها، وطبقناها بمقتضاه. والنتيجة كانت الانطلاقة من الإنسان الذي تحول إلى عقدة كأداء، والمشرف على حافة الحيوانية، والوصول به إلى حالة يكون فيه إنساناً سامياً، ذا قابلية للحل داخل PKK. وكلما بلغنا بالإنسان إلى هذا المستوى داخل PKK تحقق بلوغ المستوى الوطني والعملياتي، وتجاوز أشد درجات الحرب الخاصة الفاشية غدراً وفتكاً. إنه تطورعظيم برهن على صحته. وهنا تكمن قيمته الدولية الكبرى. ذلك أنه يتوارى وراء الحرب الخاصة التركية المفروضة علينا كل من أوروبا وأمريكا والرجعية الشرق أوسطية، والذين ترقبوا نجاح هذه الحرب القذرة في كل لحظة. من هنا فالحرب التي خضناها في PKK هي حرب أممية عظيمة، ولها جانبها الوطني والأممي على السواء. حيث أن جانبها الوطني يستهدف الإبادة الوطنية التي يفرضها الاستعمار، بيما تحامل جانبها الأممي على كل القوى الداعمة للحرب الخاصة الفاشية. ويتسم هذا بالطبع بقيمة أممية لا تضاهى.

يقوم الإنسان في صفوفنا بالانتاج في نفس الوقت.

والانتاج الأيديولوجي السياسي لهذا الإنسان يعني الإنتاج المتجدد للحزب.

ذلك أنه ثمة مواقف خلاقة لحزبنا في المراحل الحساسة الأساسية. وهناك تحليل واقعي لكل مرحلة على حدة، وتحديد المهام والوظائف المرتقبة، وتدريب إنساننا بموجبها وتعليمه وتنشئته وخرطه في الحرب. والنتيجة كانت ديمومة واستمرار PKK كتنظيم أو حزب لا يُهزَم. وفيه نجد مفهوماً صحيحاً للمناضل والقيادة، والذي يؤول

تدريجياً إلى مفهوم صحيح للعسكرية والقيادة العسكرية. وإذا ما استمر هذا الموقف بالتجذر والتعزيز بكل نواحيه، فقد ينم عن تأسيس جيش جرار جبار.

الجيش الشعبي الكبير الذي سيتأسس في كردستان سيهز كيان الشرق الأوسط، وسيجلب في نهاية المآل الديمقراطية والاشتراكية، وبالتالي الأممية.

إن هذه الأمور تتطور، والمهم هنا هو البرهان عليها من طرفنا. على سبيل المثال، أنظر إلى ذاتي على أنني أكبر برهان قاطع. فارتباطي بالاشتراكية هو برهان لذاتي على هذا النحو. وإذا أثبت الإنسان الاشتراكي ذاته بهذا الشكل يكون قد أعطى جواباً حاسماً. بيد أن الجميع يتسنى لهم تعريفنا على أننا اشتراكيون حقيقيون، ليس في واقعنا فحسب، بل وفي الأوساط الدولية أيضاً.

كل الرأسماليين عاجزون، رغم كل جهودهم المضنية، عن إعاقة تطورنا وعرقلة النضال المخاض والمتمثل في شخصيتنا. ألم يكن النظام قد تبعثر وتردت مكانة الاشتراكية وانحطت منزلتها! إذا كان هذا الأمر صحيحاً فلماذا لا يقدرون على عرقلتي؟ لأنني أخلق ذاتي وأنتجها بشكل سليم وأُحييها بشكل صائب، وأحض على النضال بشكل صحيح. أمكث في مكان ضيق، ولكن المهم هو تنشئتي لذاتي بصحة، وتحولي إلى أيديولوجي، وتسيّسي وتجمهري وأنسنتي لذاتي. والنتيجة هي تطور لا يمكن لأحد إعاقته. إنه تحويل هذا السنين الخمسة – العشرة الأخيرة، التي رأت الرأسمالية نفسها فيها على أنها المنتصرة الساحقة، إلى سنين نحقق فيها أعظم التطورات.

كانوا يدّعون أن الاشتراكية المشيدة انهارت وأن الرأسمالية انتصرت!

ولكن نحن أيضاً انتصرنا، وهذا ليس بمحض صدفة. في الحقيقة، المنتصر لم يكن الرأسمالية، والمهزوم لم يكن سوى الرث البالي من الاشتراكية.

هذا إلى جانب أننا نجحنا في تحقيق انطلاقة اشتراكية حقيقية كحركة فرضت وجودها وأحيت ذاتها بشق الأنفس، لأنها كانت مرفوضة سواء من قبل الرأسمالية أم الاشتراكية؛ إلا أنها انتهزت الفرصة جيداً في مرحلة

الانهيار وحققت ما حققته. وقد حصل ذلك بفضل جهود قيادة PKK وتحديدها التكتيكات النضالية المناسبة جداً. وإن لم تتم خيانة هذا المستوى فهو مؤهل تماماً لإحراز النصر المؤزر.

لقد بلغنا هذه القوة عبر تحلّينا بشخصية اشتراكية تفسر ظاهرة الإنسان وتتداولها بأصح الأشكال.

وهذا يعد نصراً إنسانياً عظيماً.

قوموا بتطبيق ذلك ولو على نحو عادي، وكونوا المنفذين له بالآلاف. ابلغوا درجة النجاح المؤكد، وفكروا واعملوا. فالاشتراكية تعني العمل، تعني النظرية، تعني التكتيك، تعني الأنسنة. وخاصة بالنسبة لوسط أقرب ما يكون إلى الحيوانية مثل واقعنا، فهي تعني العزم الذي لا يلين، وحل الإنسان وتحقيقه لذاته بأعظم الأشكال. ليكن نموذجنا أو طراز تطبيقنا قوة لكم للتنفيذ لحد ما، حينها سترون كيف تطور مستوى الكسب لدينا. ولكن هذا – مثلما نوهت – يعني العلمية، الإرادة، قوة الفكر، التطبيق العملي، النظرية، والعملية. بإمكانكم دراسة كل ذلك وتداوله على نحو مترابط ومتداخل ومتحد، وبما يناسب قوانينه، والارتباط اللانهائي بالأسس التكتيكية والمبادئ الاستراتيجية اللازمة. وستكونون عندئذ مناضلين سليمين لا يمكن لأية قوة إعاقتكم، مثلما لم تقدر على إعاقتي أيضاً.

ومن البديهي أن يكون الدور التاريخي لإنسان ما محدوداً. حيث لا يمكنك جعله فوق الطبيعة أو خارقاً لها، ولا يمكنك تحميله كل القرون المنصرمة. للإنسان دوره التاريخي المرتقب منه، وبمستطاعه لعبه. وما يتبقى من الأمر يُكمله الآخرون. وفي حاضرنا، القيادة مؤسسة، ولها دورها. والمناضلية مؤسسة لها دورها المنوط بها. وإذا ما قام كل واحد بتأدية متطلبات دوره يكون النجاح أعلى في الأمر. وإذا بُتِرتْ ساق يبدأ العرج في المشي. لهذه العلة نعتمد على حزب يلعب فيه الكل دوره، وإذا ما سيِّرت نشاطات جبهة الحزب، جيشه، أنشطته الجماهيرية، أنشطته العسكرية، تنظيمه الداخلي، ماهيته الأيديولوجية، ومنحاه السياسي على نحو متوازن ومتكافئ؛ حينها لا يمكن التفكير في هزيمة هذا الحزب أو فشل مؤسسته القيادية.

هذه هي تجربة PKK المتحققة بالذات.

لكن عدم قدرتكم على فهمها بجميع جوانبها هو نقصان فيكم. وأنا اتحدث لكم عن وجود وضع قائم.

هاأنذا أعيش في الساحة الدولية.

لماذا لا يقدرون على زحزحتي من مكاني ولو بمقدار سنتمتر واحد؟ على العكس تماماً، أصعّد من قوة تأثيري مع مرور كل يوم لأنني أقوم بتقييمات صحيحة بشأن العالم والعلاقات. إنني اشتراكي واقعي قمت بكل واقعية في تحديد: كيف سأتحرك في كل نقطة؟ ما هو التكتيك الذي سأتبعه، وأين؟ كيف سأفرض أساس صداقتي، وأين؟ أي اتفاق وأين، كيف سأعقده؟ أين وكيف سأرفضه وأقف ضده؟ أقوم بعملي بكل خلايا روحي ووعيي وخطواتي السديدة.

وأنجح. أنجح وأعيش. ولا يمكنكم الادعاء والقول "أنت معجزة، خيال ووهم".

إنني علمي لآخر درجة.

أنا المتحقق!

إنني شخص متوجه نحو الحياة قُدُماً نسبةً لكم وللواقع الكردستاني والدولي. وPKK حزب يسعى معنا ليكون على هذه الشاكلة. وإذا لم يتراجع عن إحراز نجاحاته، ولم يُلحِق به البعض الهزيمة سواء في الداخل أم الخارج، وإذا ما غلب طرازنا دوماً؛ فسيكون المآل هو النصر الأكيد. وإذا تمكنتم من رؤية هذه الجوانب من الحقيقة، سيكون – بلا شك – ثمة مسؤوليات ملقاة على عاتقكم. والمستوى الأيديولوجي – السياسي والتنظيمي سيطلب منكم ما هو لازم، وإذا تجاوبتم معه بشكل صحيح تكونون عندئذ مشاركين جيدين وفاضلين.

المشارك الفاضل يجيد عمله ويحرز النصر لا محال. أما إذا تغاضيم عن كل ذلك، أو قلتم "ليأتِ النصر" وأدرتم وجوهكم عن المشاكل ورَدَدْتُمُوها بأكُفِّكم وتنحيتم عن الدخول في طريق الحل؛ من المستحيل الوصول إلى النتيجة المتوخاة. وإذا قطعتم أواصركم بالأيديولوجية العلمية والتنظيم، دعكم من إحراز النصر، لا يمكن أن تكونوا حينها سوى دافعاً ومسبباً للفشل الذريع.

وقد تفتكون معكم بالكثير من الأشخاص وتقضون على الكثير من الأمور. وهذا ما يحصل فعلاً لدى الكثيرين منكم.

المستوى الذي بلغناه اليوم في PKK مستوى تطبيق أيديولوجي – سياسي تاريخي مؤثر للغاية.

وإذا ما قايسناه بالواقع الدولي على وجه الخصوص، سنرى أن حزبنا قد اكتسب قوة منيعة لا تتزعزع، وتسلح بعزم لا يلين تجاه حقيقة الاشتراكية المشيدة المنهارة والأحزاب الشيوعية الرسمية المشارفة على الفناء والاندثار. لن نضخم ذاتنا، ولكن يبدو أننا أحد أهم الأحزاب الوطيدة المنسجمة مع الأممية والمتحلية بالعزم الراسخ. وسنتطور قدماً باتجاه النصر المظفر.

ثورة كردستان ثورة شرق أوسطية!

وثورة الشرق الأوسط ستكون بمعناها الدولي أكثر الثورات تقدماً وحصداً للنتائج المرتقبة.

عندما قمت بتقييم ذلك، لم أَرَ داعياً للتدقيق في نقاط من قبيل "الأيديولوجية الدينية تسعى اليوم لتكون مؤثرة". بل إن مسألة كهذه تطرح نفسها طبيعياً وتتحزب وتتجه نحو السلطة بسرعة كبيرة. وهي نقاط تستحق النقاش حولها.

ثمة مستجدات جديدة، خاصة في الشرق الأوسط، من قبيل اليقظة الإسلامية وتدوّلها. وبالطبع يمكن دراسة هذه الحقيقة ارتباطاً بعلاقاتها مع الإسلام والمشاكل الحالية والقضايا الطبقية والوطنية، والنقاش عليها ضمن نطاق واسع. هذا فضلاً عن وجود القومية البورجوازية، والقومية البورجوازية الصغيرة المتواطئة. أما مشتقاتها فتجهد لتعزيز تأثيرها لأبعد الحدود في كردستان خاصة والشرق الأوسط والعالم عامة.

بإمكاننا رؤية ما تعنيه هذه الظواهر اليوم بكل سطوع – مثلما كانت الحال في السابق – بنواحيها الأيديولوجية والسياسية والتنظيمية. ونخص بالذكر ما طُبِّق في الجنوب من موديل الدويلة العميلة المتواطئة. هذا إلى جانب المطالبين بالطلبات الإصلاحية الجمة. لقد انتقدناهم سابقاً بحدّة، وكنا محقّين في ذلك.

بإمكاننا اليوم مطابقة هذه الانتقادات مع الحاضر.

ما هو موقعهم تجاه حركتنا؟ كيف سنتقرب منهم؟ كيف سنتقرب على الصعيد السياسي من الحركة الإسلامية، والقومية البورجوازية الصغيرة، والدولة الفيدرالية "المعاصرة" المتواطئة والفاشية التركية؟ ما هي إمكانات التحليل

السياسي لما يسمى بطريق الحل السياسي؟ وإن وجدت، فبماذا مرتبطة؟ على أي مستوى عسكري يكون الحل السياسي ساري المفعول؟ من أي ناحية يكون طرح الفيدرالية على تركيا كمرحلة معينة أمراً موضوعياً؟ أيّ فيدرالية تكون ممكنة من ناحية المضمون؟ ما هي علاقتها بديمقراطية ونضال تركيا؟ بهذا المعنى، ماذا يعني تطور اليسار التركي أو القوى الثورية التركية؟ ما هو التأثير الذي قد ينجم عنها؟ أيّ منحى من التطور علينا فرضه عليها؟

كل هذه المسائل شاملة، ويتحتم البحث فيها كمواد مختلفة عن بعضها. ما معنى إقامة العلاقات السياسية مع الامبريالية من أوروبا إلى أمريكا، ومع مختلف بلدان الشرق الأوسط؟ هل عدم إقامة العلاقات أمر صحيح؟ وإذا لم يكن كذلك، وإذا لم يُنظَر إلى العلاقة السياسية على أنها علاقة استسلامية، فما هو الشكل الصحيح فيها؟ وعوضاً عن مثال الدولة الفيدرالية المتواطئة التي تنظر إلى العلاقات السياسية على أنها استسلام، أو غيرها من العديد من المؤسسات والمنظمات البورجوازية الصغيرة؛ ما هو الموقف الصائب الذي لا يتنازل عن الاستقلالية والحرية، ولكنه في الوقت نفسه لا يتردد في إقامة العلاقات مع تركيا أو أمريكا ودول المنطقة؟

يمكن الولوج في المصطلحات وتقييمات المستوى الموجود في سياق التطور العملي على حد سواء في كل هذه المواضيع، إلى جانب إمكانية تطويرها وتوسيع نطاقها. لا نود الدخول كثيراً في تفاصيل هذه الأمور، ولا حاجة لنا بها، بل يكفي وضع اليد على الأساسي منها. بيد أننا وضحنا تفاصيل العديد من المواضيع من قبل، والحزب يتميز بقدرة تحليلية عليا بهذا الشأن وكلها موثوقة محفوظة. ومن يمتلك العزم والإصرار في قضية الحزب هم بحاجة لها كحاجتهم للماء والهواء. بإمكانهم بلوغها واستنباط الدروس اللازمة منها. لقد أعطينا ما هو مطلوب منا بدرجة كبرى، المهم هو أن يعرفوا كيف يصبحون مناضلين حزبيين.

لا يمكن لأحد الزعم – كما يظن الكثيرون – أن PKK حركة تكتفي بعدة عمليات وتسير من تلقاء ذاتها. مع أنني لست واثقاً من أن ما نُفِّذ هو حقاً دليل على أنها حركة عسكرية. ثمة جهود مبذولة، لكنها تتطلب ترتيباً كالذي يرتأيه PKK. كنا قد ذكرنا ذلك في البداية، ونكرره اليوم أيضاً. لا تزال مسألة سلوك وتنظيم النهج العسكري الذي يصدّق عليه PKK مشكلة تطرح نفسها علينا.

هذا فضلاً عن أن تنظيم الجماهير أيضاً يشكل مشكلة بحد ذاتها. كما أن لهذا المجال مشاكله في نقل الأيديولوجية إلى صفوفه. والى جانبه ثمة مهمة جدية وحساسة في تحويل الأيديولوجية إلى وسيلة للدعاية والتحريض عبر أجهزة النشر والإعلام. فالاستفادة من جرائد الحزب بشكل صحيح، ولعب دورها المنوط بها حسب المضمون الأيديولوجي المطلوب يتم بشكل محدود. ثمة إمكانيات جمة لدينا في مجال النشر والإعلام، ولكنها لا تُستَخدَم ولا تُحوَّل إلى وسائل فعالة للتنظيم والدعاية والتحريض، ولا تولى الأهمية اللازمة. يستلزم رؤية ذلك في إطار المشكلة الأيديولوجية، أي دراسة الوسط المناسب لنشر الأيديولوجية ومعالجتها. فالآن يكاد الكادر يمتلك التلفزيون، وسيكون بحوزته عدد لا بأس من القنوات الإذاعية. وفي متناول يديه هناك الإعلام، القانوني منه والسري. وسواء داخل الوطن أو خارجه، هناك إمكانيات وفيرة، ولا يبقى سوى استخدامها على أفضل وجه.

ثمة تطورات سياسية عظيمة إلى جانب ذلك. فالملايين من الجماهير تتجه نحو التسيس وتتطلع إليه بكل حواسها، وتهتم به بعطش شديد. وبإمكان ممثل جيد للحزب تحويلها إلى تنظيم سياسي بأسرع وقت. فالشعب في كل مكان يود الوصول إلى السلطة وتمثيل ذاته فيها، سواء بالتمثيل الديمقراطي أم الحزبي. ومن يشاء تأسيس تنظيم ما بإمكانه تحقيق ذلك. ومثلما قلت، فإمكانيات الحل متواجدة لأبعد الحدود.

ترون بأم أعينكم أن مستوى تحقق PKK الأيديولوجي والسياسي لا يعد تطوراً وطنياً أو مقتصراً على مرحلة تاريخية معينة فحسب، بل يتميز بأهميته ومعناه على الصعيد الإقليمي والدولي أيضاً، وغدا في مستوى يحترمه العدو والصديق ويأخذه على محمل الجد. وبالطبع عليكم، ككوادر لهذا الحزب، ملاحظة هذا المستوى أكثر من الجميع، وفهمه بأسسه الأيديولوجية والسياسية، والوصول إلى أدق تفاصيل تحليلاته. والأهم هو إتمامكم لمستوى النجاح والنصر المتحقق فيه، ومطابقة ذاتكم معه، وتحقيق الانطلاقة فيها لتلتحموا بالحقيقة الأيديولوجية – السياسية للحزب. وسيسفر هذا الأمر عن تطور فريد رفيع المستوى في نجاحه وانتصاره. وحزب مؤلف من مناضلين على هذه الشاكلة سيكون الضمان الأساسي للنصر الأكيد، وبإمكانه إكمال مسيرة النصر على الدوام ودون انقطاع.

نحن ضد كل الأيديولوجيات المعيقة لتطور الفرد

مقتطفات من نص الحوار الذي أجراه السيد "ديفيد آ. كون" مع القائد "عبد الله أوج آلان". والسيد "ديفيد آ. كون" هو ديبلوماسي متقاعد في الولايات المتحدة الأمريكية. له كتاباته العديدة عن مشكلة الكرد في جنوب كردستان وشمالها، وعن حقيقة حزب العمال الكردستاني PKK.

إن تقييم حزبنا على أنه انفصالي ويطالب بدولة مستقلة منفصلة أياً كان الثمن؛ يعد مبالغة واضحة. كما أن مماثلته بالأحزاب الشيوعية الكلاسيكية وتشبيهه بها ليس صائباً، فالنهج الأيديولوجي والسياسي لحزبنا ليس – كما يقال – على الطراز الشيوعي الكلاسيكي. ولو كان كذلك لانهرنا وأصبنا بالتفسخ مثلما حصل للاشتراكية المشيدة والأحزاب الأخرى المنهارة معها.

صحيح أن حزبنا بدأ بمسيرته على أساس الاشتراكية، ولكنها اشتراكية علمية، حيث توخينا كل الدقة في أن تكون كذلك. إننا نؤمن بإمكان تحليل المجتمعات على أساس علمي، وهانحن نطور مفهوماً اشتراكياً حراً بهذا الشأن، ونشكل وجهة نظر خاصة بنا حسب مفهومنا بشأن الإنسانية والمجتمع. لا يوجد شعب أو مجتمع بدون أيديولوجية، بل يقبل أيديولوجية تلائم واقعه وحل مشاكله.

مثلما لم تقم الاشتراكية المشيدة والأحزاب المحدّدة لوجهتها ومسارها بتقييم صائب بحق الواقع الكردي، فإنها أعدت أرضية أساسية لإنكاره أيضاً.

وقد لحق بنا الضرر شعباً وحزباً من هكذا اشتراكية وهكذا شيوعية.

لكننا رغم ذلك نؤمن بأن مفهومنا بشأن الحرية والمساواة قوي، وحبنا للإنسان عميق، وأن ذلك ضرورة لا بد منها كحق طبيعي لأي شعب يتطلع إلى العيش بحرية ومساواة، ونناضل في سبيل ذلك.

ونملك نهجاً يلائم جوهر الإنسان ويكافح ضد كل أنواع التفاوت والظلم، لا على صعيد الأوطان أو الطبقات فحسب، بل وبين الأديان والمذاهب والأجناس والثقافات أيضاً. باختصار نهجنا يكافح ضد كل المفاهيم والمواقف المعيقة للتحرر سواء على الصعيد الوطني أو الدولي. من هنا، من المهم بمكان تقييمنا كحركة ذات وجهة نظر راديكالية تجاه مسائل أخذت تكتسب أبعاداً خطيرة للغاية من قبيل تلوث البيئة، التزايد السكاني الزائد عن الحد، الخطر الذري وغيرها. إذ تَعتَبِر حركتنا ذلك ضرورة من ضرورات المفهوم الاشتراكي، ونسعى لتطوير ذاتنا كحزب مبدئي للغاية يمتلك نطاقاً أيديولوجياً ويسعى لتجسيده وتمثيله.

لن يكون مفهومنا الاشتراكي، مثلما حصل في بلدان الاشتراكية المشيدة قديماً، خاوياً من الديمقراطية، ولن يعمل على استصغار دور الفرد وتضخيم دور الدولة.

نحن ضد كل الأيديولوجيات الكابحة للجام تطور الفرد تحت ذريعة الدولة.

ونود التنويه هنا إلى ضرورة أن يتمتع كل شعب بحريته الثقافية لأبعد الحدود، وأن البنية المونولوتية (الأحادية) للمجتمع خطيرة للغاية. باختصار، لقد توخينا كل الدقة والحساسية في تبني مفهوم الفرد الذي يطور المواهب والثقافات المتنوعة بلا حدود، كضرورة من ضرورات أيديولوجيتنا. كما أننا بعيدون كل البعد عن المفاهيم الخطيرة التي تزعم أن الدولة كل شيء، والفرد لا شيء؛ أو أن الفرد كل شيء، والمصالح الاجتماعية لا شيء. نحن ضد مثل هذه المفاهيم ونرفضها بشدة.

الحقوق الشخصية للمجتمع بقدر الحاجة، والمنافع الاجتماعية والنظام العام للفرد بقدر الحاجة هي الخاصيات التي حاولنا الارتباط بها كمبدأ أساسي.

النظام الفيدرالي ضروري لأجل شعبنا

إننا لا نطالب بـ"دولة منفصلة" أياً كان الظروف. ما نتطلع إليه هو بكل سطوع، نموذج دولة تتوفر فيها الحقوق الأساسية للشعب على الصعيد الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي. والتمتع بهذه الحقوق ممكن تحت ظل نفس الدولة أو تحت ظل دولة أخرى، فإقحام أشكال الدولة في تحديدات متصلبة كالأحادية أو الانفصالية، أمر يتنافى مع حقائق يومنا الحالي.

نعيش في عصر تتنوع فيه الاتحادات السياسية المتنوعة. فمثلاً لماذا تطبق أمريكا النظام الفيدرالي؟ ألا تتألف من ٥٢ دولة؟ إذن، ولِمَ لا يكون للشعب الذي يتميز بتاريخه العريق، وله اسمه ووطنه، نظام فيدرالي؟ هذا بالاضافة إلى أنه ثمة عدد غفير من أناسنا النازحين إلى المتروبولات بسبب مشاكلهم الاقتصادية والضغوطات وغير ذلك. هذا الكم الكبير من الكردستانيين إنما يزيدون من وطأة مشاكل الشعب التركي أيضاً في الغرب. وهم أيضاً يعيشون في ظروف معيشية صعبة.

النظام الفيدرالي الممكن تطويره سيعيد الملايين من النازحين إلى موطنهم الأصلي. في أوروبا أيضاً ثمة مليونان من الكرد على وجه التقريب، والذين هاجروا إليها لأسباب اقتصادية وغيرها. ومع تطوير النظام الفيدرالي بإمكانهم العودة إلى مسقط رأسهم دون أن يزيدوا العبء على كاهل أوروبا. أما مشاكل الكرد المتبقين فيمكن التفكير بحلها ضمن إطار ديمقراطي.

بعد أن تكون الديمقراطية الواسعة النطاق سارية المفعول في تركيا، سيكون بمقدور الكرد الماكثين في المتروبولات أن يفتحوا لأنفسهم المدارس والمؤسسات الإعلامية. ولماذا سنصاب بالدهشة من ذلك؟ لماذا سنرتبك من هذه الخطوات؟ لتكن الديمقراطية الواسعة، ومَن يرغب يبقى في الغرب، أو يأتي إلى الشرق.

النظام الفيدرالي ضروري لأسباب تاريخية واجتماعية وسياسية وثقافية. ولو نظرنا فقط إلى الناحية الديموغرافية وتمعنا في توزع السكان، فإن القول بأن النظام الفيدرالي غير ملائم، لا يتناسب والواقع المعاش.

أيمكن التفكير في شكل آخر؟ ثمة أشكال عديدة للاتحادات. الكونفيدراليات، نماذج الاتحادات الرخوة، الحكم الذاتي، كل هذه الأمور يمكن حسمها فقط من خلال البدء بمحاورات سياسية واسعة النطاق. إن تشكيل نمط من الدولة يلائم المطالب الوطنية الديمقراطية للشعب الكردي وإدراجها في الدستور ليس بأمر مستحيل. بل إنه الدرب الوحيدة لتجاوز هذه الأزمة الخانقة الحالية، سواء اقتصادياً أم اجتماعياً أم سياسياً. أمريكا نفسها تتبع نظام الدولة الفيدرالية. كذلك ألمانيا دولة فيدرالية رغم أنها تؤلف نفس الوطن. كذلك بلجيكا، ورغم تشكيلها لوطن آخر فهي فيدرالية مؤلفة من قوميتين. وإسبانيا دولة ذات حكم ذاتي أوتونومي واسع النطاق. وثمة الاتحاد الأوروبي، بل حتى يتطور الاتحاد التركي أيضاً حديثاً، ويجب إضافة منظومة الدول المستقلة إلى ذلك. ويمكن أخذ الفيدرالية داخل روسيا مثالاً أيضاً. كل هذه الأمثلة تدل على أن الشعوب بإمكانها العيش تحت ظل نفس الدولة بنظام فيدرالي تتمتع فيه باستقلاليتها وحياتها الحرة، وأنه – ورغم كونها دول مستقلة عن بعضها، بالإمكان تطوير الاتحادات المختلفة والتعاضدات على شكل فيدراليات متنوعة. والسياق يتجه قدماً نحو تطور كهذا.

الدولة التركية ببنيتها الأحادية المركزية الحالية تعتبر مناهضة للديمقراطية بدرجة كبيرة.

إنها لا تكتفي باستنكار حقوق الشعب الكردي والقوميات الأخرى، بل إنها منافية لحقوق الإنسان تجاه شعبها أيضاً، وتتظاهر بالديمقراطية شكلياً، ونحن نناضل في سبيل ترسيخ ديمقراطية متكاملة فيها. لا يمكن تسمية هذا النضال بـ"الكفاح الانفصالي"، حيث يعد ذلك استهزاء بالحقائق واستخفافاً لها لا غير. يمكننا تسمية هذا النضال بالنضال الديمقراطي، أو الكفاح في سبيل المطالب الوطنية والديمقراطية. وهذا هو الأصح.

إذا تمعنا في الأمر لرأينا أن كل التطورات والمستجدات السياسية في تركيا تحصل ارتباطاً بنضالنا. وقد وصل نظامها الكمالي إلى نقطة انعطافية. فإما أن يقوم بإلاصلاحات وإجراء التطورات الطبيعية اللازمة ليطيل من عمره، أو أن يشتد عليه الخناق داخل قوالب أحادية ضيقة فيتأرجح بين انسداد وآخر، أو أنه سينهار ويندحر.

لهذه العلة، كررنا مراراً وتكراراً وبيّنّا استعدادنا التام إذا ما كانت الجمهورية التركية ترغب تحقيق التطور الديمقراطي عبر سلوك طريق الإصلاحات. بل حتى ذكرنا بأننا سنكون أقوى وأمتن ضمان لتطورٍ ديمقراطي كهذا.

نود التصريح مرة أخرى أنه لا همّ لنا في الإصرار على "الانفصال".

يكفي فقط أن يثق الطرف المقابل بذاته ويكون منفتحاً للحوار السياسي. حينها يمكن صياغة المطاليب الوطنية الديمقراطية بأرفع المستويات. ويمكن لتركيا أن تبدي قابليتها للتطور الديمقراطي بأرفع المستويات، ونحن جاهزون. ولا معنى أبداً للإصرار بين الفنية والأخرى على تقييم ذلك بـ"الانفصالية".

بيد أننا نرغب بالفيدرالية بقدر ما هي في أمريكا المؤلفة من أقل عدد من البلدان، وبقدر ما في ألمانيا واسبانيا.

لماذا يكون المطالبة بذلك انفصالية؟

لماذا لا تُرى الحقائق كما هي، بينما يُقيَّم دفاعنا المعقول للغاية ودفاعنا الإنساني على أنه انفصالية؟

ازعموا قدر ما شئتم بأنه "يعتمد على أيديولوجية ماركسية – لينينية صارمة" أو "إنها حركة إرهابية انفصالية". إنها اتهامات لا أساس لها. بل إن الحقيقة ترتبط عن كثب بالآراء التي حاولت طرحها والتطرق إليها.

نريد التضحية، لا غير، من شعبنا

علينا ألا ننسى أنه ظهر، ولأول مرة في نضال PKK، الآلاف من البواسل الأشاوس الذين فدوا بأرواحهم، وصمدوا في أعتى الظروف لوحدهم بكل جسارة وعنفوان وودٍّ دون أن ترف لهم عين، ووهبوا حياتهم في سبيل الهوية الوطنية والديمقراطية، ولأجل الشعب. وقد رأى الشعب ذلك فازداد اهتمامه بPKK وتعلقه به ودعمه إياه. لقد خُدِعَ الشعب الكردي مرات عديدة في التاريخ، لذا فهو لا يثق على الفور بأي قائد كان، إلا بعد أن يرى بأم عينيه أنه تُقدَّم لأجله التضحيات الجسام. حينها لا يتردد ولو لحظة في وهب فلذة كبده ودعم تلك الحركة بكل ما يملك. وهذا ما حدث لدينا.

PKK حركة أبدت تطورها المتنامي على مدى عشرين سنة ونيِّف باتباعها تكتيكات مناسبة في كل مرحلة، فتجاوزت بذلك تقاليد التمرد البدائي المسفر عن نتائج وخيمة بعد استمرارها أشهراً معدودات، مثلما حصل بكثرة في التاريخ الكردي.

كما أن عدم التعرض لهزائم نكراء، بل على العكس، البدء بالتمرد بشخص واحد، أي بي، ليتوسع فيما بعد ويتحول تمرد الشخص إلى حرب شعبية؛ قد أدى إلى إعجاب الشعب الكبير بنا، بل وحتى تقييمه لناعلى أننا ظاهرة معجزوية.

إنها أول حادثة من هذا القبيل تتحقق في كردستان. وإذا كنتم حقاً تودون فهم مساندة شعبنا لنا، عليكم وضع خط أحمر تحت هذه الحقيقة. لم يكن ليدعمنا شعبنا بهذه السهولة بعد كل تلك التمردات القديمة التي سُحقَت بسهولة وتمخضت عن أوجاع عميقة. ولكنه عندما رأى النجاح المستمر لحركتنا على مسار متصاعد مستمر طيلة سنين عديدة، اهتم بنا بدرجة لا تصدق، وبدأ بدعمنا من الصميم.

إننا فقط نطلب التحضية والفداء من شعبنا.

لم نعطِ هذا الشعب أي شيء بسيط يخرج عن نطاق الأهداف السامية، ولم نربطه بنا بالمصالح المادية. بل على العكس من ذلك، قدمنا له حزباً مقدساً يهب كل ما لديه في سبيله، وقافلة من الشهداء البررة الذين ضحوا بأرواحهم لأجله. وهكذا بلغنا جوهر هذا الدعم الذي نلقاه منه.

هذه هي دوافع دعمه لنا. وبالطبع، ثمة نشاطاتنا التنظيمية والدعائية التحريضية المسيَّرة بشتى أساليب النضال، بدءاً من الأنصار إلى حملات الكفاح السلمي. وعلى الصعيد التكتيكي نقوم بخطو خطوات سديدة خاصة بكل مرحلة على حدة، مما أدى إلى تعزيز ثقة شعبنا بنا.

نود إنقاذ الإنسان، ولن نستسلم للرأسمالية بتاتاً

احتلت الثورة الكردستانية اليوم مكانها في مركز الأممية العالمية. ولم يحصل هذا من تلقاء نفسه، بل له مسبباته الرئيسية.

قبل كل شيء ثمة انهيار الاشتراكية المشيدة وعدم جني الثورات التحررية الوطنية الثمار التي كانت تنتظرها، ومن ثم توجهت الأنظار إلى الثورة الكردستانية بعد حلول الثمانينات. وإلى جانب الواقع الدولي السائد، يجب رؤية التأثير الكبير للاستعمار التركي في ذلك. فكون تركيا إحدى دول الناتو، وإناطتها بمهام هامة في الشرق الأوسط، قد جعل من نضالنا يحمل على عاتقه مهام كبرى ويلعب أدواراً هامة.

تطور الثورة الكردستانية يعني في الوقت نفسه تطور الثورة في بلدان الشرق الأوسط، بحيث تكون من العظمة وقوة التأثير الدولي بما يوازي ما كانت عليه الثورة الفرنسية أو ثورة أكتوبر الروسية.

لقد حلّلنا وتجاوزنا الدوافع التي تسببت في انهيار الاشتراكية المشيدة، ليس على الصعيد الجغرافي أو السياسي فحسب، بل ومضموناً أيضاً. حيث لم تَبْدُ القدرة على خلق الشخصية الاشتراكية والديمقراطية الاشتراكية في الاشتراكية المتحققة. لهذه العلة ارتقت الثورة الكردستانية إلى مصافّ ثورة تتسم بالكونية. بالأصل لو كنا تحركنا حسب المفهوم الثوري الكلاسيكي أو حسب مفهوم الحزب الذي أسفر عن الاشتراكية المشيدة؛ لما اتجهنا نحو النصر البتة. ينبع انتصارنا بعد انهيار الاشتراكية المشيدة من تصعيدنا للتطور التنظيمي وتطويرنا نموذجاً جديداً بصدد الحزب والقيادة، أكثر من أن يكون بسبب نشاطاتنا العسكرية أو السياسية أو الديبلوماسية.

نحن مستعدون لمشاطرة إنسانيتنا مع العالم والإنسانية والحركات الثورية سائرة.

تتميز أراضي ميزوبوتاميا التي نعيش عليها بمكانة مرموقة متميزة في ولادة البشرية، حيث منها انتشرت الحضارات الأساسية إلى العالم. إن البشرية مَدينةٌ بالكثير الكثير لهذه الأراضي. الإنسانية التي تتخبط اليوم في الظلمات، وتعاني من التخريبات والتشويهات الاجتماعية لدرجة أصبح العيش أمراً لا يطاق فيها؛ هي بحاجة ماسة لأفق تحرري وفلسفة تحررية وإرادة ثورية تحررية جديدة. لقد أنشات هذه الأراضي عدداً لا حصر له من الأنبياء والفلاسفة. ولكون الثورة الكردستانية تتطور على هذه الشاكلة، فكأن التاريخ يعيد نفسه مرة أخرى.

نمَّت الإمبريالية عن ظهور أشكال ووسائل تنافي الإنسانية، وتناقض طبيعة وطباع الإنسان. ونحن بدورنا نندد بذلك ونرفضه بشدة كلياً. أما الدرس الذي سنلقنه تجاه ذلك فهو درس الإنسانية العريقة.

ما يعاش اليوم هو بربرية معكوسة نتصداها نحن، وكلنا إيمان بانتصارنا تجاهها. قد لا يرغب البعض حتى الآن رؤية مستوانا أو الاعتراف به، بل وقد يعلنوننا كإرهابيين بدلاً من إرهابيتهم البربرية المجحفة. فالإمبريالية الأمريكية قضت على هيروشيما وناغازاكي في الماضي القريب بأكثر الأسلحة فتكاً وبربرية.

أي نظام يتوارى اليوم وراء كل هذه الجنايات والمجازر؟ في أي نظام تختفي الإرهابية الكبرى؟ وفي أي دولة؟ لن نتراجع عن تقييم ذلك. وسنصر على قولنا أن هؤلاء هم أكبر الإرهابيين.

"النظام العالمي الجديد" هو في الأصل أكبر لا نظام، وأكبر فوضى شهدها التاريخ البشري. لا يوجد في الوسط نظام، بل خللٌ يَعظُم تصاعدياً عبر كل أنواع الظلم المتهور الهائج، وشتى التخريبات في التوازن الطبيعي، والتفسخ الاجتماعي. باستطاعة الجميع أن يلاحظوا الآن بسطوع أكبر النتائج المنبثقة عن هذا الخلل. التفسخ يتوسع والمشاكل تزداد وطأة. لذا، فتكرار المرحلة عبر أسلوب نضالي قديم رث أو بأساليب الحروب الشعبية الكلاسيكية البالية؛ هو – إن صح التعبير – "موضة قديمةً". ولا مفر إطلاقاً من تطوير حل أكثر تطوراً، عصري، ذي وجهة نظر اشتراكية لها دعائم فلسفية ومعنوية وعلمية راسخة لتكريس نظام جديد للبشرية. ومن هنا، لا مناص من أممية جديدة تجاه اللانظام، واللاانضباط الذي تفرضه الإمبريالية.

منبع المشاكل المتفاقمة هو النظام الرأسمالي – الإمبريالي. وقد تثاقلت مشاكل المتروبولات الإمبريالية أكثر مما كانت عليه في الماضي. ونكاد نرى وحشية مختلفة في مراكز أوروبا وأمريكا، أما البلدان المتخلفة فتكاد الحياة

فيها تصبح سعيراً لا يطاق بسبب الانفجار السكاني وشتى الآفات والأوبئة المتفشية. ستزداد وطأة المشاكل في القرن الحادي والعشرين على كاهل البشرية أكثر بكثير مما كانت عليه في القرنين التاسع عشر والعشرين. لذا لا مناص من القيام بقفزة اشتراكية وتحدد اشتراكي يعتمد على الإنسان أساساً، ويحافظ على طبيعة الإنسان ومستواه التحرري داخل المجتمع، عوضاً عن اتباع المفاهيم الثورية الكلاسيكية أو طراز الحروب الشعبية القديمة.

سنستنفر كل طاقاتنا للوصول إلى مستوى حزب أممي اجتماعي إنساني مبدئي، أكثر من التحرر الوطني. ذلك أن الأفق الإنساني يتخبط في العتمة الحالكة، ويتوجب تسليط الضوء عليه. كما أنه علينا تمثيل آمال الإنسانية وطموحاتها اليوم أكثر من أي وقت سابق، وسنتشبث بعزمنا هذا أياً كانت الظروف، وسيؤدي ذلك بنا إلى تجسيد الأممية المرحلية الجديدة. ولو تبدت الثورة الكردستانية ظاهرياً وكأنها كأي ثورة أخرى، إلا أنها تتمخض اليوم بأبعادها التي بلغتها عن تأثيرات أممية هامة.

ثمة هجمات مكثفة تستهدف الاشتراكية، حيث تستمر حتى بعد انهيار الاشتراكية المشيدة. فأوروبا اليوم لا تدخر وسعاً لدفن الاشتراكية في القبر، طبقاً لما حصل بعد الثورة الفرنسية في مرحلة الترميم حيث استُهدِف إعاقة الثورة بكل جنون. إنها تعادي الاشتراكية بلا رحمة وتحث على العداوة تجاهها. وقد خلق هذا الوضع للامبريالية الأوربية اليأس والسوداوية لدى الأوروبيين، فهزُلَتْ آمالهم التي كانوا علقوها على الثورة. إلا أن تناقضاتهم مع النظام لم تنتهِ بعد، بل تتجذر أكثر.

ما يتحتم عمله هو عصرنة الاشتراكية العلمية كعلم بحد ذاته. ونحن على ثقة تامة بأننا قمنا بذلك في ممارستنا العملية. من هنا فالمتشتت والمنهار لم يكن أسّ الاشتراكية، بل بعض الاستراتيجيات والتكتيكات القديمة التي لا تفي حق المرحلة.

الإنسانية اليوم بحاجة أكثر من أي وقت مضى لآمال الاشتراكية وعزمها. ستتواجد الإنسانية بالاشتراكية، وإلا فستفنى وتندحر في أحضان الوحشية الرأسمالية. وإذا كنا لا نود للبشرية أن تندحر وتندثر، علينا أن نكون مصرين لأبعد الحدود على الاشتراكية.

يشتبه الثوار العالميون اليوم بذاتهم ويشكون بأمرهم وكأنهم متهمون مذنبون، وهو موقف خاطئ تماماً. فمَن يجب أن يخجل من ذاته ويشك في أمره هم الإمبرياليون، لا الثوار. ونحن بمقدورنا كحركة PKK أن نصرخ بأعلى صوتنا وننادي بالثورة دون أن نضخّم من ذاتنا، بل بالقيام بانطلاقة ذات أسس إرادية وطيدة. إننا نبدي أجل الاحترام للطباع الأساسية والمزايا الرئيسية في الإنسان.

نود إنقاذ الإنسان الذي دمره النظام الرأسمالي – الإمبريالي، ولن نستسلم للرأسمالية بتاتاً، وسنقاوم حتى الرمق الأخير ضد الحياة التي تفرضها بتسلحنا بالعزم الإنساني الراسخ، حتى لو اتحد كل العالم ضدنا أوخمدت كل الثورات.

الثورة الكردستانية ليست ثورة وطنية ضيقة النطاق. إنها ثورة وطنية ظاهرياً وإنسانية عالمية مضموناً. وإذا ما انتصرت فلن تكون مجرد ثورة جمهورية وطنية، بل ثورة جمهورية إنسانية عالمية.

لا تهمنا الحدود، ولا همّ لنا من قبيل رسم الحدود الفاصلة. لكننا نملك الأساليب الحاسمة ونخوض صراعاً كبيراً في سبيل استقلال الإنسان والشعوب. إننا ننشيء الإنسان الفاتح، لفتح الشعوب الواجب فتحها. وهذا يعد مساهمة ومكسباً عظيمين لعلم الاشتراكية.

واليوم نرى فوضى كبيرة في العلاقات بين شعبينا الكردي والتركي. وقد أسست الإمبريالية نظاماً استعمارياً قمعياً متشابكاً ومعقداً على كلا الشعبين اعتماداً على حلفائها الذيليين بشتى الأساليب. والاستعمار التركي يجهد اليوم للقضاء على الشعب الكردي بثقافته العريقة التي كانت من أقدم الثقافات التي شهدها التاريخ.

وبعض الدول – كأمريكا وألمانيا – تسعى بكل ما في وسعها لدفن هذه الخزائن الثقافية والإنسانية في ظلمات التاريخ كي لا تحيا ثانية، وذلك تماشياً مع مصالحها الاستراتيجية الأنانية العمياء. ما نعانيه ليس استعماراً بسيطاً، ولا مجرد قمع سياسي فسحب. بل وحتى لا يمكن إيضاح الوضع بأنه مجرد قمع وطني، إذ تُمارَس سياسة قتل عام لا نِدَّ لها بحق شعبنا. والامبريالية لا تود رؤية ذلك، لذا تزعق وتندب نفسها قائلة "البوسنة" وتتمرد صارخة "الشيشان". إنها تبتكر كل يوم بدعاً مصطنعة في الرأي العام لتَنفُذَ بجِلْدها. وكذلك تدعم النظام التركي الفاشي بازدواجية لا نظير لها وتأبى قطعياً أن ترى ذنوبه التي يقترفها. على الاشتراكيين والديمقراطيين الغربيين أن

يلاحظوا بالتأكيد ازدواجية بلدانهم تلك. وهذا بحد ذاته سيكون أسمى تعاضد أممي بين الشعب الكردي المسحوق وشعوب العالم أجمع.

لا جرم يساوي جرم القتل العام في وهامته التي لا يمكن غفرانها.

هذا الجرم موجود في كردستان بحيث تلطخت أيادي كل البلدان الرأسمالية به. ليس هباء إعلاننا كقوة إرهابية من الدرجة الأولى في العالم. وهم كمثال "الحامي الحرامي" حيث يقترفون أفظع الذنوب بحق الإنسانية، ومن ثم يعلنوننا مذنبين. ولأجل ذلك حيكت الألاعيب الكبيرة في أوروبا. على سبيل المثال، جناية أولف بالمة التي ارتُكِبَتْ في الوقت الذي كان ريغان وكولن والقوى الرجعية داخل الناتو على دفة الحكم. ارتُكِبَتْ هذه الجناية بهدف الإعلان عن PKK كحركة إرهابية، وتعميق العدوات ضد الاشتراكية وتأجيجها، إنهم يروننا ويرون الماركسية – اللينينية كأخطر حركة في العالم.

بينما نحن لا يسعنا سوى الافتحار بها. وهجمات ألمانيا التي تستهدفنا لا تنبع من قيامنا بعدة عمليات عنف تجاهها. بل لأنهم يهابوننا ويخافون الاشتراكية. يريدون قتل الاشتراكية ممثلةً فينا، ولأنهم عجزوا عن ذلك فهم اليوم حاقدون ناقمون. ونحن نفتخر بكوننا حزب ناصع الجبين ومرتبط بالاشتراكية بكل بطولة، حتى في أوروبا.

الثورة الكردستاينة ليست بثورة قومية تعصبية طبقية. وهي في الوقت نفسه ثورة تركية. الثورة الكردستانية المنتصرة تعني ثورة تركية منتصرة، بل وحتى تعني ثورات شرق أوسطية وقفقاسية وبلقانية منتصرة. نحن مستعدون على الدوام لإعادة ترتيب علاقاتنا مع الشعب التركي، ولإعادة تنظيم هذه العلاقات على أساس المساواة، ودون التطرق إلى مشكلة الحدود، بل في وحدة جغرافية متكاملة، بالأخذ بعين الاعتبار تاريخ الشعوب ومستواها الثقافي والسياسي التحرري. ما نريده أصلاً هو الحد من المجازر بحق الشعب الكردي، وإعادة تنظيم العلاقات على نحو إنساني ضمن نفس الأراضي. رغم مواقفنا الأممية، تقوم الشوفينية التركية المؤثرة جداً، بإعاقة ظهور تطور كهذا لدى الشعب التركي. لكن جهودنا الحثيثة الدؤوبة ستصل بالشعب التركي إلى هذه النقطة.

سنرسّخ أممية مثلى مع الشعب التركي فوق أراضينا، ولن ننزلق في القومية التعصبية الضيقة، ولن نسمح لمشكلة الحدود أن تحدَّ من مساعنيا أو تعرقلها، ولن ندخل مناوشات بسطية تافهة من قبيل "هذا القدر من الأرض

لك، وهذا القدر منها لي" كما يقال. بعد انفتاح حرية الشعوب وانتعاشها، ستكون الأممية السامية هي المتحققة. إنه تجدد، ونحن نثق بأننا سننتصر في ذلك.

تكتسب الثورة الكردستانية تدريجياً فرص النجاح والتقدم. ولا توجد أية علامات تدل على الفشل. كما بلغ الشعب الكردستاني حقيقة الشعب المحارب. أما النظام الامبريالي الدولي، فيستهدفنا ويعتدي علينا كأول هدف يجب القضاء عليه. وإذا ما نجحنا في دحر الامبريالية وحسرها من الجبهة الكردستانية، فستماثل ثورتُنا ثورة أكتوبر الروسية، بل وستضاهيها في التأثير.

تسعى الثورة الكردستانية للحفاظ على الآمال التحررية متأججة في الشعب الكردي، وتحقيق خلاصه خطوة خطوة بقدر ما هي ثورة قدوة لكل شعوب المنطقة وحتى للعديد من الشعوب التي تعيش وضعاً مشابهاً لها.

كما أن التجدد الاشتراكي في مستويات أرفع، وتحقيق ثورة المرأة والثورة المعنوياتية، إنما يعني ظهور إمكانات جديدة للتطور الفلسفي الجديد. قد لا نعيش الآن المستوى المرغوب من التطور، لكن من الساطع تماماً أننا نعيش مستوى حسناً من التطور لأجل الإنسانية ولأجل شعبنا وكافة أصدقائنا.

الاشتراكية والحل الكوني المتطور في PKK

لا شك أن للكادحين والمسحوقين والمستعمَرين عالمهم الخاص بهم، ووجهات نظرهم للعالم، ومصالحهم، وتعاونهم المتبادل وتنظيماتهم وكفاحاتهم اعتماداً على ذلك منذ بدايات التاريخ وحتى الآن.

وسيستمر تاريخ نضال الاشتراكية ما دامت الإنسانية موجودة.

تتخبط حياة المجتمع البشري المكتسبة لأرضية علمية منيعة في تناقضات محتدمة حالياً. ذلك أنه ثمة مواقف وحشية بارزة تذكرنا بالحيوانات الكاسرة من ناحية، وثمة طموحات لا تهدأ في الوصول إلى يوتوبيا الجنة من ناحية أخرى. وبقدر وجود الأهداف الاجتماعية تحتدّ التناقضات والجنونيات الفردية الطائشة المتطرفة ضد مصالح المجتمع. وتتكاثف التناقضات أكثر بسبب اصطدام هذه الظواهر وتداخلها مع بعضها البعض.

المجتمعية شكل وجودي خاص بالإنسان، ولا غنى عنه. وهنا بالذات تبدأ الحرب والتناحرات.

كم يلزم تحرر الفرد داخل المجتمع لأجل المجتمع؟

هذا هو صلب التناقض. ولأجل ذلك عمدت مختلف الأيديولوجيات إلى تطوير مختلف الحلول، وتوصلت في يومنا الراهن إلى مواقف أقرب إلى العلم والتقربات الاشتراكية. لم يحصل التحليل الاجتماعي بالاشتراكية فحسب – رغم أن الاشتر اكية هي الأقرب إلى التعبير العلمي له – بل هناك منذ الماضي السحيق مختلف الأديان على وجه التقريب، ومختلف أنواع السحر والشعوذة وحتى شتى أشكال الأفكار قد لعبت دورها في التأثير على مجتمعية الإنسان، سواء على نحو إيجابي أم سلبي. وما الصراع بين التقدمية والرجعية، وفكرة الظلام – النور،

ومواقف الصداقة – العداوة، سوى محصلة هذه التناقضات. ويبدو أن هذا سيظل قائماً طيلة استمرار التاريخ البشري.

نسلط الضوء هذه المصطلحات العامة كي نبين أن الأشخاص والطبقات والشرائح الاجتماعية الظالمة والاستعمارية خصوصاً في يومنا، تسعى لحماية مصالحها، وتزعم عبر دعاياتها القمعية التي لا تهدأ إلى أن نهاية الاشتراكية قد حلّت، وأن ما هو نافذ بالتأكيد هو مصالحها. ويعمد مختلف الأيديولوجيين في القوى والدول الامبريالية الرئيسية على شتى المستويات، إلى انتهاز الفرصة هذه، والتأكيد بكل ما في وسعهم على إحرازهم النصر. ويجهدون للاستفادة من انهيار الاشتراكية المشيدة وانحلالها بعد سبعين عاماً من التطورات العظيمة التي أحرزتها في تعزيز دعاياتهم تلك.

تعاش فترات كهذه في كل مرحلة من مراحل التاريخ، حيث تجنح القوى المنفعية والقالبية الثابتة والساحقة والميالة للاستعمار والاستغلال، إلى المناداة بـ"انتهاز الفرصة" وتشغيل كل مواهبها ومعارفها لتكريس مصالحها، وكأن ذلك أمر لا بد منه إلى الأبد. وإذا لم يتم التنبه فقد تحرز نصراً لا يستهان به. انطلاقاً من هنا، من المهم بمكان أن تتفهم الكفاحات الاجتماعية بعمق وشمولية الواقع القائم بكل أبعاده.

لا ريب في أنه سيكون للإنسانية العالمية والفئات المسحوقة والمستعمَرَة عالمها المعيشي الخاص بها، ووجهات نظرها للعالم، وكفاحاتها في سبيلها. وما الاشتراكية المتحققة سوى مرحلة من ذلك. وقبلها كان الأمر كذلك في الثورة الفرنسية وكل الثورات السابقة لها، حتى الثورة الإسلامية أيضاً. وكما أن كل هذه الثورات كانت ثورات القابعين في القاع والمسحوقين والمستعمَرين بأشد الدرجات، فقد كانت تمتلك وجهات نظر راديكالية عالمية وكفاحات راديكالية. وقد حصل ذلك على نطاق واسع في كل حقبة من حقب التاريخ على وجه التقريب. لكن يجب ألا تؤدي دراسة هذه الظواهر إلى إعاقتنا عن رؤية الحقائق البارزة في يومنا الراهن. علينا ألا نبتعد عن تقييم الحقائق بعين موضوعية، وألا ننزلق في المواقف الاستنكارية أو التضخيمية.

يمكننا القول في هذا الخصوص أن المسحوقين والكادحين فُرِضَ عليهم في كل الأوقات ألا يدخلوا في نمط تفكيري ضيق، بل التفكير على نحو سياسي فلسفي، وأن يقتفوا أثر الحكام المهيمنين في هذا المضمار إلى أبعد الحدود. كما كثرت محاولات التحكم فيهم إما بالعنف أو الخداع، كي لا يفتحوا عيونهم على واقعهم

الأيديولوجي – السياسي، ولا يسعوا لتغييره بالثورة. وتزداد مخاوف الحياة وتكثر مصاعب الظروف المادية المعيشية بما يناقض مصالح الكادحين على الدوام.

يتفشى هذا الوضع اليوم أيضاً، حيث يسود ضيق الأفق وعدم فرض الخطوة الواجب خطوها، وترك بصماتها على اليوم. ويبرز هذا بسطوع أكبر في العالم عامة والواقع التركي – الكردستاني خاصة. هكذا ظهرت حقيقة المسحوقين الملعونة في التاريخ، وهي بحد ذاتها الحقيقة التي طالما نتفوه بها "الشعب المعلون، الطبقة الملعونة". فعدم التخلص من شباك الحكام الساحقين لهم، وعدم النجاة من شباك مصالحهم المنفعية، بل حتى التشبه بهم؛ لا يعنى سوى الشعب أو الطبقة أو الشخص الملعون. وهذا بدروه يشكل الدافع الأساسي للانحطاط والسفالة بشتى أنواعها، أو التسبب في التعرض للاستحقار والاستهزاء.

أكثر الأوضاع صعوبة هي الوقوع في وضعية عدم اكتساب رؤية حرة للواقع الذاتي، اقتفاء أثر الحكام المستعمرِين والأعداء المهيمنين، وتقديم التنازلات لهم والامتثال لأوامرهم والخنوع لهم. هذا هو أساس السفالة وانعدام الأخلاق، وهو – بلا ريب – سبب كل أنواع التفكير الضيق المحصور، والعجز عن تلبية الحد الأدنى من المصالح المادية. ومقابل ذلك استعملنا كثيراً مصطلحات "السفالة، القبح" بحقها، وهو تقرب صائب سنتشبث به حتى الأخير. بالتالي، من المهم بمكان الدفاع عن الأفق الاشتراكي بكل عزيمة وإصرار، والقيام بذلك بحرية وخوض الصراع في سبيله. كما أنه من المهم عدم الوقوع في الدوغمائية أثناء ذلك أو التسمر في المكان والمرواحة فيه.

ذلك أنه بإمكان الكادحين، أكثر من غيرهم، تفهم المجتمع بعين علمية. كل طبقة بعيدة عن الكدح، قد تنزع إلى الكذب وشتى أشكال الدوغمائية، أو قد تفرض كل ما تبتدعه وكأنه أيديولوجيات راسخة أو حتى مطلقة. لكن، وكما حصل في كل مرحلة تاريخية، يعمد أصحاب الكدح وكل المعنيين به إلى تطوير أيديولوجية ثورية جديدة دون ملاقاة أية مشقة، بل ويصيغونها بكل إصرار.

اللينينية أثرت على القرن برمته

تتركز النقاشات اليوم على الاشتراكية التي أثرت في السواد الساحق من العالم طيلة فترة تناهز السبعين عاماً، فتأسست ثم تعرضت للانهيار والانحلال.

من المفيد التطرق إليها ثانية، حيث بإمكاننا تقييم هذه الاشتراكية بوجه عام. فالنظر إلى الاشتراكية المتحققة على أنها تمثل الاشتراكية بكل ما فيها، يحتوي في جنباته ضيق أفق واضح وجدي. أصلا، وحينما نعيد النظر في المواقف التي ترجح فيها الكفة السياسية – التكتيكية اللينينية بشكل أساسي، سيكون من المناسب تقييم الوضع على أنه مرحلة تكتيكية من التاريخ الاشتراكي.

ما هي الخصائص الأساسية لهذه المرحلة؟ هناك التناقضات والنزاعات العلنية بين الرأسمالية والامبريالية، والمتخضة عن اندلاع الحربين العالميتين. قبلها أيضاً كانت هناك عدة حروب لا معنى لها. تعد اللينينية اسماً لحركة الحرية العظمى في عصر ينقسم فيه العالم بما ينافي مصالح الشعوب، وتطغى أشكال الاستعمار الفجة والقاسية بحق الكادحين، وبالمقابل يتقدم العلم والتقنية بصورة مذهلة، ويؤدي هذا بالتالي إلى يقظة سريعة للكادحين، أي يقظة البلدان والشعوب وتوجهها نحو تكوين وطنياتها وأوطانها. وبالفعل حققت اللينينية تأثيراً عظيماً لا يضاهى.

القرن العشرون هو قرن اللينينية.

اللينينية أثرت على سياق القرن العشرين برمته رغم كل الادعاءات البارزة اليوم بأنها "سقطت من الأنظار".

كلنا ندرك أن الاشتراكية العلمية قطعت أشواطاً هامة في البداية مع ماركس وأنجلز. ونخص بالذكر هنا النظرة إلى العالم واكتسابها الميزة العلمية وتوجهها نحو الانتظام أكثر. لكنها لم تتقدم كثيراً على الصعيدين السياسي والتكتيكي. حيث بقي تأثيرها محدوداً للغاية في كمونة باريس خاصة والعديد من التمردات المشابهة لها عامة. أما

اللينينية فعززت فيها السياسة والتكتيك بكل خبرة ومهارة، وأضفت عليها بعُداً أكبر في تغيير العالم بالثورة وتحقيق الثورة الاشتراكية. لكنها – دون ريب – لم تقم بالريادة للنواحي الأيديولوجية والمعنوياتية بشكل ملحوظ. هذا إلى جانب أنها لم تكن مهيأة لإعادة النظر في تأثيرات الرأسمالية والامبريالية أولاً ومن جميع النواحي، ولم تكن جاهزة لتحليلها بشمولية. كل ما كانت تسعى لتحقيقه هو تجاوز النظام الاستعماري القمعي الفج والفظ، وبناء عالم معيشي مناسب أكثر للكادحين والشعوب. وقد نجحت في ذلك.

انطلاقاً من ذلك، لن يكون بوسعنا القول بأن الاشتراكية المشيدة انهارت كلياً أو أنها أصيبت بالفشل الذريع. وهذا لن يكون سواء هراء ورياء.

لا ريب في أنه، وإلى جانب النواحي المتعددة البارزة فيها من أخطاء ونواقص لا تتماشى مع الاشتراكية، إلا إنها تعبر عن مرحلة عظيمة ذات تأثير ملحوظ في تحرير الكادحين وتطويرهم مادياً ومعنوياً. هذا فضلاً عن أن اللينينية تشكل حقاً أهم مراحل التاريخ في إنشاء الشعوب لأوطانها وتطورها على نحو حر مستقل. من هذه الزاوية تعد هذه المرحلة من مراحل الاشتراكية مفعمة بالانتصارات العظيمة النفيسة. وإذا ما سئل "إذن، ما هو الذي يبدو أنه انحل وانهار؟"، يمكن صياغة الرد على ذلك على النحو التالي: عدم قدرتها على تجديد ذاتها أو عصرنتها، وعجزها عن رؤية المشاكل الجديدة أو إيجاد طرق الحل اللازمة لها. في الحقيقة، طُبِّق البرنامج في بدايات القرن – ولو لحد ما – في التجربة السوفيتيية وأحرز النجاح.

على سبيل المثال، يتم الحديث حتى عن بلوغ الشيوعية أيضاً في الربع الأخير من القرن. لكننا كنا قادرين منذ البداية على التنبه إلى أن هذا القول مجرد وهم ومبالغة. فالتكلم عن إصرار الشيوعية وتطلعاتها في مرحلة لا تزال الرأسمالية – الامبريالية فيها محافظة على قوتها، بل وحتى لا تزال أشكال المجتمع العبودي السحيق متفشية ونافذة وخاصة على الصعيد الفردي؛ ليس إلا تضخيماً للذات وخداعاً لها. لكن ما يتوجب فهمه من ذلك هو أن التكتيك اللينيني قد وصل نهايته، أو بالاحرى قام بوظيفته وشارف على دخول مرحلة جديدة.

هاهو غورباتشوف الذي زار تركيا على طريقة غربية قبل مدة. إنه الشخص الذي طالما يُذكر اسمه مقروناً بالانهيار، وهو في الحقيقة يعيش هذا التناقض، سواء كان يفهم ذلك أم لا، ولربما يحاول التصريح به، ولا داعي

للبرهان على ذلك كثيراً. فالمستوى التحرري للشعوب والكادحين بلغ مستوى رفيعاً لا يمكن حتى مقايسته بما كان عليه في القرن التاسع عشر.

كل ذلك هو ثمرة الاشتراكية العلمية ونجاحات الممارسة العملية والتكتيكات اللينينية. ثمة أحزاب شيدت في هذه المرحلة بلا ريب، ولها تكتيكاتها النضالية المتحققة على ضوء اللينينية بشمولية. لكن إذا ما أتينا إلى يومنا سنرى أنه قُطِعت المسافة الواجب قطعها، وبُلِغت المآرب المستهدَفة بدرجة أو بأخرى. لذا كان من اللازم تحديد الأهداف الجديدة. وهذا ما معناه تقييم الوضع الحالي القائم للإنسانية، واستخراج الأهداف والبرامج اللازمة. أي كان يتوجب إما تجديد الأحزاب الشيوعية القديمة، أو بناء الجديدة منها، وبالتالي إيصال الاشتراكية إلى مرحلة ودورة تطورية جديدة. هذا ما كان لازماً. لكن ما لم يتحقق بما فيه الكفاية هو هذا.

وتحقيقه كان شاقاً لحد ما، لأن مستوى التدول المتواجد في السوفييت يشكل عائقاً أمام ذلك. وهنا يكمن مربض التناقض الأساسي. لا شك في أن التدول كان ضرورة لا بد منها في هذه المرحلة من الاشتراكية، ولا يمكن التنكر لذلك. إلا أن تضخيم شأن التدول لهذه الدرجة والمبالغة فيه، إنما كان يناقض جوهر الاشتراكية.

ويُفهَم من هذا أن بناء دولة اشتراكية أو حتى تأسيس ديكتاتورية بروليتارية لا يعني قط بناء مجتمع اشتراكي.

أما بناء الإنسان الاشتراكي فلا يمت لذلك بأي صلة.

وهنا يمكن الخطأ أو المغالطة على الأرجح، حيث اعتُقِد بأن بناء دولة جيدة سيفي بالمتطلبات، وصار الكل حينها ينادي "الدولة، مصالح الدولة" وكأنها شيء مقدس. لكن الغريب في الأمر أن الكل اليوم يشتكي من التدول على الأغلب. وأكثر من أسس الدول والتفّت مصالحهم غالباً حول التدول، نراهم اليوم يشعرون بالحاجة لمناهضة التدول. وهذا مؤشر صريح وتلقائي على مدى أهمية الاشتراكية والحاجة لها.

في الحقيقة كانت الاشتراكية أكثر مَن ناهض التدول.

بل إنها صاغت كيفية تفسخ وخمود الدولة نظرياً. أما الأيديولوجيات الاستعمارية الأخرى فقد أولت التدول مكانة مرموقة ومقدسة. أما الاشتراكية فلا. لكن يا للغرابة! اليوم يعد الموالون لليبرالية – الرأسمالية هم أكثر من

يناقش ويطرح النقاشات المضادة الدولة، وهاهم الرأسماليون في تركيا يتحدثون اليوم بكثرة عن تصغير نطاق الدولة وعن الخصخصة. في الحقيقة إنهم يقومون اليوم بما كان على الاشتراكية القيام به، ولكن عبر الخداع والكذب والازدواجية ولإطالة عمرهم أكثر.

هذا يعني أنه يتحتم على الاشتراكية الجديدة – المعاصرة، وقبل أي شيء آخر، أن تقف ضد هذا التدول أكثر من كل الأيديولوجيات الآخرى.

كان من الواجب أن تنجح في تصغير وتضييق نطاق الدولة وإخمادها، وأن تُظهر للجميع كيفية تجاوزها بالتنبه لكونها تشكل خطراً بليغاً على المجتمع وحتى الفرد، وأنه لا معنى لها، بل وحتى ربما تكون مكمن هذا التناقض فيها. ولكن ما لم يحصل هو هذا نوعاً ما. بل إن فخ الدولة السوفييتية يظهر في مواجهتنا في هذا المضمار كأكبر حجرة عثرة تعترضنا. لا جدال في وجود آثار المجتمعات الاستعمارية القديمة في ذلك، حيث أثرت عليه ما فرضته الرأسمالية – الامبريالية. إلا أن السبب البارز هنا هو تجاوز الإرادة الاشتراكية ذلك، وهي خاصية هامة يجب إلقاء المسؤولية عليها. فهذا هو السبب المتواري خلف ما يتم الحديث عنه اليوم حتى في السوفييت من مسائل الخصخصة والفردية والليبرالية.

أُسِّس نموذج من الدولة بحيث يكتم أنفاس المجتمع. من هنا قد لا يكون ما حصل هو عودة للرأسمالية كلياً، بل شكل من أشكالها. حيث يمهد تضخيم عشرات الأشكال من الدويلات إلى ظهور نتيجة كهذه. إن الاعتقاد بأن رأسمالية الدولة هي الاشتراكية عينها، تسبب في ظهور وضع كهذا. أما الخلاص منه والتركيز أكثر على الفرد فيعني الليبرالية والديمقراطية أكثر. وهذا بدوره يعني تجاوز رأسمالية الدولة، لا تطوير الرأسمالية. لا شك في أنه سيتم التوجه نحو الرأسمالية الشخصية والرأسمالية الخاصة، لكن الزعم بأن المسار هو كذلك تماماً لا يعني سوى تحريف الحقائق، ليس إلا. لكن هذا الجدل لم ينتهِ بعد، ومن هذه الناحية لا تزال التجربة السوفييتية حديث الساعة الساخن، وستظل النماذج التي اقتفت أثرها محط نقاش وإعادة نظر، إلى أن تجد لذاتها بداية خطوة جديدة. المشكلة ليست بالطبع إعادة الاشتراكية المتحققة النظر في ذاتها وقيامها بالتجدد فحسب.

فالمشاكل التي سلطها التناقض أو النزاع الرأسمالي– الامبريالي على رأس البشرية، ليست أقل شأناً من تلك التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر أو حتى بدايات القرن العشرين.

تواجه البشرية اليوم أهوالاً أفظع من أي وقت مضى، حيث هناك مراحل اجتماعية يستعصي التحكم فيها. ونخص بالذكر هنا تخريب الاقتصاد الرأسمالي للبيئة والطبيعة بنسبة تكاد تأتي بنهاية العالم. كما أن البنية التي يصعب كبح لجامها في المجتمع تَئِجُّ بنفسها في حالة لا يحتملها العالم، ويتفشى اليأس المريع في الناس أيديولوجياً ومعنوياً على السواء، ليواجهوا حالة تسودها تشكيلة جوفاء لا معنى لها. هاهم أيديولوجيو الرأسمالية يطورون التقييمات بهذا الصدد. وهذا ما معناه:

قضت الرأسمالية على المثالية في الإنسانية.

نسفت العزم والأمل.

نهاية التاريخ تعني نفاذ العزم والأمل في الإنسان. وهذا يكافئ الرأسمالية.

لم يعد بإمكان الرأسمالية منح الأفق والطموح.

إذن، وفي هذه النقطة بالذات، ماذا يلزم؟

يلزم الأيديولوجية التي تمد الإنسانية بالأمل. وهذا ليس إلا الاشتراكية.

كل أيديولوجية مهيمنة متسلطة تتميز بإظهار نهايتها على أنها نهاية البشرية، وتزعم أن اندحار تاريخها يعني اندحار التاريخ البشري، ولكي تستطيع إحياء ذاتها تدّعي أنه ما من شيء سيأتي بعدها. وقد ظهر مثل هذا الوضع في كل مرحلة هامة. فروما كانت في زمن من الأزمان تُظهر نفسها على أنها النظام الذي لا يتزعزع. وهكذا هي الحال بالنسبة للامبراطوريات الاقطاعية. كما أن العديد من الامبراطوريات الرأسمالية – مثل أمريكا – تجهد لإقناع البشرية بأنها الأخيرة الأبدية. إلا أن التطور قانون من قوانين الطبيعة، ولا يمكن – والحال هذه – أن تحل نهاية البشرية. فلا الكون ينقلب رأساً على عقب، ولا الإنسان يواجه آفات أو دماراً جدياً بهذا القدر.

المشاكل ذات بُعد أيديولوجي – سياسي، واجتماعي واقتصادي. والحلول أيضاً – بلا شك – ستكون ذات أبعاد أيديولوجية – سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية ومعنوياتية. وهنا ستكون المواقف والسلوكيات، التي ترى نفسها مرتبطة عن كثب بمصير الإنسانية، وتهتم بمصيرها، وتحس بمسؤوليتها في حل مشاكلها؛ ذات تأثير

واضح، حيث ستكون المجتمعية وبالتالي الاشتراكية هي الموقف الأيديولوجي الذي يجب أن يكون متسماً بعزم لا يلين ومتحلياً بالعلمية بنسبة عليا.

على هذا الأساس، بإمكان الاشتراكية إعادة صياغة ذاتها.

حقاً لا تستحوذ الرأسمالية اليوم على أي شيء تمنحه. على سبيل المثال، لو ألقينا نظرة خاطفة على آليات السوق الحرة لرأينا أنه تشكلت شريحة استعمارية مستندة إلى السمسرة والرشوة. اهتم الرأسماليون في القرون السابقة بالانتاج والتجارة، أما الآن فقد بقي الإنتاج والتجارة والتقنية على الهامش، لترتفع الأسعار وتنخفض يومياً في السوق حسب نسبة الرشوة.

لا علاقة لهذا الأمر قطعياً بالإنتاج. هذه هي الحالة التي وصلتها الرأسمالية من فقدان المعنى والفاعلية. تسود كل هذه الألاعيب في كل البدان الرأسمالية الكبرى والأساسية، ولا يدل هذا إلا على تهميش الرأسمالية وفقدانها أهميتها وفحواها، لا انتصارها. إلى أين سيكون المآل بألاعيب البورصة؟ إنها شكل من أشكال القمار، حيث تأخذ من هذا لتعطي لذاك، وتتغير اليد النافذة. وهذا ليس إلا قماراً.

إذن، فالرأسمالية وصلت حالة لعبة القمار في يومنا بكل معنى الكلمة.

لا داعي لصياغة تعاريف جديدة للرأسمالية. فالنظام القماري الجيد يعبر عن الرأسمالية في يومنا بأفضل الأشكال. إذن، والحالة هذه، يتم حبك أكبر لعبة قمار اليوم في هذه النقطة بالذات على رأس البشرية. يتاجَر بها بالترليونات، وما هذه الترليونات سوى كارثة مهولة لأجل العالم والبشرية على حد سواء، لأنها تشكل المصدر الأساسي لكل السيئات. وعدم النظر إلى ذلك، أو النظر إليه دون الوقوف في وجهه، يكافئ تماماً التفرج على حرق البشرية والتهامها على نحو أخطر بكثير مما فعل نيرون. إذن، والحالة هذه، ما دام الأمل لا ينقطع من الإنسانية، ويسود الإيمان بأنها لا تزال مفعمة بالعزم والأمل والطموح؛ من الواضح عندئذ – وبما لا يقبل الشك أبداً – ضرورة القيام بعملية خلقها والتحلي بالقدرة على تجاوز نظام القمار ذاك، و– دعك من الهروب من ذلك — تحمل مسؤولية ذلك بدرجة الشغف وبعزم لا يلين وكفاح دؤوب لا يهمد.

أكبر إرهابي هو القوى السياسية والاقتصادية الأمريكية

يطلق اليوم وبكل أعجوبة، اسم "الإرهاب" على الحركات الثورية، وفي مقدمتها حركتنا، وكأنها تشكل خطراً بالغاً.

يقوم الأيديولوجيون والساسة الأمريكيون خاصة بإطلاق اسم "الإرهاب" علينا ليلاً نهاراً، ويسعون لتوضيح كل المجريات من خلاله، مع أنه في الحقيقة يتوجب نعتهم أكثر من غيرهم بهذه الكلمة.

سيكون من الصواب القول أن أكبر إرهابي هو القوى السياسية والاقتصادية الأمريكية.

ذلك أن أكبر بلاء مسلّط على رقاب البشرية، وأخطر لعبة مدبرة، وبالتالي أشد قمع وأفظع تعذيب ممارس بحق البشرية؛ إنما يكمن في إرهاب حفنة من القائمين على البورصة والإرهاب السياسي.

إنهم يمتلكون أسلحة فتاكة في أيديهم، يلوّحون بها كل يوم يهددون الغير. وبين الفينة والأخرى يُشهِرونها في وجه القوى والشعوب الضعيفة ليمارسوا بحقها أفظع إرهاب. تماماً كمن يقمع ومن ثم يتظاهر بالقوة، ينهب مال البشرية ومُلكها، ومن ثم يشير إلى أصحاب البشرية على أنهم هم المجرمون.

ندرك ذلك الآن بصورة أفضل، خاصة بعد الاتهامات الملفقة بإصرار بحق PKK، والتي تفيد بأنه "التنظيم الإرهابي الأخطر في العالم". يدل قول أمريكا "رأس الإرهاب" بحق حزبنا، الذي يتوخى كل الدقة في التشبث بالإنسانية ضمن العائلة الإنسانية، على حقيقة مفادها أنها تريد إلصاق هذه التهمة علنيا لتتوارى وراءها. إنه تكتيك مجرَّب في كل مرحلة من التاريخ.

لو حاولنا تذكّر روما فسيخطر على بالنا أن مسيحيي ذاك الزمن يمثلون حقاً المسحوقين والمظلومين. أما نيرون فكان طائشاً متهوراً، حيث دمر روما ونسفها من الوجود، ودكها على رؤوس أولئك المسيحيين البؤساء،

وجعلهم لقمة سائغة في فم الأسد. لو حاولنا مطابقة ذلك مع امبراطور أمريكا اليوم والمنتفعين منه، فسنرى أنهم لا يكتفون بهدم روما فقط، بل يدمرون العالم بأسره. ولا يقضون على وطننا وتركيا فقط، بل ويحرقون العديد من البلدان الأخرى أيضاً. من الذي حرقها؟ "إرهابيو PKK"! هذا ما يقولونه وينشرونه حسب أهوائهم بالاعتماد على وسائلهم الإعلامية مصرحين فيها "الأرهابيون دمروا هنا وهناك". كما بإمكانهم استخدام العمليات وتحريفها وتشويهها بشكل لا يصدق.

أجل، لقد اتهم نيرون المسيحيين بشأن روما، بينما هؤلاء يعملون على اتهام كل الناس، كل البشرية في كل مكان وكل يوم، لإخفاء حركاتهم التدميرية الكبرى، مستهدفين بذلك لإطالة عمرهم.

عجز الاشتراكية المشيدة عن تحقيق حملة لتجاوز أخطائها ونواقصها، واحتلال PKK مرتبة الصدارة بين التنظيمات الأخرى بعزمه على القيام بحملة كهذه بكل إصرار، واستمرار في عمليته على هذا المنوال بكل خلاقية وإبداع، وتشكيله حجرة عثرة أساسية تعيق تكريس النظام الذي تريد أمريكا تطويره على الأقل في الشرق الأوسط؛ كل هذه الأمور كافية لكي تصبح أمريكا مسعورة.

إنه لأمر غريب!

ظهور عيسى أيضاً كان في هذه الأراضي.

كانت روما في تلك الأثناء سيدة العالم المطلقة، وكان عيسى يسلط الضوء ويكشف النقاب عن هذا الظلم المجحف من خلال كلامه وأحاديثه في القدس وجوارها، ومعه حواريوه الذين لم يتعدَّ عددهم أصابع اليد. وبالطبع، الكل على علم بحركة العقاب الأكبر الذي قررته روما مقابل ذلك: صلب عيسى، ومن ثم الإلقاء بمؤيديه ومقتفي أثره في الحلبات وتقديمهم لقمة سائغة للأسد. لكن، هل كانت روما القوية التي لا تقهر بحاجة لذلك؟ أجل! شرخ صغير كهذا كان يجر روما إلى التحرك بهذه الدموية الوحشية. في يومنا أيضاً نرى جوانب مماثلة لذلك.

ولماذا نكون نحن خطراً كبيراً يهدد أمريكا؟

الإمبريالية الأمريكية تعرف جيداً مسألة الشرخ.

بيد أن الجميع يعرف أن اللينينية حركة فتح شرخ في أضعف حلقات الإمبريالية في تلك الأيام.

واليوم يقال "يفتح PKK شرخاً في أضعف حلقات الإمبريالية، وبكل تعقل، ومنه قد تنبثق نظرة عالمية خطيرة أو يتدفق طراز حياة خطيرة". لذا، واعتماداً على الدروس التي استنبطتها الإمبريالية من التاريخ، تتحامل علينا بكل ما في وسعها.

مثلاً، إنها لا تكتفي بأسفار تركيا المبيدة لنا واعتداءاتها علينا، بل وتنهرها قائلة "لماذا لم تقضِ عليهم مبكراً؟".

كذلك الأمر بالنسبة للدول الامبريالية الأخرى، الكبيرة منها والصغيرة، حيث تدعم تركيا وتساندها لآخر درجة وتقول لها "لماذا لا تقدرين على عرقلة هذا الإرهاب والحد منه؟". مناهضتها لذلك لا تنبع إلا من انسدادها، فقد ساندت تركيا سراً أكثر من عشر سنين، ونعلم أنها دعمتها في كل هجماتها علينا من جميع النواحي. لكن، لقد بلغ السيل الزبى. فكل الشعوب في العالم رأت بأم عينيها أن ذلك ليس إلا اجتياحاً واستيلاء. أين يهاجم هؤلاء؟ وممن ينالون الدعم والمساندة؟ يقولون ظاهرياً "نحن ضد ذلك" كي لا يدخلوا في مأزق حرج تجاه شعوبهم. لكن أمريكا تستطيع التصريح علانية، ودون الشعور بأي خجل قائلة "نحن ندعمها"، لأنها تنظر لنفسها على أنها الأقوى. أما الآن فتقول لها – ولو بنوع من الحياء – "كفى، تراجعي عن تمشيطاتك العسكرية". أما سبب قولها ذاك فهو هزيمتها وعقمها ليس إلا. هذا فضلاً عن أن حقيقتهم تظهر، ويتعاظم الخطر تصاعدياً.

وتتجذر المسيحية باستمرار، طبقاً لما كان في عهد روما.

أما هم، ورغم صيتهم وشأنهم، فيشتد عليهم الخناق ويهيجون ويسعرون أكثير فأكثر. حكم نيرون على كل روما، وكونه امبراطوراً فيها، لا يشير بتاتاً إلى أنه قوي. وكلنا ندرك النهاية التي وصلها.

والآن تمر القوة الامبريالية من هكذا وضع. ومهما تزداد طيشاً وجنوناً، إلا أنها عاجزة عن إحراز تقدم ملحوظ. لأجل ذلك تتهم PKK بأنه "أكبر تنظيم إرهابي". أما قولها "يجب ألا تدعمه أية دولة أو إنسان في العالم"، فينبع من هذه الخاصية التاريخية ليس إلا.

لو نظرنا من هذه الزاوية العميقة التاريخية سيتم إدراك عزم أمريكا ذاك. وما يمكن فهمه هنا من احتلالنا مرتبة الصدراة في جدول أعمال العالم، أنه لا ينبع من كوننا مجرد حركة تحررية وطنية أو تنظيم عنفي محلي أو حتى تنظيم اشتراكي؛ بل لأن حزبنا أحدث شرخاً في صميم النظام الامبريالي وفي المنطقة الحساسة فيه، ولأنهم – أي الامبرياليون – يتنبؤون بأننا سنهدد وجودهم.

اليوتوبيا الاشتراكية، الأمل والعزم، شرط أساسي للنجاح والنصر

باستطاعة PKK أن يكون مثالاً يحتذى به كونه حزب اشتراكي، ولتسليطه الضوء على الجدالات المرحلية الدائرة، والتجاوب مع النقاشات الاشتراكية. يقوم PKK بترسيخ خاصيته هذه على الدوام، وقد يصل إلى النصر كتكتيك سياسي. من هنا، وإذا ما وضعنا نصب أعيننا مدى تعقد النزاعات والتناقضات في الشرق الأوسط، سنرى أنه يمكن حصول تطور متسم لأبعد الحدود بالعزم والإصرار.

إذن فقيام PKK بريادته لهكذا تطورات، سواء لأجل الاشتراكية أم لأجل الديمقراطيات السياسية في الشرق الأوسط، سيضاعف من قيمته وأهميته الكونية أضعافاً مضاعفة.

هل هذه ضرورة؟

أجل، ضرورة هامة للغاية؟ إنه ضروري لأجل النقاشات الاشتراكية الحالية على وجه الخصوص. عزم كهذا لا بد منه لاجل المسحوقين والمستعمرَين، ولمناهضة كل المخاطر المروعة الناجمة عن الرأسمالية، وذلك بالتحلي بأفق واسع وأمل كبير. وهو ضروري كتطور سياسي هام لأجل الشعوب الشرق أوسطية التي هي بحاجة ماسة للديمقراطية والخلاص والتحرر من حلفاء الامبريالية على وجه الخصوص. وPKK يساهم في تحقيق ذلك بنسبة هامة.

إذن، PKK ضروري على الصعدين السياسي والعملي. إنه ضرورة لا غنى عنها، حيث يتجه قُدُماً نحو اكتساب المعاني السامية بالنسبة للإنسانية، سواء أفقاً ونطاقاً أم أملاً وطموحاً. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هو ضروري لأجل تحقيق التحرر الديمقراطي الذي طالما تعطشت له شعوب المنطقة أكثر من كل شعوب العالم، ولخلاصها من العملاء المتواطئين، ولتظهر على مسرح التاريخ ثانية على نحو يليق بحضاراتها التاريخية العريقة الممتدة على مدى مئات بل آلاف السنين. انطلاقاً من هذين الهدفين يعد التركيز على PKK وظيفة

وطنية مقدسة من جهة، ووظيفة أممية من جهة ثانية. ذلك أن PKK، ورغم كل النواقص والمواقف المفروضة عليه في الميدانين الداخلي والخارجي، لم يتراجع ولو قيد شعرة عن خطو خطواته العملية بكل عزم وإصرار.

نسعى للنجاح التام في ذلك. ولأجل النصر المؤزر نركز اليوم بشكل خاص على التكتيكات السياسية والعسكرية لأننا نرى حاجة ماسة لها.

لكن علينا ألا ننسى أن PKK هو حركة توسيع آفاق الإنسانية وتعزيز آمالها بشكل أساسي.

كما أنه يعد قوة تسعى لعكس الوضع الذي سقطت فيه الأحزاب الأخرى خاصة في الاشتراكية المشيدة، والتي تعتمت آفاقها وانعدمت وغدت تفتقر للآمال والطموحات الاشتراكية، حيث تعد هذه النقاط السبب الرئيسي للانهيار والفشل والعناد في اللاتجدد. من هنا، إذا ضاقت الآفاق وانقضى العزم والطموح وانتهت المعنويات، فإن ذاك النظام محكوم عليه بالانهيار والتفسخ حتى وإن حكم العالم. وهذا ما حصل.

بالتالي، من المهم بمكان حفاظ PKK اليوم على آفاقه وآماله وطموحاته حيويةً متدفقةً باستمرار، وإن كان ذلك لا يعني شيئاً بالنسبة للكثيرين.

يبدو أن الميزة الأساسية لPKK هي عزمه على الاستمرار حتى الرمق الأخير. وإن أردنا دعم ذلك بأمثلة، فإيران مثلاً، ورغم كل الانتقادات الموجهة إليها اليوم، تستمر في مسيرتها سليمة لحد ما لتمتعها بالقوة المعنوية التي يطلق البعض عليها اسم "الأئمة" والبعض الآخر اسم "آية الله". وما هذا؟ إنه قوة الآفاق والمعنويات والطموحات، وهي ضرورية جداً. وإذا كان يراد لهذا النظام أن يظل قائماً فمن الحتمي تعزيز هذه القوة المعنوية والمعنوياتية كقوة طليعية في كل الأزمان.

أنيطت الأيديولوجية الاشتراكية بدور الدليل المرشد.

ولانقطاع ذلك عن الاستمرار، انهار النظام.

لذا، يعد الحفاظ على طموحات ومعنويات اليوتوبيا الاشتراكية قوية راسخة شرطاً أساسياً لتحقيق النجاح. وستتواجد مجموعة من الناس المؤهلين لذلك كماً ونوعاً، بحيث تقوم على قيادة هذه الأعمال وتحيا لتعتني بترسيخ

الأمل والطموح والعزم والمعنويات، وتطور متطلباتها باستمرار فكرياً وروحياً. أي أنها ستحيا وتحيي في آن معاً. ويقال لمجموعة كهذه "القيادة الأيديولوجية"، التي ترتبط عن كثب – دون شك – بالعلم والخيال والمعنويات والماديات، حيث تُوازِنها جميعها على نحو متكافئ. هذه الاحتياجات تقوم بتمثيل كل ما هو لازم لتوجيه المجتمع وتأمين صيرورته على نحو صحي حيوي. هكذا هي الحال في التاريخ أيضاً.

وإذا كانت الاشتراكية ترغب في تجديد ذاتها، ما عليها سوى تطوير مؤسسة كهذه وتوطيدها.

الاشتراكية بحاجة لأمثال "الشيخ والبير والدرويش"، الذين كانوا موجودين في زمن ما ويلعبون دورهم.

نذكر ذلك على سبيل المثال، إلا أنه لا يكفي بالطبع. بل هناك السياسة العملية له، حيث من اللازم تطوير السياسة، أي التكتيك.

يستمر PKK في تطوره من هذه الناحية أيضاً. فهو لا يكتفي بالحفاظ أساساً على المستوى الأيديولوجي – المعنوياتي الرفيع العالي للمنتسبن إليه – وقد قمنا بذلك بصراع كبير – بل ويركز على التكتيكات اليومية على نحو قد لا يحظى به أو يسلكه أي حزب آخر.

وسواء كانت التكتيكات التنظيمية أم التظاهراتية أم الحربية بالذات، فكلها أيضاً تندرج ضمن نشاطاتنا الأخرى التي طالما نعالجها ونتداولها بكثافة. ويمكننا تسمية مثل هذا النشاط باسم النشاط السياسي اليومي. التكتيكات العسكرية أيضاً هي في نهاية المطاف تكتيكات سياسية ونماذج تأمين تطبيق السياسة بالعنف. والحرب الخاصة لا تدع لنا المجال لممارسة السياسة على نحو آخر، لأنها تطبق العنف المجحف علينا. من هنا فنحن مرغمون على تطوير الجانب العسكري الأنصاري المعتمد على العنف بنسبة أكبر في تكتيكاتنا السياسية. ونحن نجهد لعمل ذلك، إلا أنه لا مفر من الاحتفاظ بأصول الأمور وقواعدها في هذا الشأن، وتطوير العنف في التكتيكات السياسية توازياً مع مدى فرض الحرب الخاصة علينا. إنه شرط لا غنى عنه لإحراز النصر.

ثمة نواقص جدية في هذا المضمار. بيد أن الكثير من الأحزاب والتنظيمات التي كانت موجودة في تركيا، اندحرت وشُلّ تأثيرها لعدم تمكنها من القيام بذلك. وقد تمكنا نحن من التطور لأننا طورنا تكتيكاتنا في الوقت المناسب ولم نفتقر إليها تجاه تحامل الحرب الخاصة علينا. وPKK اليوم إن كان متحلياً بالطموح والعزم ولا

يلقى الهزيمة بسهولة، فهذا لا يرجع فحسب إلى تفوقه الأيديولوجي – المعنوياتي، حيث لا يكفي ذلك لوحده في إحراز النصر، بل ولتطويره النشاطات التنظيمية العملية يومياً، وقيامه بالفعاليات العملياتية والعسكرية الصائبة. وإذا ما أصرينا على انتهاج هذه التكتيكات الصحيحة فسنحظى بإمكانية التوجه نحو النصر الأكيد.

يعود الفضل الأكبر لانتشار صيت وصدى PKK كحركة كادحة على الصعيدين الوطني والدولي على السواء، إلى تشكيله جواباً فاضلاً لمشاكل مرحلة الانحلال والتفسخ للاشتراكية المشيدة على الصعيد الكوني، والى عدم عدواه بأمراض مشابهة في هذا النطاق. ولكونه حافظ على صيرورة تطوره الخلاق، ولم يفتقر للتكتيكات اللازمة في السياسة العملية، بل وأبدى المقاومة اللازمة لذلك في كل الساحات سواء في السجون أم الجبال أ م داخل الوطن أم خارجه؛ فقد وصل إلى مستوى حركة تهابها الامبريالية وتلاقي الصعوبات البالغة في التحكم فيها.

لا شك في أنه لا بد من حفاظ PKK على أهميته كحركة أو حزب كادح.

وهذا بدوره لا يكون إلا بتحقيق النجاح.

ذلك أنه تتوارى وراء الاعتداءات المريعة المستهدفة إياه، كل القوى الرجعية الدولية. لذا يتطلب من PKK تعزيز نفسه جيداً في الآفاق والأهداف والمعنويات، والتعمق كثيراً على الممارسات العملية. وعليه ألا ينظر إلى التطورات القائمة والمحرزة للنصر على أنها نتيجة نهائية، بل بداية لإرساء الحاكمية والمهارة والخبرة.

انطلاقاً من ذلك يتسم التحليل كمناضل بمعاني عظيمة، حيث تعد التحليلات التي قمنا بها في صفوف التنظيم في الفترات الأخيرة، ضرورة لا غنى عنها لأجل نجاح PKK.

كنا قد قلنا بكل صراحة أن الشخصية التي أردنا تحليلها، والفرد المتأثر كثيراً بالنظام القائم، والمحمّل ببقايا ما قبل العصور على نحو قوي؛ هو عامل من عوامل الحرب الخاصة بحد ذاتها. كما أبدينا بالمقابل أن تحليل ذلك، وتجاوز المخاطر المباشرة أوالملتوية النابعة منه؛ إنما هو مزية أساسية جعلت PKK يكون PKK حقاً. أما خوضه لنضال كهذا في داخله، وتعيين الفرد المريض والعمل على شفائه ومعالجته؛ فهو يشكل جوهر نصره ومغزاه.

تبدى للعيان بكل جلاء أن كل فرد أو مناضل أو حتى قائد لم يقدر على تحليل ذاته بشمولية، لن يتمكن من التخلص من كونه عائقاً جدياً أو يفرض نفسه كعنصر متزمت متحجر بعد مدة وجيزة جداً، مهما ادعى بأنه "مستعد للنضال" ومهما وهب نفسه. بيد أن الانهيار بدأ في هذه النقطة لدى الأحزاب التي قادت الاشتراكية المشيدة. إذ حينما تطور التزمت والتعصب في المكتب السياسي واللجنة المركزية لهذه الأحزاب، انتشر فيما بعد على موجات متتالية في كل خلايا الدولة والمجتمع. وهكذا حصل الانهيار والعجز عن قطع المسافة. ويتواجد مثل هذا الخطر في PKK أكثر بألف مرة.

النمط الموجود في PKK مصاب بالوباء بما يضاهي ما هو عليه في بلدان الاشتراكية المشيدة أضعافاً مضاعفة.

إنه النمط المتأثر بالرأسمالية من الدرجة الثالثة، أي المتعفنة، والمحتالة. كما أنه نمط مشوه بأشد أنواع العبودية الخارجة عن نطاق العصور، وبكافة أشكاله الرجعية من عائلية وقبلية وفردية. وانطلاقاً من حزبنا ندرك تماماً أن هذا النمط يكفي لوحده لإلحاق الهزيمة النكراء بعشرة ثورات ونسفها من الوجود.

أظهرت التحليلات ذلك بأعلى المستويات. والكل في حزبنا يعلم علم اليقين أنه إن لم يتم تخطي مثل هذا النمط، دعك من إيصال PKK إلى عام ١٩٩٥، بل لما كان بمستطاعنا حينئذ إيصاله حتى إلى ١٩٨٥. بل وربما عجزنا عن إظهاره حتى في ١٩٧٥. يعبِّر كفاحنا وصراعنا تجاه هذه الشخصية عن حصول تطور من قبيل نشوء حزب اشتراكي في الوقت ذاته. فالصراع الطبقي يجب خوضه، ليس في الأوساط الموضوعية – الفيزيائية للطبقة أو الشعب فسحب، بل وداخل التنظيم وضمن العقل أيضاً على السواء، كشرط لا مفر منه. يجب تسييره في الشرايين الوريدية وفي كبده وقلبه. وإذا كان السعي للنجاح الأكيد في الصراع الطبقي موجوداً، يتحتم عندئذ خوض صراع داخلي وتربية النفس تجاه التزمت والبيروقراطية على نحو مكثف.

رغم أن بعض المعلمين نوّهوا إلى أن الصراع الطبقي لن يتوقف حتى في المرحلة الاشتراكية، وأنه يجب التصعيد منه حينها؛ إلا أن ذلك بقي عاماً ومحصوراً بألفاظ وجيزة للغاية.

يتطرق لينين إلى ذلك بقوله: "تكاد البورجوازية الصغيرة تنبثق من إنتاج السلع الصغيرة في الاشتراكية، وهذا ما سيهدد النظام الاشتراكي على الدوام". لكن الكلام هو عبارة عن هذه الجملة لا غير. أما كيفية تسيير ذلك في

الحزب، فلم يستطع رؤيتها – حيث لم يكفِهِ عمره – ولم يتم تطويره فيما بعد. يتسم ستالين بمفهوم صراع طبقي فظ. فقد قال "بعض الزعماء" مضخّماً من الأمور. أما المقصودون بذلك فأخفوا ذاتهم، ومن لم يتوارَ عن العيون تمت تصفيته على نحو فظ. والنهاية، الفشل الذريع الذي حل بهذا الموقف.

ماو أيضاً قام بتقييمات مشابهة. لكن، ورغم أن الصين لا تزال تدير أمورها لحد ما، إلا أنها بعيدة عن تطوير ذلك من جميع النواحي. كثيرة هي التطورات المشابهة لتجربة الاشتراكية المشيدة في الصين. لكن إذا ما صعّدوا من الصراع الطبقي قد لا يصابون بعدوى الحزب في السوفييت. وحينها تكون مدى تأديتها لوظائفها بصدد الديمقراطية الاشتراكية والأممية على وجه الخصوص موضوع جدال. وإذا كانت لا تزال تحافظ على وجودها فلذلك علاقة قريبة بارتباطها بمبدأ الصراع ذاك نوعاً ما.

بالطبع، لم ننتبه إلى هذا الوضع في مرحلة تأسيس الدولة فحسب، بل وفي زمن مبكر جداً. هذا التنبه لم يكن على شكل مناهضة بعض الانحرافات اليمينية واليسارية داخل الحزب فقط، بل، ورغم عدم تغاضينا عن ذلك أيضاً وصراعنا المرير تجاه المواقف اليمينية – اليسارية الفظة وأصحابها؛ إلا أنه تبدى بكل جلاء – وخاصة مع وصولنا إلى يومنا الحالي – أن ذلك لا يفي الأمر حقه.

لا يكفي الصراع تجاه الانحرافات اليمينية – اليسارية.

هناك أسباب أخرى غذّت الأنحرافات اليمينية واليسارية، إذ رأينا فجأة أن الشخص الذي يلعب الدور القيادي في الصدارة، إذا لم يستطع تطوير النضال كل يوم، ولم يمد القاعدة الكادرية بالمعنويات والتدريب بما فيه الكفاية؛ فلن يكون ذاك الحزب حزباً طليعياً. بيد أنه إذا نظرنا إلى الخطوات التكتيكية المرحلية لPKK، نرى أن معاناة عدة أشخاص للانسداد فيها يؤدي بلا شك إلى فشل ذريع وهزيمة نكراء. ورغم هذا النضال العظيم، إذا ما كان هذا الأمر على هذه الشاكلة فهذا يعني أن الخطر جسيم.

وما الحل حينها؟

الحل، تعبئة الحزب داخلياً بمستوى عالٍ من المعنويات والسياسة والممارسة العملية، ودعمه بقوة تحليلية كافية، وخوض نضال متصاعد ومتواصل في هذا المضمار.

ولأن PKK سلك هذا الطريق لحد ما في السنوات الأخيرة، فإنه يتوجه قُدُماً على طريق التطور.

لهذا السبب تدعي امريكا أن "PKK أكبر تنظيم إرهابي". وإذا كان PKK لم يتعرض للإنحلال رغم تعرض مختلف نماذج التنظيمات الأخرى، فإن هذا يشير إلى الجانب الخاص به ويكشف عنه. هذا إلى جانب الجهود الحثيثة للجمهورية التركية في التفسيخ والتشتيت، والتي لم تنجُ منها ولو مجموعة كردية يسارية واحدة.

أما PKK، وعلى العكس تماماً، فعزز وجوده أكثر رغم الحرب الخاصة الشديدة. وهذا ينبع من قدرته التحليلية الخبيرة والنافذة، من هنا يمكننا القول أن PKK، ومن خلال المستوى الرفيع للصراع الطبقي الذي خاضه، يعتبر خطوة تقدمية ومساهمة بارزة في تجربة الأحزاب الاشتراكية وتاريخيها، بل وحتى في الاشتراكية ذاتها.

إذا أراد حزب ما في يومنا الحفاظ على ماهيته الاشتراكية وتأمين صيرورته ليس بالنجاحات العملية- السياسية فحسب، بل وبتفوقه المعنوياتي أيضاً؛ عليه أن يكون نوعاً ما مثل PKK.

نموذج العالم القديم أصبح قميصاً ضيقاً على الإنسانية

إذن، إن أردنا تعريف كونية PKK، فلن يكون سوى بهذا الشكل على أغلب الظن. ولربما عجزنا حتى بذلك عن صياغته كما نريد، لكن كل المؤشرات تدل على أن هذه المزايا التي يتحلى بها PKK تعد حاجة ماسة لا غنى عنها لكل تنظيم على وجه العموم وللتنظيمات الاشتراكية على وجه الخصوص، إن كانت تقصد النصر والتوفيق. ولا يمكن إعطاء الجواب اللازم بشكل آخر لقضايا الإنسانية المتفاقمة عامة، وللوظائف السياسية والمعنوياتية التي تستلزم جهوداً دؤوبة ودقة كبرى.

لأجل ذلك وصلت كل الأحزاب السياسية في تركيا إلى طريق مسدود، وانحلت وهُزِمت. بل وحتى يذكر في كل أصقاع العالم أن كل الأحزاب على وجه التقريب بيمينها ويسارها- حتى في فرنسا وألمانيا بل وإنكلتر – قد عفّ عليها الزمن وانقضى عمرها وانحلت، ولم يعد أحد يأبه لها.

هذا صحيح، كل الاحزاب الكلاسيكية اليمينية – اليسارية تم تخطيها.

وهم بالذات يعترفون قائلين "تتفاقم لا مبالاة الشعب بكثرة". لكنهم عاجزون عن البحث عن نمط حزب جديد، ولو نجحوا فعلاً في إعطاء الجواب ولو بشكل محدود، فسينهمر عليهم دعم الشعب كالمطر. حتى البورجوازية التركية التي لا تزال تتسم بالليبرالية الشديدة في تركيا، تمتلك اليوم حركة ديمقراطية جديدة. تريد أن يلمع نجمها وتجني ما تريد نوعاً ما. لماذا؟ لأن الأحزاب اليسارية – اليمينية القديمة كلها تحجرت وتزمتت.

هذه هي الحال في العالم أيضاً. وهذا هو إعصار التغير الجديد الذي أرادوا تقديمه ولو على نحو محرَّف جداً. بل حتى ويمكن القول أن مفهوم نمط الدولة القديمة لا بد من تجاوزه. يتم تطوير التدوّل اليوم كثيراً، وهذا بحد ذاته لا يدل على شيء سوى أن الأحزاب اليمينية – اليسارية القديمة، وكل الأنظمة التي تتواجد في الدولة بأنماطها الاشتراكية المشيدة أو الرأسمالية الليبرالية، وبنى الدول الرثة العفنة التي ترتكز إليها تلك الأنظمة؛ أصبحت قميصاً

ضيقاً على الإنسانية. كل الدول غدت قميصاً ضيقاً على المجتمعات، ولا مفر من تمزقها. بالطبع لا يتم إيجاد الحلول، ولأجل ذلك تتزايد الضائقات وتتفاقم.

إذن، أهم تناقض بارز في يومنا هو التخلص من الدول التي تشد الخناق على الإنسانية كقميص مدرَّع ضيق، وتجاوز ركائزها من أحزاب يمينية ويسارية. والإنسانية تشعر بالحاجة الماسة لذلك. وثمة الكثير من العلامات التي تُشِيدُ بأنه حان وقت مرحلة كهذه. من هنا يعد القرن الحادي العشرون قرن تجاوز هذا النمط من الدول. وهنا لا نقصد بذلك تجاوز الديكتاتوريات الطبقية فحسب، فالاشتراكية المشيدة برأسماليتها الليبرالية أو رأسمالية الدولة فيها، أياً كان اسمها فليكن، وهذه النماذج القائمة تشكل عائقاً جدياً على طريق الإنسانية. في هذه النقطة بالذات يمكن تسليط الضوء أكثر على النظرية الاشتراكية الداعية إلى فسخ الدولة وإخمادها وإزالتها من الوجود. أي أنه من اللازم أن تخمد هذه النماذج من الدول ويتم تخطيها. وبإمكان الاشتراكية في هذا المضمار التسلح بأقوى أشكال العزم والإصرار. لم يعد بمقدور الشعب تحمل عبء الدول القائمة، لقد أصبحوا حشداً بيروقراطياً متراكماً ومكدساً فوق بعضه، ولا يتيحون المجال لظهور تطور خلاق. بل يعملون على جمع السمسرة والعقارات ليوزعوها على الفئات المستهلكة. إن هذه الدول تسفر عن وضع كهذا لا يطاق، وتتسبب في حلول الكوارث.

إذن، والحال هذه، يمكن صقل نظرية الدولة في الاشتراكية وشحذها لتقديمها على نحو ساطع مرة أخرى بعد تصحيحها. يجب أن يُدرَك من الآن فصاعداً أن تأسيس الاشتراكية وتعزيزها لا يعني قط تأسيس الدولة، بل وإنها مكلفة بمهمة تجاوز نمط الدولة وتعديه على نحو أساسي. لم تتمكن الاشتراكية من ملاحظة هذه المرحلة الأولية، وإذا رأتها فقد عجزت عن تأدية متطلباتها وضروراتها. وعليها الآن بالتأكيد رؤية هذه المرحلة الجديدة، وإدراك أنه لا بد من تجاوز الدول، وإظهار ذلك وتسليط الضوء عليه، بل والعمل بالذات على تغيير هذا الواقع. ومن الجلي تماماً أن الاشتراكية لن تكون قوة أيديولوجية ومعنوياتية وسياسية قوية راسخة إلا حينما تفلح في تحقيق ذلك. وبالطبع سيتم إسقاط ذلك بشكل ملموس على المجتمع من خلال تحلّيه بعدد مناسب من السكان، ورعاية جيدة، وبسيادة الصحة ووسائل التربية والتعليم وغير ذلك من المجالات. كما سينعكس على مشاكل البيئة أيضاً بشكل خاص.

لا ملاذ للاشتراكية من التعمق على هذه المشاكل. ولكن يلاحظ من الجانب الآخر أنه لامناص لها من تجاوز هذه الدول لحد ما، باعتبارها – أي الاشتراكية – ثورة سياسية، وأنه دون تحقيق ذلك لا يمكن لأي إصلاح لوحده أن يفي بالغرض.

هاهي أحزاب عديدة تنشأ حديثاً، سواء كانت إصلاحية أم معنية بالبيئة "الحزب الأخضر"، وإذا لم تتجاوز هذه الأحزاب نطاق أنظمة هذه الدول، فمن المستحيل أن تبلغ مآربها في إرساء بيئة صحية، أو أن تسد الطريق أمام التخريبات في هذا المجال. كما لن يكون بمقدورها عندئذ الحد من تردي المعنويات وانخفاضها في المجتمع أو خمود الآمال وزوالها في الحياة. بهذا المعنى لن يكون بمكنة تجارب الإصلاحية الحالية أن تحرز أي نجاح.

من الضروري حتماً أن تكون النظرية الاشتراكية شاملة لهذه الدرجة كي تتمكن من حل هذه المشاكل المتفاقمة. ومهما تتعالى المزاعم القائلة "لا بد من الإصلاحات، ولا يمكن تجاوز هذا النظام بأي شكل آخر"، طبقاً لما كانت عليه الأحزاب الإصلاحية المفروضة على الأيديولوجية الاشتراكية أو الاصلاحية في القرن التاسع عشر؛ إلا أن هذا لن يجدي نفعاً سوى في تعظيم الرأسمالية على نحو أخطر، وإطالة عمرها أكثر. وكما جرى في تجربة الاشتراكية المشيدة تماماً، فالتقارب من الرأسمالية لن يؤدي إلا إلى التساوم والوفاق معها، وبالتالي تعظيم الرأسمالية على شكل معضلات مستعصية أكثر خطورة. من هذه الزاوية يكون من المهم التنبه للإصلاحية، وربطها بسياق تطور الثورة، ومقابلتها بمواقف صائبة سليمة وتسخيرها في خدمة الثورة دون الانزلاق في المساومة اليمينية أو اليسارية أو التصارع معها.

من الملاحظ أن يوم النضال والكفاح والتعاضد للكادحين منطلق لتطوير الآفاق الاشتراكية وطموحاتها، وتحديد برنامجها وتكتيكاتها العملية – السياسية أكثر من أي وقت مضى؛ إنما يحثنا على التركيز عليه بشدة.

وحزبنا PKK يعيش وضعاً سامياً حقاً في هذا الخصوص، أو بمعنى آخر فهو ينظر إلى هذه المسألة اليوم على نحو أفضل ويضفي عليها معاني أسمى من خلال جهوده الواعية والمنظمة. بل وحتى يمكن القول أنه الحزب الأنجح في استقباله إياها على هذا النحو. وباستطاعته التحلي بأعلى درجات العزم والطموح والأمل اعتماداً على ذلك في المراحل المقبلة. هذا إلى جانب قدرته على خوض أقدس وأنبل الصراعات الثورية الإنسانية في ممارسته العملية ضد الحرب الخاصة اللاإنسانية. تتمخض المرحلة المعاشة عن تزايد عظيم في الأمل والإصرار وسمو

الروح من جهة، وتعد ثورة يتوجب النجاح فيها في المجال العملي – السياسي من جهة أخرى. والعنفوان والحماس الناجمان عنها كافيان لوحدهما لإنعاش الحيوية لدى المناضل وحثه على لعب الأدوار العظيمة. وإذا ما تم توخي الدقة في الأسس والمبادئ التكتيكية بشكل أكبر، لا يمكن حينئذ التفكير في عدم خلق كل مناضل في ظل PKK لتطورات هامة جداً. بل ومن المستحيل ألا يتعاظم الاهتمام بPKK ليتجاوز حدود الشعب الكردي المعروف بأنه يقبع في أشد درجات التخلف، ويحظى باهتمام كافة شعوب المنطقة واقتفاء أثره، وعلى رأسها الشعب التركي.

لقد ولجنا مرحلة كهذه. ونخص بالذكر هنا أن تخلص الكادحين الأتراك من ظروف العيش التي لا تطاق، والقضاء على الوضع اللعين المفروض عليهم، إنما يعد المشكلة الرئيسية بالنسبة لهم. وتكاد كل الظروف اليوم تفرض علي الشعب التركي الكادح أن ينتفض ويثور. وبالطبع فإن PKK هو القوة التي تقدم له يد العون وتهيء الظروف وتسانده في هذا الخصوص أكثر من أية قوة أخرى. وهذا ما معناه أن أمامه فرصة تاريخية لا تعوض.

ومثلما ذكرنا في كل وقت، فالنجاح في المهام والوظائف على هذا الأساس يعد بداية لتطور ثوري عظيم وجديد في منطقة الشرق الأوسط.

تتميز شعوب الشرق الأوسط بوحدتها وتكاتفها خلال تاريخها المديد ومراحلها الحضارية المشرفة.

أول عبور إلى مرحلة الحضارة حصل في هذه الأراضي. وهنا تأسست الحضارات والإمبراطوريات العبودية العظيمة ذات الشأن والصيت وبأكثر نواحيها خلاقية. هذا إلى جانب كون الحضارة الإقطاعية بأشكالها العريقة نشأت في هذه الأراضي. أما الرأسمالية وتطورها العام فظهر أمامنا على شكل حضارة فيما نسميه ببلاد الغرب اليوم، وهذا ما يسفر عن وضع مختل كثيراً ضد مصلحة شعوب الشرق الأوسط، ومتناقض مع تقاليدها التاريخية العريقة بأعلى الدرجات، ويؤدي إلى بروز نمط سيء للغاية من الإنسان القزم والمجتمع الإنساني القزم.

لا يمكن لشعوب الشرق الأوسط أن ترضخ لذلك، ذلك أنها تدرك مع مرور كل يوم أنه إذا ما أفلحت في تبني تاريخها العريق وواقعها الحضاري العظيم على نحو صحيح، حينها فقط سيكون بمقدورها العيش. أما الرأسمالية

المطعَّمة والملقّنة في القرون الأخيرة المعدودة، فلم تجلب سوى الأزمات الخانقة، ولم تتمخض سوى عن ظهور أنماط من المجتمعات والجماعات بحيث لا يمكن للإنسانية أن تحتمل العيش فيها. أما مهد الإنسان ومنشأه فقد فُرِض عليه أن يكون مقبرة للإنسانية. ولا شك إطلاقاً في أنه إذا تنبهت الشعوب الشرق أوسطية لهذا الأمر فستعرب عن ردود فعلها الجامحة وستثور ناقمة.

وهذا ما يقوله حزبنا ويعمل به.

إذ سيتحدى الرأسمالية الساعية لقلب مهد الإنسانية إلى مقبرة لها. وسيرد الصاع صاعين للرأسمالية – الإمبريالية التي غدت بلاءً فادحاً على البشرية، ولم تتعد أن تكون مجرد نظام قماري لا غير. ومثلما حصل في بدايات نشوء الحضارات، سيلعب دوره ويؤدي وظيفته ليكون مهداً لتجاوز المجتمعات الطبقية وتخطي الراسمالية الناهبة. لقد قمنا بتحليل كهذا في بدايات ظهور حزبنا ايضاً.

ومثلما لعبت هذه الشعوب على هذه الأراضي دورها في فجر التاريخ، ستقوم بوظيفتها لتكون مجدداً مهداً للحضارة والمجتمع الطبقي بكافة أشكال حضاراته. ولا يوجد أي سبب يعيقها أو يمنعها عنه. وحتى إن وجد فلا يمكن القبول به كعائق أو الإذعان له مقابل مهمة تاريخية نبيلة كهذه.

نحن نفكر على مستوى رفيع وبنطاق واسع كهذا.

أهم ما في الأمر أنه هناك عوائق لا تُحتَمَل في الحياة اليومية الحالية، ويتسم الوقوف يومياً في وجهها بقيمة حياتية تماثل – وربما تضاهي – قيمة الماء والهواء والطعام في حياة الإنسان. بيد أن ما يمد PKK بالحياة والحيوية يومياً هو هذه الضرورة القصوى للخصائص الإنسانية. إذن، فهذا النطاق الواسع الشاسع، والرؤية المستقبلية البعيدة، وتحدي العوائق في الحياة، والتي لا يمكن الرضوخ لها أو تقبلها بأي شكل من الأشكال؛ كل ذلك يجعل من الإنسان أثمن وأقوى حتى من القنبلة الذرية.

لقد حقق PKK ذلك لحد ما.

النمط القيادي في PKK هو نوعاً ما اسم لتحقيق ذلك.

إذا تواجد الإصرار والعزيمة، واتسم كل مناضل بهذا النمط من الشخصية وأمّن صيرورتها؛ حينها لن يكون هناك أي سبب على الإطلاق لعدم تحويل أعظم الآمال وأسمى الطموحات وأطول اليوتوبيات عمراً إلى حقيقة واقعية هامة. وما النجاح العملي الذي قد يراه الكثير بأنه معجزة لدى PKK سوى مؤشر واضح على ذلك.

إننا، وبناء عليه، نعرب عن ارتباطنا الوثيق بطموحاتنا الاشتراكية وتاريخ الشعوب بقدر ارتباطنا بمصالحها اليومية الحالية القائمة وبيوم تعاضد الكادحين.

ونبدي جل احترامنا عبر نضال حزبنا المتجه قدماً نحو النصر، والمتسلح بالعزم والإصرار الراسخ، ونباركه لكل الإنسانية ولشعبنا أيضاً.

الحياة مقابل الموت،
والحرية مقابل العبودية

كم ستتمكن الاشتراكية من تسليط الضوء على مشاكلكم؟

إنه لأمر مهم لأن الاشتراكية دليلنا المرشد أيديولوجياً. أي أنها الوقود والوعي والروح التي ستسيّركم وتقودكم. وبدون ذلك ماذا ستفعل الأقدام؟ إن الكدح والجهد الفظ لا يخدم سوى العدو.

يتميز اختيارنا للاشتراكية كأيديولوجية بقيمة ثمينة، لأنها ضرورة. وهذا أمر صحيح. ولكن هل ستنوِّركم؟ هل بمقدوركم الانبعاث والتنور بالاشتراكية؟

ثمة أيديولوجيات أخرى أيضاً. بعضها تنتهج القومية التعصبية، والبعض الآخر تسلك الدرب الديني، وبإمكانها هي أيضاً التطرق إلى الحقيقة وذكرها بنسبة معينة، وحث الإنسان على النهوض. إلا أنها، ولأسباب متعددة، لم تلق النجاح في أوساطنا. ويبدو منذ قرون عديدة أن الإسلام والتعصب القومي قاصران عن إعطاء النتائج المطلوبة.

أما بالنسبة للاشتراكية فقلنا "لربما".

في الحقيقة، لا داعي للتطرق كثيراً إلى تاريخ الاشتراكية، مبادئها و"PKKويتها". أو بمعنى آخر، ما سأرغب ذكره بالاشتراكية، كم سيقدر على تشخصيكم في الأساس؟ هذه هي الاشتراكية أولاً. ولكنها ليست هذا القدر بالطبع.

إمكانية تشخصيكم.

لقد رغبنا منذ البداية تقييم الـ"PKKوية" كسياق تطور مفهومي، وأردنا تعريفها على أنها تعني الوصول إلى الإنسان المفكر والمهتم، ذي المفهوم والإدراك الكافي، وإبرازه إلى الوجود. وهذا كان المبدأ الأولي للاشتراكية. لكنني أنظر إلى حالكم وأرى مستوى تطبيقكم وتطويركم إياه في ذاتكم محدوداً للغاية، بل وترفضونه. لماذا؟ لأنكم تخافون ذاتكم كثيراً، ولا تتجاوبون مع التعريف. هذا هو السبب الأساسي لشخصية الفرار والهرب.

عمَّ يعبر هذا البروز الواضح لشخصية الهرب لدينا في الخصائص الوطنية الاجتماعية؟

يعبر عن كونها تقبع في وضع جد خطير، وستخاف من نفسها لو نظرت ورأت وأدركت الأمور. ولأجل ذلك فهي تقول "لم أرَ، سأهرب، سأغض النظر". ولكن، هل يمكن بلوغ مكان ما بالهروب من حقيقة الشخصية ومن الحقيقة؟ كلا! سيكون السقوط في حالة أسوأ فأسوأ. وأعتقد أن هذا هو الدافع الأساسي أو الصياغة الأساسية لعدم تطوركم.

إنكم تخافون ذاتكم وتهربون منها.

وتخافون كثيراً من الخصائص الإنسانية الأولية عامة والوطنية والاجتماعية لدينا خاصة. ما تجرأتُ على عمله كقائد هو وضع حد فاصل للهرب، ومحاولة فهم الحقيقة بلا رعب. وبقيتُ مصراً على ذلك وانتهجتُه وتحاملتُ عليه بجسارة. ومن لا يدرك ذلك بعمق "لحد ما" ولا يشعر به أو يسمعه أو يتجاوب مع المفهوم وبالتالي مع التعرف على ذاته؛ فحاله أسوأ من حال الحيوان. وأقوال ذلك بكل صراحة لكم وللجميع.

لا أستطيع تعريف الشخص الذي لا يفهم حقيقته من جميع النواحي، ولا أن أقول فيه أنه "إنسان".

من الذي يعيش؟

كيف يعيش؟ هل يعيش حقاً، أم لا يعيش؟

علينا تفهم المبادئ والقيم الأساسية التي تجعل من الإنسان إنساناً. وبدون فهمها لا يمكننا التقدم ولو قيد شعرة نحو الأمام. ولمَ نخدع بعضنا؟ ولمَ أحاول تدمير ذاتي وتدميركم بمقاتلية بسيطة رخيصة! لِمَ أُدخِل نفسي وأُدخِلكم في ضوائق كل يوم ونتأفف ونمزق قلوبنا!

أردنا الإيمان بوجود طموح وعزم لديكم بالقول "هؤلاء يبحثون عن شيء ما". ولكن ربما اقترفنا أكبر سيئة بحق ذاتنا بالقيام بذلك. من أي ناحية؟ من ناحية أننا سذَّج. ظهر للعيان أن التفكير على نحو إيجابي بهذا الشكل بحق الناس مغالطة كبرى، حيث هناك يأس وتردد وتراجع كبير في المبادئ والقرار، والأهم من ذلك في التطبيق العملي، لدرجة أنكم لا تبالون حتى بذلك.

وما معنى "هذا الذي صار"؟ ولأجل ذلك لا يمكننا استقبال هذه الأمور دون الإصابة بالدهشة والذهول.

كل خسارة سهلة تعبر عن حقيقة إنسان فانٍ.

كل خاسر بسهولة، كل فاشل تعبير عن حقيقة إنسان يخاف ذاته ويهرب منها.

علينا ألا نخدع ذاتنا. إن انتظار الاحترام والود والرحمة والعناية من الغير أمر فارغ. فمن يسيء بحق ذاته لهذه الدرجة لا يحق له إبداء أي احترام أو ود او رحمة أو عناية.

اهتمامنا بالاشتراكية في الحقيقة هو لوضع حد نهائي لذلك. قد يعجب بعضكم بتيار ديني ما، أو ينتهج أيديولوجية شاملة ما.

ما يحصل لدينا ليس الهرب من الاشتراكية فحسب، بل ومن الأمور. وليس هناك من يعيش حتى حسب حقيقة الدين أو التعصب القومي، أو هذه الفلسفة أو تلك، رغم أنه ربما تكون مثل هذه الحقائق الفكرية جد رجعية. إنها فوضى وبلبلة كبيرة.

يقول الأمريكيون في الآونة الأخيرة "إننا عاجزون عن تحديد سياسة معينة بحق الكرد". وإذا ما حاولنا التمعن في ذلك لرأينا أنه صحيح، لن تستطيع تحديد السياسة. أعتقد أن أمريكا تدرك الآن أكثر أن واقعاً اجتماعياً مشتتاً إلى أشلاء مبعثرة، وخارجاً من جلده بنسبة مهمة، لا تقدر أي حقيقة وطنية أو أي قوة عالمية —كالأمريكان — ذات سياسات متطورة، أن تحدد المسار. وإلا فنحن نعرف مدى خبرة ومهارة الأمريكيين في إدارة الناس وتوجيههم في واقع الاستعمار الحديث.

لماذا هم عاجزون عن تحديد سياسة بحق الكرد؟ إنهم عديمو الحل والقرار. ولربما يعتمدون على PKK حينما يقولون "إنه ظالم مجحف، بلا رحمة" قاصدين إياي وPKK في ذلك. وما هذا سوى سياسة أمريكية. في الحقيقة هي ذاتها أكبر ظالم متعسف وعديم الرحمة. عندما يقف البعض في وجه البعض الآخر يلجأ كثيراً إلى التفوه بهذه الألفاظ عندما يعجز عن تعريفه على نحو صائب.

والآن، ها هي تركيا تقول "الحرب التي خضناها حرب إنسانية". إنها ألفاظنا وتعابيرنا نحن. كما أنها تقول "نحن ننقذ الإنسانية من وباء عضال"، مع أن هذه تعابير PKK، وذات أسس أيديولوجية وسياسية راسخة لدينا. لكن العدو يلصق بك حقيقته ويراها لائقة بك، ليصارعك بهذه الطريقة.

إذن، فالعدو لا يحسب لنا أي حساب قط، ولأجل ذلك ينزع إلى نهب طموحاتنا ومبادئنا من قبضتنا. إذن فهو يتقرب على أساس ضعف لا محدود، ولا يفقه شيئاً، أو أن ما يفقهه هو "بإمكاني فرض كل شيء" أو "بإمكاني أن ألصق كل ما لدي من خصائص سلبية وسيئات بهم لتكون لائقة بهم".

ترتكبون أكبر خطيئة بحق ذاتكم عندما لا تعرفون كيف تفكرون، أو تحيون بلا تفكير، إنني واثق من كوني مصدر الأمل والحيوية والجسارة في PKK. أجل، سيستمر PKK في كونه المصدر الذي لا ينضب على الدوام، ولكن ما يجب إدراكه من الأساس هو وجوب التحلي بالمفهوم وتجسيده، والاعتماد أساساً على الفكر، والبدء بعملية الخلق والابداع. أما النتائج الأخرى فهي أمور ثانوية.

أصعب شيء في العالم هو إدارة شؤونكم.

بقدر ما تعتبر الإدارة السياسية للكرد، إدارة الحزب الكردي، الإدارة الأيديولوجية، وحتى الإدارة العسكرية، من أصعب الأمور في العالم؛ فهي تتطلب المهارة بنفس المقدار.

الحقيقة الأخرى لدى الكردي هي، إذا كان الموت أفضل ما يعرفه الكردي، أو أنه ليس خبيراً بأمر سوى بالموت، ففكروا أنتم بالبقية.

كم بمقدوركم تحقيق الحياة؟

أي إذا كان أفضل تفكير له هو الموت، فما الذي يمكن قوله في السيئين؟ السيئون حينها يقرأون الفاتحة على أرواح من لا يفكرون سوى في أفضل شكل للموت. أيُّ اسم يمكن إطلاقه عليهم؟ هل نسميهم بالزبانية؟ هذا هو اسمهم. إنهم العدو بحد ذاته، وأفضل واحد فيهم مفهومه هو إعداد نفسه لأفضل أشكال الموت، أو حتى لشكل يمكن القبول به من الموت.

هذه أيضاً من حقائق إنساننا؛ لا يفكر في الحياة إلا قبل الموت، أو بعده.

يجب قبل كل شيء رفض قابلية الموت بشدة، سواء لدى السائحين في الحياة لجذبهم إلى العيش، أو لأجل من يفتحون عيونهم على الحياة حديثاً.

من الذي يرفض الموت وحب الموت فيكم؟

وأي موت يرفضه؟

الأهم من كل ذلك، من الذي يفكر بالحياة، بعد رفض الموت؟ وأي حياة؟

إنني أصغي للجميع، لكني لا أرى من يعيش حسب مقاييسي وحسب الاشتراكية. وأظن أنه لهذا السبب لا نستطيع إظهار أو خلق قيم عظيمة داخلنا. إذا لم يكن هناك شعور بالحياة، فأي قيمة ستتطور؟ أي شخصية ستحقق مسيرة النصر؟ لننظر إلى الفئات الاجتماعية التي تزعم قائلة "أنا أعيش". لننظر إلى القروي، إلى العامل، إلى الموظف؛ حالهم أسوء من حال "الحمار" في الحظيرة، فالعدو يزجهم في الحظيرة ولا يُطعِمُهم حتى الطعام. ولا قوة لديهم حتى كي ينعقوا مثل "الحمار"، ولكنهم يزعقون قائلين "أنا أعيش". شخصية متسمرة غافلة لهذه الدرجة ألعن بكثير من قوم موسى الذي حلت عليه اللعنة.

أين هم هؤلاء من الحياة؟ لقد نفرت ونقمت على هؤلاء الناس منذ سن مبكرة، ولا أقولها مدحاً في ذاتي، وقلت أنه لا يمكن الحياة معهم، رجالاً كانوا أم نساء، عائلات أم قرابى. لا زال يخطرني أنني من حينها هرعت وراء الحياة. أين يمكن العيش؟ كيف يمكن العيش؟ لأجل ذلك أسسنا الحزب وخضنا الصراع.

من جانب آخر، أنظر إلى طراز حياتكم فأرى أنه لا يليق إلا بكم. كل أنواع القبح والموت والاندثار موجود فيها، ولا علاقة لها بالصواب بتاتاً. لكنكم تقبلونها وتستمرون فيها. هل يمكن خلق إنسان عظيم واشتراكي على هذا النحو؟ هل يمكن خلق مسيرة عظيمة؟

كلا!

ولأجل هذا بالذات عليكم الاهتمام بأيديولوجية الحياة حتى أكثر من الماء والخبز، ذلك أن الحظي بالماء والخبز أمر مرتبط بمدى الاهتمام بالحياة والتعلق بها. لو انتبهت لرأيتم أنني لا أقول لكم "إنكم تخوضون حرب الحياة"، بل أقول إنها "حرب شعبية" أو "حرب اشتراكية" وأقف عند هذا الحد، لأنني لم أصل إلى تلك النقطة بعد. ولأجل وصولها يستلزم الإيمان بوجوب الحياة وضرورتها.

هناك حاجة لتعريف الحياة.

يجب أن تسأل نفسك لحد ما "أي حياة؟" كي تصارع لأجلها، وهل هناك جواب دون سؤال؟ هل هناك صراع دون حقيقة؟ وإن كان موجوداً فهو ليس إلا صراع الأوهام والأكاذيب. لماذا تجعلونني أقول ذلك؟ لأنكم لم تمثلوا العظمة، ولم تتجاوبوا مع الحياة، لأنكم فعلتم خطأً. انتبهوا، تقييماتي هذه متعلقة بحقيقتكم. علينا أن نكون واقعيين وواضحين.

خيانة الحقيقة هي بالنسبة لي خسارة كل شيء.

في الحقيقة، لا توجد لديكم مخاوف أو شكوك فيما يتعلق بحقائق الحياة. وإلا أَمِنَ الممكن أن تحصل مسيرات خاطئة كهذه؟ أمن الممكن أن تقبلوا بهذا الكم من النواقص والسلبيات؟

لا أود تهديدكم بهذه الأقوال. ومن يهددكم فعلاً مسلَّط على رؤوسكم ويفعل ما يشاء كل يوم. لكن الصحيح هو أهمية القيام بانطلاقة فكرية صائبة، لا التهديد أو التخويف أو فرض القواعد التنظيمية الفظة أو المهام الصارمة. يجب الإيمان أولاً بقوة الفكر والأيديولوجية. ولا يمكننا إصلاحكم بأي طريق أخرى أو جعلكم تعون

ذاتكم وتستيقظون من إغماءتكم. "حرب الحياة، حرب الاشتراكية" هي كلمات تعبر عن مكانات ومصطلحات رفيعة المستوى.

إننا نقضي على هذه الحياة المفروضة علينا. يقال لنا "التفوا ثانية حول ما خسرتموه". إنكم عديمو الحل بالطبع. هل ستعيشون الحياة المتأثرة بالعدو كثيراً؟ هل ستبلغونها؟ هل ستتقربون من العملية الخلاقة المبدئية للغاية التي نطرحها نحن؟ هل بقيتم في الوسط بلا شيء؟ بيد أنه ظهر للعيان أن العدو لم يعد يستطيع العيش حتى في أجوائه هو.

إنه لا يمنح أحداً أي عمل، ولا ينتج حتى الإمكانات المادية الفظة. من هنا، فإعالتكم ورعايتكم أمر يصعب في الحقيقة حتى على العدو. إنكم لا تقتربون من المسألة حتى لو كانت معنية بالبديل والخيار الذي أطرحه أنا. وهذا ما يسمى بـ"البقاء بين الكنيسة والجامع". وماذا عسانا فاعلون بالناس الذين لم يمنحهم العدو حتى حاجاتهم المادية الفظة!

أجل، ستقولون بهذا الخصوص "ما يلزم عمله هو الثورة". ونحن نفرض الثورة، لكنكم لا تستطيعون تحملها أو القدرة عليها.

هل أنتم منتبهون كم أنهاكم العدوء وأفناكم؟ إنه يقول "لقد مررناهم بالمجازر"، لكنها ليست مجازر من النوع المعتاد.

إنه أشبه بطراز بعض الحيات التي تترك فريستها نصف ميتة، أي تأكل قسماً منها وتترك الباقي. لو أن العدو يلتهمنا كلياً، فنحن قانعون بذلك. ولو مارس بحقنا ما مارسه بحق الأرمن، فهو أيضاً حل. لو طبق علينا استعماراً يماثل ما تفعله انكلترا بمستعمراتها، فنحن راضون بذلك. لو طبق بحقنا الاستعمار الحديث الذي تمارسه أمريكا، فنحن راضون بذلك أيضاً. لكن المجازر المطبقة بحقنا مختلفة. علينا أن نتفهم بشكل سليم ماهية الوحشية والبربرية التركية. لقد جردتنا من إنسانيتنا.

تركيا هي التي خلقتكم.

إنني أجهد لبناء ذاتكم منذ أربعين عاماً من خلال جهودي التحررية. كم باستطاعة تركيا أن تبني الإنسان وتنشئه؟ إنها لا تعي ذلك حقاً. ولا يهمها مسألة بناء أو تنشئة إنسان كهذا. طور هتلر تكتيكاً للمجازر، لكن يبدو أن الكمالية أخطر منه. هتلر جنى ثماره التي يرغبها، لكن الكمالية لا تجني نتائجها، وهذا هو أخطر الأمور، ذلك أن الناس الذين قُتِلوا نصف قتلة، وماتوا نصف ميتة، أخطر من أولئك الذين برزت عظامهم تحت جلودهم في المعسكرات. تصور أن مجتمعنا كمعسكر عام، حينها يكون أخطر من معسكرات هتلر حسب اعتقادي. هذه هي الكمالية. هتلر يضع الفوارق ويطبقها. أما الكمالية فهي تغوص في السذاجة الفاشية، ولا تنتهي بنتيجة. لا تلتهم فريستها، بل تتركها كالجثة نصف المذبوحة، لتتعفن وتفوح رائحتها النتنة.

فكروا في إنسان غارق في الفشل كل لحظة، ونفسية إنسان حُكِم عليه بالإعدام ينتظر لحظة الحسم في كل ثانية؛ هذه هي الكمالية. أي حال يصير إليها هنا! إنها تنم عن إنسان نصف مجنون، بائس، مسكين، لا حول له ولا قوة.

نصف ميت!

أي أنها ليست الإبرة المميتة تماماً. هل هو من العصابات القديمة؟ إخفاء الطعام بأن تفوح منه رائحة النتن لحد ما على الطراز القديم. زجت تركيا الكرديَّ في وضع كهذا، وتستغله أيضاً. لكن الكردي يبقى على نحو بائت ويمر عليه الزمن حتى يتعفن وتفوح رائحته، وتقول له "سآكل منك قليلاً" عندما يلزمها ذلك، تماماً مثل الحية والمرّة. والدب أيضاً يفعل ذلك. أي أن الاستعمار التركي هو، من ناحية ما، استعمار الدب. إنها حقيقة. وماذا عسانا فاعلون؟ لو أنكم تتحلون بمستوى من الفهم، فكيف ستنجون من كونكم جثة نتنة أو طعام جاهز للدّب؟ إنها معضلة كبرى. ماذا سنفعل؟ إلى أين سنهرب؟

كيف علينا أن نعيش ونموت؟

"كيف نموت؟".

وصل أناسنا إلى نقطة "اختيار نوع الموت الذي يعجبه".

نريد الشتبث بالحياة والحفاظ على ذاتنا في سبيلها.

ولكن، ما علاقة ما ذكرناه بالاشتراكية؟ هذا ما ستقوله.

الاشتراكية هي أيديولوجية خلق الإنسان الحر ارتباطاً بالمجتمع الحر، وخلق المجتمع الحر، وكسب صراع الحرية وحربها... وباعتبار أننا بحاجة ماسة إلى الحياة الحرة فهذا يعني أن الاشتراكية هي الأيديولوجية التي نحن بحاجة إليها أكثر من غيرها.

لكن، لننتبه إلى أننا لم ندخل النضال الطبقي هنا. ولم ندخل إلى الاشتراكية المطبقة في PKK أيضاً.

لكن ما يمكننا قولI على الفور أنه، وباعتبار أننا سنعرّف الحياة من خلال الاشتراكية، فالصراع في سبيلها سيكون عبر الاشتراكية أيضاً. وبما أن الاشتراكية هي الأيديولوجية التي تنادي بالمجتمعية في واقع شعب خرج من كونه مجتمعاً؛ فسيكون البحث عن الحل كامناً في الاشتراكية.

هذا، وبما أن عبودية الفرد قد تعشعشت لهذه الدرجة، فعليكم البحث عن الحل في الاشتراكية لأنها عِلْم الحرية. أي، الحاجة للاشتراكية ماسة ومصيرية. اختيارنا للاشتراكية لم يكن اعتباطياً، بل يجب فهمه على أنها الأيديولوجية الإنسانية المثلى التي ستنقذنا. إذا ما أخذنا بعين الاعتبار واقعنا الاجتماعي وعبوديتنا المترسخة، نراها شاملة للغاية.

لو تمعنتم قليلاً لرأيتم أن مفهومنا في الاشتراكية شامل جداً. إنها أيديولوجية الحياة مقابل الموت، وأيديولوجية الحرية مقابل العبودية الخطيرة، وحتى أنها أيديولوجية التشبث بالحياة مقابل النفور منها. وأيديولوجية الحيوية والانتعاش مقابل كل عامل مخدِّر خامل. تعريفها واسع الأبعاد لهذه الدرجة.

وعندما نعرّفها على هذا النحو ونطبقها على واقعنا، عندها من الحتمي أن يكون نضالها صارماً، وخاصة عندما تتجسد في PKK، ذلك أن الاشتراكية المبطقة في PKK تعرّف العدو والرأسمالية التركية، أو بالأحرى الكمالية، على أنهما أشد أشكال الفاشية رجعية وأكثرها خطورة. هذا الشكل الأكثر خطورة ورجعية وشوفينية

وبطشاً، ما يفرضه على واقعنا الاجتماعي هو الاستعمار الدُّبِّيّ، والاستعمار الذي يطبقه هو على الفأر. وثمة الرأسمالية كهذه. إذن، علينا التوغل أكثر في تعريف الاشتراكية على هذا المنوال.

أما الأيديولوجيات الأخرى بكل أنواعها، والتيارات والنزعات الدينية والبورجوازية المختلفة، فعندما طُبِّقت على حقيقة إنساننا القائمة، أسفرت عن عقم وتفسخ وحالة مشوهة لا يمكن التعرف عليها لدرجة لم يكن بالإمكان القيام بتعريف الإنسان الجديد والإنسان الحر إلا من خلال الاشتراكية المتحققة في PKK.

يستحيل على أية أيديولوجية تعريف واقعنا وإنقاذه من حالته، عدا الاشتراكية. لهذه العلة تعد الاشتراكية الخيار الوحيد لأجل المجتمعية.

كان كاسترو قد قال سابقاً "إما الاشتراكية أو الموت" أو "إما الاشتراكية أو كوبا غارقة في قاع المحيط!".

الأمر صحيح، بل وبشكل أشد، بالنسبة لنا. إما الاشتراكية أو لا شيء!

قد تغرق كوبا في قاع المحيط، ولكننا لا نملك حتى ذاك المحيط الذي نغرق في قاعه. ربما تواجد وادي جهنم أو الوادي المسعور!

إذن، عليكم تقييم العلاقات القائمة بين الأيديولوجية الاشتراكية وحياتنا على هذه الشاكلة. وطبقاً عندما تقول "الاشتراكية المتحققة في PKK" أو "النضال الاشتراكي داخل الحزب"، تكتسب الأمور معاني أعظم.

لن أقول أنها مجرد نضال طبقي، إذ علينا تقييم مسألة الصراع الطبقي في PKK، أو كيفية تطويره داخل الحزب عموماً، كمسألة ذات أبعاد كونية.

يكمن السبب الرئيسي في فشل تجارب الاشتراكية المشيدة في عجز الأحزاب المؤدية إلى تكريس هذه الاشتراكية عن خوض الصراع الطبقي في داخلها على نحو مستمر وخلاق. هذا هو السبب الرئيسي. أي أن الأحزاب الفاشلة، وبسبب عدم تسييرها نضال الاشتراكية في داخلها، وتجميدها لصراعها، وفتحها الأبواب على مصراعيها لخصائصها الطبقية القديمة؛ لم تنجُ من تسليم المجتمع إلى الرأسمالية بشكلها الأكثر شذوذاً وانحرافاً، رغم تأسيسها للدولة وادعائها أنها شارفت على أعتاب الشيوعية.

أوضحت التجربة السوفييتية هذا الأمر بسطوع جلي. من هنا، فأهم مساهمة قام بها PKK تتمثل في تطويره لذاته بتصعيده للنضال الطبقي في داخله، بل وحتى توسيع نطاق النضال الإنساني إلى أشمل الأبعاد. ومثلما أنه لم يُصَبْ بالعدوى من أمراض الاشتراكية المشيدة، فقد نجح أيضاً في تكييف الاشتراكية العلمية مع ظروفه الاجتماعية الشديدة الوطأة والخطيرة جداً، وتصعيد النضال داخل صفوفه، وبالتالي تحقيق تطوره إلى يومنا هذا.

يعد هذا أهم مساهمة لنا في الاشتراكية. أي أن PKK هو أول حزب عمد إلى تجريب تحليل الواقع الاجتماعي والوطني في داخله، وشذب النضال الطبقي والاجتماعي والوطني وتطعيمه، بل وحتى خوض أشد درجات الصراع وأشملها بالنسبة للشخص أيضاً.

لا يوجد أي حزب في العالم يخوض الصراع في داخله بهذه الدرجة. ولأجل ذلك تخسر الأحزاب الأخرى حتى ولو أسست دولتها. أما PKK، ولأنه اعتمد على التطبيق الخلاق للاشتراكية في المجتمع الذي يعاني أشد درجات الانحطاط والتردي، وتأمينه صيرورتها على نحو منظم داخله؛ نرى اليوم – وربما غداً – يبلغ مكانة حزب يحتذى به على الصعيد العالمي، ويحقق تحولاً كهذا في داخله، لم ينتهِ كل شيء هنا.

يتمتع PKK بحريته الخاصة به، وهو يخوض الحرب يومياً على نحو خلاق. وإذا ما سئل غداً "ما هو أكبر خطر يهدد PKK؟" فإن ذلك لن يكون لا العدو ولا أية ممارسة تُفرَض من الخارج. فإذا ما توقف هذا الصراع في داخله، وعجز عن الاستمرار في اتباع الأسلوب النضال الصحيح، وخاصة الأسلوب الاشتراكي الصحيح؛ فهذا يعني أن الحزب سينهزم. ولكن إذا ما اتبعه بشكل صحيح، فإنه لا يُقهَر. وهذا هو طريق النصر لا غير. وإذا ما تجسد ذلك في شخص أو وحدة ما، فبالإمكان إيصال الحزب حينئذ إلى النصر، وتحقيق ما بعده أيضاً. أما إذا تقطعت هذه المسيرة، أو عانى ذاك الشخص من الانسداد، فحتى لو أسس دولة، ستنزلق هذه الدولة من يديه ويفلت زمام الأمور من قبضته في زمان لم يكن في الحسبان، بحيث تتحول إلى أداة تنقلب إلى ضدها وتنتصب أمامه لتواجهه.

إننا، وبجذب الناس إلى صفوف PKK، نرسخ لديهم أولاً القناعة بأنه "أنت إنسان، وستأتي إلى الحياة الحرة وتتشبث بها".

ثانياً، نقول "عليك أن تؤدي متطلبات كونك إنسان، وتؤدي متطلبات الحياة الحرة، أي أن تصارع لأجلها". ونقول "وإذا لم تقتنع بضرورة ذلك ولم تحارب لأجله، فيستحيل أن تكون إنساناً أو حراً".

هذا هو التعريف المختزل للاشتراكية المحققة في PKK، وهو أمر أساسي. ومن لا يعتمد عليه أساساً يستعصي عليه قطع أي مسافة في PKK، أو تطوير النضال أو إحراز أي نصر.

ولكن، هل هذا الأمر صحيح بالنسبة لPKK لوحده؟ كلا! لولا PKK لانحل هذا المجتمع وزال، ولتعشعشت فيه الفوضى المخيفة. حال التنظيمات الأخرى أمام الأعين، وحتى أقوى الدول الرأسمالية – الإمبريالية لا تقدر على تعريف الكردي. لذا لا تستطيع تحديد سياستها بصدده، سواء كانت أمريكا أم هذه الدولة أم تلك. لماذا؟ لأنه من المستحيل تعريف الكردي – كردستان أو تحديد السياسة حسب الأيديولوجيات الرأسمالية أو الأيديولوجيات الدينية. بمقدور الاشتراكية فقط تحقيق ذلك لأنها عازمة بقوة على تعريف المجتمع علمياً ومصرة على السمو بالإنسان أو على السعي لتحقيق ذلك. وهذا بحد ذاته لا يطبَّق إلا على أساس PKK وعلى غرار تطبيقه للاشتراكية ومكايفته إياها مع واقعنا الملموس. هذه هي الحقيقة المراد العمل بها، بل والمبرهَن عليها لحد ما.

عليكم أن تعرفوا كيف تفكرون. "لماذا الاشتراكية؟ أية اشتراكية؟ كيف تحققت الاشتراكية في PKK؟

هذا هو درسنا الأساسي.

دون تفهم هذه الدروس لا يمكنكم فهم معنى الكريلا أو الحرب المتحركة أو الإرادة أو القيادة أو المسؤولية العسكرية. بل والأنكى من ذلك سترتكبون حينها أخطاء فادحة.

أقولها ثانية، إننا نضفي الواقعية على مطاليبكم في الحياة. ولا نكتفي بإبداء الاحترام لها، بل نكاد نخلق فيها ما نبتغيه من العدم. لكن عليكم أنتم أيضاً الاهتمام ببعض المصطلحات الأساسية، وإبداء القدرة على فعل ذلك لذاتكم. لا يقتصر الأمر على الحديث عن الأمر فحسب. وأي عزم آخر على الاشتراكية ليس إلا خداعاً ورياءً. وإذا لم تتشبثوا بالحياة أو تبدوا القدرة الأيديولوجية، أو تُظهِروا إرادتكم إلى الوجود؛ تكونون حينها مخادعين

وكذابين ومزيفين. أي تموتون حينها ولا تتطور الحياة معكم، وتكونون بلا عقل، ومجرد خونة، عملاء. ولا يمكن تكريس الحياة بهؤلاء، ولا يهم هنا إن كان الأمر موضوعياً أم ذاتياً.

درس الاشتراكية ليس بسيطاً، إنه درس الحياة لدينا.

أما تحققه في PKK وتحقيقه الPKKوية، فهو بالنسبة لنا الانبعاث والإبداع بحد ذاته. وإذا ما تداولتموه بجدية وحزم، عندها أقول أن إيمانكم بالاشتراكية وانضمامكم إلى الاشتراكية المتطورة في PKK، وبالتالي سلوككم درب الحياة وصراعكم لأجلها؛ يعد أمراً ممكناً. ولا تخدعوا أنفسكم أو تخدعوني بالرضوخ لأشكال رخيصة من الموت أو اللهث وراء حياة مزيفة.

الأمر صعب.

إننا نحارب لأجل الحياة والاشتراكية.

ومن الواضح أيضاً أي عدو نحاربه. أليس أنت من يطالب بالحياة؟ إذن، ضع نصب عينيك الصراع في سبيلها، واعتمد أساساً على شكله الأيديولوجي والتنظيمي وتعريف العدو والصديق فيه. اعتمد أيضاً على جديته ورزانته وجاهزيته في كل المستويات. لماذا لا تفعلون ذلك؟ لماذا تتوجهون نحو الزيف؟ لماذا تحرّفون الأمور؟ لماذا تغضون النظر عن الكثير من الأشياء؟ لماذا لا تؤدون متطلباتها في شخصياتكم؟ وإذا استمريتم في ذلك، فلن أقول أنكم مجرد انتهازيين، بل ومزيفون ما بعدكم مزيفين. أليس كذلك؟ وطبعاً، حقيقة القيادة تدرك ذلك جيداً لأنها محاربة عظيمة لأجل مفهوم كهذا، ولأنها خاضت صراعاً عظيماً لأجل اشتراكية كهذه. إنها تدرك حزبها جيداً، وكذلك تدرك ماهية حربها، ذلك أنها تجرب الحرب وتخوضها ألف مرة في اليوم على مدى أربعين عاماً. وكيف لا تعرفها؟ كيف ستخفون أنفسكم؟ كيف ستحيون أنفسكم بشكل رخيص؟ أو كيف ستدفعون بذاتكم نحو الموت؟ كيف سيُقبَل لكم ذلك؟ قيادة اشتراكية كهذه تشعر بنفور حاد من الوقوع في هكذا أوضاع، ولا تقبل لنفسها ذلك بتاتاً، بل وتتصداها بلا هوادة. هكذا هي الاشتراكية المتحققة في PKK إذن.

يُعبِّر نعتُ الامبريالية اليوم – وأمريكا هي الممثلة المثلى للرأسمالية – لقيادة PKK بأنها "ظالمة" و"بلا رحمة"؛ عن حقيقة معينة. تسعى الرأسمالية للتستر على ظلمها وإجحافها هي بالتحامل علينا والنهب منا وقلب الحقائق

رأساً على عقب؛ وذلك كي لا تصحو شعوب العالم من غفوتها، وكي لا تصبح الاشتراكية اليوم مرة ثانية ملكاً للبشرية. وتتبع في ذلك فنوناً وحيلاً متنوعة ورياءً ما بعده رياءً، ويتوارى وراء تحاملها علينا بهذا القدر، تطور الماهية الاشتراكية لـPKK على هذا المنوال، لا لأنها تكنّ الودّ للبربرية التركية. هؤلاء أيضاً لا يهتمون كثيراً بالفاشية التركية، لكنهم يستهدفوننا أساساً لرعبهم الكبير من الاشتراكية المتكرسة داخل PKK. كما أن الدافع الخفي وراء تحامل ألمانيا أيضاً علينا، والمعروفة بمهارتها في الحرب ضد الاشتراكية؛ فهو أساساً ليس الود تجاه البربرية التركية وإدارتها؛ بل إنه رؤيتها للاشتراكية في PKK كأكبر خطر يهدد كيانها.

هذا ما معناه أن الاشتراكية المتحققة في PKK تتميز بمكانة مرموقة مميزة ضمن المعايير الأممية والكونية.

الاشتراكية بالأصل هي الأيديولوجية الوحيدة التي أحيت حقيقتنا الوطنية الاجتماعية.

أما تأثيرها في الساحة الدولية، فالرأسمالية تراها أكبر خطر يهددها ويوقف في وجهها.

الشخص الذي يجسد الأيديولوجية الاشتراكية في ذاته جيداً، ويطبقها في الحرب، هو شخص سياسي كامل، وعسكري كامل، ويحل كل المشاكل ومستعد لكل شيء. عززوا أرضيتكم الأيديولوجية بهذا الشكل. أخرجوا من بينكم أشخاصاً أقوياء، وإن كانوا لا يتعدون عدد أصابع اليد الواحدة، حينئذ سيكون بمقدروكم تلبية الضرورات الأساسية للنصر. وما تبقى من الأمر بعدها هو الترتيبات الروتينية، والتوسع العددي، والتوقيت.

إذا كنتم تملكون قوة كهذه ستستطيعون أن تكونوا اشتراكيين، وأن تخوضوا الصراع المستمر لأجل ذلك، وأن تبلغوا النصر.

ظهر الكثيرون ممن رفض ذلك وتحرك حسب مفهوم "من لا أيديولوجية له، يفهم العسكرية جيداً". دعك مِن أن يفهم مَن لا أيديولوجية له أي شيء من الأمور العسكرية، بل إنه لا يفهم أي أمر كان. وأخطر المواقف والسلوكيات تتأتى من هكذا شخصيات. هذا هو الأصح. لا يفهم السياسة ولكنه يفهم العملي، لا يفهم النظرية، ولكنه يفهم الحرب جيداً! ويخطرني في هذه النقطة على الفور "البغل". فالبغل يسير جيداً في الجبال، ولكنه مجرد بغل. كان هناك واحد من البغال يسمى "رشو"، وقد أُعلِن بأنه بطل شجاع.

لا يمكن للأنصاري أن يكون بلا أيديولوجية أوسياسية.

علينا أن نؤمن بالضرورة القصوى للأرضية الأيديولوجية والفكرية، ونعي تماماً معنى الاشتراكية المتحققة في PKK، ومن ثم ندرك معنى النضال داخل الحزب. من المؤكد أنه لا بد من تسيير النضال الاشتراكي داخل الحزب، حينها فقط تبقى المهام العملية والعسكرية أموراً كمية ويلزمها التوقيت لإحرازها النصر الأكيد. ومناضل كهذا توصل إلى حقيقة القيادة على هذا المنوال، لن يبقى عاجزاً عن حل أية مشكلة تواجهه، سياسية كانت أم عسكرية، ولا يأبه بأي عائق. بل يكون حينها خبيراً سياسياً وعسكرياً عظيماً، وتكتيكياً ماهراً. وبخمسة أشخاص كهؤلاء يمكن تسوية خمسة آلاف شخص من العدو بالأرض. ذلك أن كل واحد منهم تكتيكي ماهر، وخبير بأموره، ويسيّر السياسة والديبلوماسية على أساس النصر المؤزر. يكفي أن يكون هناك مناضل اشتراكي كهذا، فسيفك عقدة أية مشكلة تقع في قبضة يديه.

إذا كنتم تتطلعون إلى النصر فعليكم أولاً أن تتحلوا بمفهوم اشتراكي كهذا. وكل قواه الفكرية والحسية والإرادية والتقنية والتعليمية والإجراءاتية والصحية والجسدية وغيرها مترابطة مع بعضها البعض. وإذا ما وحّدتها في ذاتك لن يبقى بعدها شيء سوى العيش بصحة، اللهم إلا إذا مَسّك سوء أو سقط عليك حجر من السماء أو اعترض طريقك ما يفوق إرادتك وتقوتك. وإذا استمريت في ذلك فستحرز النجاحات المتتالية. هذا ما فهمتُه من تبني الأيديولوجية الاشتراكية في ذاتي أو تحقيقي الPKKوية على ذاك الأساس. وما تحقق من نجاح حتى الآن كان بموجب ذلك.

لا يمكن لأحد الادعاء "قمنا بهذا العمل البراتيكي، ونفذنا ذاك النشاط، وهكذا تطور PKK". كل هذه الأقول غير صحيحة بالتأكيد، ولا تؤدي إلا إلى خسارات فادحة أكبر مما يتصوره البعض. ويكمن الدافع الأول وراء كل المكتسبات المدخرة حتى يومنا هذا، في البدء بتطبيق الأيديولوجية الاشتراكية في PKK على هذا المنوال، والاستمرار عليها بكل عزم ونضال عظيمين.

عندما يكون واقعنا الاجتماعي موضوع النقاش، فهذا هو الحل الوحيد، وما يتبقى من الأمر ليس إلا أسباب الخسارة الخطيرة. أما الدخول في مسارات أيديولوجية أخرى، فيعني تلقائياً الفناء والزوال. هذه هي الحقيقة الرئيسية المبرهَن عليها. إذا كنتم تملكون العزم على النضال والصراع، وتصرون على ذلك، وترغبون نيل نجاحات

هامة؛ ما عليكم سوى الادراك السليم مرة أخرى للاشتراكية المحققة في PKK بكل أبعادها. عليكم أن تتقبلوا ذلك وتجسدوه في ذاتكم. علينا قدر الإمكان خوض صراع كهذا في الحزب وعلى نحو خلاق ودائم. وإذا ما تم ذلك، لن يبقى سوى التطور الناجح والتفوق.

تطورت الفاشية التركية
بمساندة السوفييت لها

مقتطفات من نص الحوار الذي قام به "ماكارينكو وادمMakarinco Vadim" من جريدة "نوفو فيرميا Novoe Vermya" مع الأمين العام لPKK القائد عبد الله أوج آلان:

عندما يتم الحديث عن روسيا والشعب الروسي، من المستحيل عدم تذكر ثورة أكتوبر العظمى والفريدة. أما الآن فالسقوط الأكبر يظهر للعيان في أراضي روسيا. مافتئ الشعب الروسي في كل الأوقات يكون نوراً ينير درب شعوب العالم المسحوقة ويلهمها في مسيرتها. فالشعب الروسي شعب عريق لعب أدواراً عظيمة في التاريخ والحاضر على السواء.

نمر من مرحلة يتعرف فيها الشعبان الكردستاني والروسي على بعضيهما أكثر فأكثر. علينا التنبه إلى سياسة الإمحاء للفاشية التركية، والمسيرة منذ بدايات القرن وحتى اليوم، وتعيين سياسات صائبة بمقتضى ذلك. فتركيا اليوم تشكل معضلة كبرى، سواء بالنسبة لكردستان أم روسيا.

الشعب الروسي ممثل ثورة أكتوبر العظمى. ولكن نتيجة أية أخطاء ونواقص سقطت ثورة أكتوبر في هذه الحال؟

أشعر أنني قبل كل شيء اشتراكي. وهاهي الدول الامبريالية تقول عني "الاشتراكي الصامد لوحده". حتى أمريكا تنعتني بأنني "أخطر ماركسي – لينيني في العالم". حاربت أمريكا بلا هوادة تجاه السوفييت، ولا تزال تحارب. بيد أن الامبريالية حالياً تتهجم علينا بحدّه وسوء. لكننا لن ننهزم تجاه هذه الامبريالية. لم تخمد أهدافنا ولم تهزل نشاطاتنا لأجل الاشتراكية، ولم تتراجع قيد شعرة عما هي عليه.

نود تقديم تجاربنا لكم والاستفادة من تجاربكم.

لماذا ينفر الجميع اليوم من الاشتراكية، بينما كانت روسيا في وقت ما قلعة للاشتراكية، وكان شعبها متعلقاً بها بأواصر وطيدة؟ تجسدت الاشتراكية والاستنارة العظمى في روسيا. فما هي أسباب انهيار كهذا، وما دوافع كل هذا الضيق لدى الشعب؟

لم أتعاطف أبداً مع الحزب الشيوعي التركي، بل كنت أتحاشاه أيضاً لأن نمط حياته ليس بالشكل المقبول.

كنت أستطيع رؤية أخطاء ونواقص الاتحاد السوفييتي في السبعينات ممثلة في شخص ذاك الحزب. قدم الاتحاد السوفييتي مساعداته للحزب الشيوعي التركي سنين عديدة باسم "الأممية". يمكننا تفهم معاني مساعدة الامبريالية لحركة مصطفى كمال في سنوات تأسيس الجمهورية التركية. لكننا لا نستطيع فهم معنى تحول المساعدات التكتيكية التي كان يقدمها السوفييت آنذاك لاستراتيجية للدولة فيما بعد.

حسب اعتقادي، من الأسباب الأخرى لتشتت السوفييت هي تحول مساعَدَتها لتركيا إلى سياسة للدولة بحد ذاتها. إذا تحولت المواقف التكتيكية إلى استراتيجية وبدأ الانحراف في الأيديولوجية، فإن السياسة التي ستطبق بشأن العالم ستسير ضمن هذا النطاق.

كانت مواقف لينين تكتيكية تجاه مصطفى كمال. إلا أن ستالين أَولى هذا التكتيك أهمية بارزة وجعله بمثابة سياسة الدولة. هكذا تعمقت الأمراض، وخسرت الاشتراكية الكثير الكثير. وبالطبع يحظى تحول هذه المساعدة من تكتيك إلى استراتيجية بأهمية قصوى بالنسبة للشعب الكردي، ذلك أنه تكمن فيها نهاية الشعب الكردي والمجازر المطبقة من قبل الفاشية التركية.

هكذا – لو تنبهنا للأمر– يتحول مصطفى كمال إلى فاشي، ويتشكل النظام الفاشي في تركيا حتى عام ١٩٤٠ مع مساعدة السوفييت.

عمت التمردات في عموم كردستان خلال أعوام ١٩٢٥– ١٩٤٠ لتُقمَع من قبل مصطفى كمال بلا رحمة وبمساعدة الامبريالية له في جميعها على وجه التقريب من خلال ارتكاب المجازر بحقها. بينما يتعرَّض شعب للفناء بالمجازر من جانب، كان مصطفى كمال يتظاهر من الجانب الآخر أمام السوفييت والامبريالية بأنه صديق لهما

على السواء. أي أنه ينال المساعدة الكبرى من الطرفين. ويقوم مصطفى كمال بعقد الاتفاقيات مع الانكليز في عامي ١٩٢٠– ١٩٢١ بغرض تبعثر الاشتراكية.

لا يزال النظام الامبريالي – الرأسمالي يتلاعب بالشعب حتى اليوم، ويقمع أبسط طلب من طلباتهم الديمقراطية بدموية شنيعة. لماذا تتلاعب الامبريالية بالشعوب بهذا القدر؟ لأنها تهاب الاشتراكية، وتتلاعب بالشعوب كي تعقد اتفاقاتها ضدها.

كانت الجمهورية التركية تأخذ المنح والمساعدات في سنوات التأسيس من كل البلدان الامبريالية – الرأسمالية، ولا تزال تأخذها في يومنا الراهن لأن تركيا هي أكثر من حارب الاشتراكية. عندما تحصل كل هذه الأمور، نرى قانون الموت يصدر بحق الكرد من جانب، وتمارس نفس السياسة بحق الشعوب المسحوقة الأخرى من جانب آخر. هكذا قضت على الإغريقيين والأرمن، وصهرت الكثير من الثقافات. وقد حققت كل ذلك بمساعدة السوفييت لحد ما.

أعرف تركيا جيداً. أصحاب الفاشية التركية يرون الروس أكبر أعداء لهم. وحتى أنهم يستطيعون القول "لنحارب ضد الروس". إنه في الحقيقة اتفاق ضد روسيا.

كان الاتفاق الذي عقدته الجمهورية التركية مع الامبريالية ضد روسيا محدوداً في أعوام تأسيسه. أما اليوم فقد تكرس كثيراً. مثل هذه الاتفاقيات تلحق بالشعوب أضراراً جسيمة. سابقاً كانت دولة واحدة، واليوم خمس – ست دول. أي أن السوفييت أهدت سبع دول للامبريالية، مع أنهم يتلقون أكبر الضربات من هؤلاء. إنه لتناقض كبير.

في الواقع، الشعب الروسي ألحق الضرر بنفسه. ثمة بعض الأشخاص، وكأنهم خُلِقوا لأجل الجمهورية التركية. كان هناك السفير الروسي في تركيا، ومن ثم أصبح نائب وزير الخارجية، والذي كان يذكر أقوالاً من قبيل "كيف بإمكاني مساعدة الأتراك؟" على الدوام. كان يقول "إنني ذاهب إلى موسكو، وسأغلق كل البيوت العائدة لـPKK"، مع أنه لم يكن لنا لا بيوت ولا علاقات جدية في موسكو. بل ثمة عدة رفاق لنا، وبإمكاننا إخراجهم ضمن ٢٤ ساعة. ولكن بأي منطق يتم ذكر هذه التقييمات؟ إنها مشكلة ديبلوماسية.

لا شك في أنه هناك أسباب مهمة تكمن وراء عدم تعرف الشعب الروسي على شقيقه الكردي حتى يومنا هذا. فالشعب الكردي كان يعبر عن حالة منسية في التاريخ ويائسة يرثى لها. إنه كان شعباً ممسوخاً، ومن المستحيل عليه كسب حياة جديدة بحاله تلك، حيث كان معرضاً للصهر وجهاً لوجه داخل بوتقة الشعوب الأخرى. ولأجل ذلك قطع كل أمله منه. وحركتنا عندما ظهرت لم يكن أحد يريد الثقة بنا في البداية. كنت حينها وحيداً، ولم يكن هناك أي ميراث قومي أو أرضية طبقية لدي، وبقيت لوحدي سنين عديدة. الكل كان يقول "مستحيل. لن تستطيع إحياء هؤلاء الناس". واستمرت الحال على هذه الشاكلة مدة طويلة. كان هناك مجموعة من رفاقي، هؤلاء أيضاً لم يكونوا يثقون كثيراً. وقد ظل إطار وجهة النظر هكذا لدى الشعب والرفاق حتى الثمانينات والتسعينات. العدو كذلك لم يكن يؤمن بنجاحنا، وجهدتُ لخوض هذه الحرب لوحدي. ومن ثم أدرك الكل أن هذه الحرب ستنامى. وبدأت تتشكل أسس حرب الأنصار في الوطن، وبرزت سرهلدانات (انتفاضات) الشعب، وتصاعدت يومياً. باختزال، فتأسيس حزبنا لا يشبه تأسيس الأحزاب الاشتراكية الكلاسيكية الأخرى.

بدايتي تطابق بداية حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي بتسعة أشخاص في عام ١٨٩٨. وأنا أيضاً بدأت بتسعة أشخاص، ولم تكن لدينا أية استعدادات أيديولوجية آنذاك.

شرعنا في نضالنا بكلمتين: "كردستان مستعمرة. الشعب الكردي مسحوق. يجب أن يكون لهذا الشعب وطنه". كنت قد طالعت بعض الكتب عن حقوق الإنسان، وركزت أكثر على الأيديولوجية الاشتراكية. لكنني لم أكن أتحلى بالعمق الوافي. الأمر المهم بالنسبة لي في تلك المرحلة كان تشكيل مجموعة تتحلى بجسارة كبرى. طبقاً لما كان عليه حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي، حيث كان له اسمه منذ ١٨٩٨ وحتى ١٩٠٣، ولكنه فعلياً لم يكن موجوداً. وأرضيتنا كانت أوهن، وشعبنا أمّيّ جاهل، لا مثقفين فيه. لذا كنت أمارس كل النشاطات لوحدي. وكأن كل العالم كان يساند الجمهورية التركية ويساعدها لكي يُقضى علينا. إلا أن أمريكا وألمانيا وأمثالهما من الدول أدركت بنسبة معينة اليوم مدى استحالة القضاء علينا بسياسة الإمحاء. ومن المستحيل بعد الآن نسف العشب الكردي من الوجود بالمجازر. والآن يُجمع الجميع على رقي الشعب الكردي وانبعاثه. المهم هنا هو برهان حربنا على الكثير من الأمور والحقائق .

ربما لم يتحقق الخلاص التام، إلا أنه حصل الرجوع إلى الحياة. علينا تفهم القضية الكردية حسب المرحلة. وقبل خلاصه وتحرره واستقلاله، يجب انبعاثه أولاً. لقد كان شعباً مبتور الجذور، وقد جفت أوردة الحياة لديه، ولم يتبقَ منها سوى وريد أو أثنين سليمين لم يجفّا بعد. وكان يجب ريّهما كثيراً أملاً في تبرعمهما ثانية. وهذا ما فعلناه، برعمته لحد ما.

تتجه المرحلة قُدُماً نحو الخلاص والتحرر، والآن نحن في مرحلة تحرر الوطن والشعب معاً. وإذا ما دأبنا على النشاطات بهذا الشكل فسنخطو خطوات كبرى نحو التحرر والخلاص.

سؤال "كيف نعيش؟" للشعب الروسي أيضاً

لم تُكتَسَب كل هذه الأمور بسهولة أو بساطة. كان الشعب الكردي في حالة فقد فيها الأمل من نفسه. دعك من الشعب، حتى رفاقنا كانوا يقولون "لا جدوى منّا". أهم مهمة لدينا الآن هي البرهان على أن هذا الحشد الغفير هو شعب له مقوماته، ومن ثم إفهامه هو بذلك. وقد نجحنا في ذلك وكسبنا، وعلى كل رفيق داخل الحزب أن يرى هذه النجاحات لائقة به. كان الشعب أشبه بالموتى الواقفين، وحزبنا برهن أن هذا الشعب يستطيع العيش والصمود على رجليه.

المعضلة الأخرى الهامة التي تعنينا شعباً وحزباً هي مشكلة وسؤال "كيف نعيش؟" والتي كانت تتميز بأهمية خاصة بالنسبة للشعب الروسي أيضاً فيما مضى. ثمة كتاب "ما العمل؟" للكاتب الروسي تشيرنيفسكي، وهو يشرح نوعاً ما وضعنا الذي نحن فيه.

أهم مشكلة تداولتها وحللها هي مشكلة "كيف نعيش؟".

ذلك أن الرفاق والشعب سوية لا يعرفون كيف يجب ان يكون العيش. ومن لا يعرف الحياة لن يعرف الحرب. قد لا يرى الشعب الروسي الآن داعياً للتساؤل فيما بينه عن ذلك، إلا أن هذا السؤال المتعلق بالحياة الحرة كان مهماً للغاية بالنسبة لهم في سنوات ١٨٧٠– ١٨٨٠. والآن أيضاً يعد سؤال "كيف نعيش؟" مهماً جداً وواقعياً لأجل الشعب الروسي.

فتحنا الأبواب على مصراعيها لأجل الحياة، واستولينا على مفتاحها. يجب أن يُفهَم ذلك داخل الحزب السوفييتي أيضاً.

الحزب الشيوعي السوفييتي كان صاحب ثاني أكبر الدول في العالم. لكن لم يتبناه أحد عندما انهار، فتفسخ وفسخ ذاته. بينما كانت أمريكا تحارب السوفييت لوحدها، عمدت إلى أخذ ألمانيا وانكلترا وراءها ومحاربتنا كثلاثي معاً. بل وحاربَنا الاستعمار التركي بمساندة السوفييت أيضاً، لكن حزبنا انتصر رغم كل ذلك، وفُتح طريق الحياة، وسلكنا الدرب متجهين نحو الحياة الحرة. تتصاعد مسيرة حزبنا مع مرور كل يوم. أُريد له التبعثر في

الكثير من المرات، سواء الداخل أم الخارج، لكن حزبنا رغم كل ذلك يعد حزباً سامياً رفيعاً اليوم. وإذا دأب على طرازه هذا، فسيذيع صيته في العالم وينتشر صداه بقوة.

مسألة تأسيس الدولة مسألة سياسية متعلقة بالسلطة. وضع شعبنا لا يشبه وضع الشعوب الاخرى. فالمهم لدينا هو عودة الشعب إلى الحياة ثانية. وهذا ما يحصل. أما الآن فلدينا مشكلة التدول، إلا أن المشكلة الكردية ليست قضية مستقلة بحد ذاتها، بل تم تقسيمها في الشرق الأوسط بين التُرك والعرب والفُرس الذين مارسوا السياسات معاً بحق الكرد. وهم لن يساعدوا بسهولة لتؤسس دولة، وبالأخص الأتراك. لكن ثمة تطورات ملحوظة الآن، حيث عاشوا فيما بينهم تناقضات حادة. هم بذاتهم عاجزون عن إبداء قوة الحل. إيران– العراق، تركيا – إيران، تركيا– سوريا لا يتحدون فيما بينهم. من هنا تقدم الظروف الخارجية لنا بعض الإمكانيات الموضوعية. وفي الداخل أيضاً انتشرت الحرب الأنصارية وتجذرت، والشعب يقدم المعونات بلا حساب. الظروف مواتية لبناء نصف دولة، وإن لم تكن دولة بالكمال في الميدان السياسي. ويمكن تحقيق ذلك بطراز الفيدرالية.

بإمكان الكرد أن يلعبوا دورهم في الشرق الأوسط كفيدرالية، وهاهو هذا النمط يتحقق بنسبة معينة في جنوب كردستان، إلا أنه يتطور مرتبطاً بكردستان تركيا. من المستحيل بناء فيدرالية في جنوب كردستان بشكل مستقل عن الجزء الخاضع للهيمنة التركية. يجب تطوير الفيدرالية في كل جزء بالترابط مع بعضها البعض. المعضلة الأخرى في الأمر هي أن تركيا كانت تنص على ان جنوب كردستان داخل حدود الميثاق المللي، ولأجل ذلك نرى تركيا متواجدة في كل المشاكل الظاهرة في الجنوب. يستحيل أن ينتظم كل جزء في داخله لوحده. وإلا فإما أن يقبلوا بالأجزاء الأربعة معاً او يستنكروها كلها، هكذا ستظهر التناقضات ثانية.

بمقدورنا خطو خطوات معينة نحو التدول بعد الآن، وخاصة في جنوب كردستان. وإن لم نُقَوِّ كل جزء من كردستان على أساس التدول، فباستطاعتنا تحقيق الثورة في جنوب كردستان والتعزيز من نشاطات الفيدرالية من خلال حملة شاملة، بدءاً من حواف سلسلة جبال زاغروس وحتى شواطئ نهر دجلة إلى قرب نهر بوطان. حينها قد تتكثف الحرب أكثر في جنوب كردستان. تستمر استعداداتنا بهذا الصدد، ويتعزز قرارنا مع مرور كل يوم. هدفنا القريب هو الفيدرالية الديمقراطية. إنه نشاط يتطلب شهوراً وليس أعواماً.

روسيا أيضاً دولة فيدرالية، ونحن نسعى لتطوير الفيدرالية في الشرق الأوسط. يمكن الاتحاد مع الشعوب المجاورة لكردستان عن طريق الفيدرالية، وهي ليست خطوة صغيرة لأجل التدول، بل بإمكانها لعب دورها تماماً كالدولة إذا كانت ديمقراطية.

قبل كل شيء نريد للشعب الكردي أن يعيش مثلما تعيش شعوب العالم. يجب أن تكون كل القوانين المسنونة لأجل البشرية وحقوق الإنسان، سارية المفعول بالنسبة لنا أيضاً. تكثر الأحاديث في هذا المضمار، ولا تُخطى اية خطوة عملية.

تؤثر حربنا على كل دول العالم. وعندما تتكلل ثورتنا بالنصر فستؤدي إلى إجراء تغييرات هامة في أوضاع تركيا والعراق وغيرها من الدول. والتأثير على مثل هذه الدول يعني التأثير على السياسة العالمية. كردستان اليوم تعد العقدة الكأداء في الشرق الأوسط، وعندما تفك هذه العقدة سيتسلط الضوء على الكثير من المشاكل المتوارية لتعلب دوراً استراتيجياً في المجريات. قديماً كانت العديد من الدول تستثمر الكرد حسب مصالحها وتتلاعب بهم حسب مشيئتها. أما اليوم فالكرد يمتلكون استراتيجية خاصة بهم تتعاظم باضطراد. وإذا وُفِّقنا في خطواتنا المقبلة، سيكون بمكنتنا لعب دور عظيم في الشرق الأوسط. تحس أمريكا بارتباك وخوف شديدين من هذا الوضع. إنها لم تعد تولي الأهمية للقضية الفلسطينية، وهي تقول الآن "القضية الكردية مستعصية وكبيرة".

وقد لفتت انتباه العالم بالأرجح على هذه القضية، ذلك أن القضية الكردية تشكل المفتاح المشترك للشعوب الثلاثة ولمشكلتي المياة والبترول.

ستخطو ثورتنا في هذه المسائل خطوات جدية، فمشكلة البترول والمياه ليست متعلقة بالشرق الأوسط فحسب، بل إنها تعني العالم أجمع.

بإمكان الشعبين الروسي والكردي معاً وضع حد للشوفينية التركية

ركزت روسيا على القضية الكردية بكل عناية في القرن التاسع عشر. قام الكثير من المثقفين بالاستطلاعات الهامة – من قبيل مينورسكي – ليسلطوا الضوء بعين موضوعية على القضية الكردية. كانت علاقات روسيا مع الكرد قوية حتى قبل ثورة أكتوبر، حيث وصلت الجيوش الروسية حتى كردستان، واستوطنت في ديرسم وأرضروم وبتليس ووان وأرمينيا. ولو لم تنحسب روسيا لكان الكرد والأرمن سيؤسسون الدولة. لقد تكثفت العلاقات، ومن ثم انقلب كل شيء رأساً على عقب.

ثورة أكتوبر كانت ثورة حرية الشعوب. قدمت روسيا المساعدة لمصطفى كمال وأهملت الكرد والأرمن وتركتهم جانباً، بل ولعبت دورها في قتلهم. إنه تناقض سيء، إذ لا يمكن القيام بثورة بالارتباط بالمساعدات الخارجية، ولكن يجب أن يكون هناك تعاضد بين الشعوب. إننا حركة اشتراكية، ومرغمون على رؤية بعض الحقائق. فتاريخ الشوفييت الممتد على مدى سبعين عاماً يتميز بمكانة إيجابية بالنسبة للأتراك والفُرس والعرب. لكنه كان سوء طالع لأجل الكرد.

لم يكن السوفييت لوحده يشكل مشكلة، بل كان هناك مشاكل داخلية أيضاً. باختصار، لم يشكل الوجود السوفييتي خطوة إيجابية تذكر بالنسبة للشعب الكردستاني. تتفاقم الأمراض في السوفييت يوماً عن يوم، وتتثاقل المشاكل داخلياً وخارجياً على السواء. لم أتأسف كثيراً عندما انهارت، حيث هناك تقييمات كنت قد صرحت بها في ١٩٨٥ قبل عهد غورباتشوف، ذكرت فيها ضرورة تقرب النظامين من بعضهما لأنهما قد حوّلا كل المشاكل في داخلهما إلى عقد كأداء مستعصية. وأصبحت الكثير من الثورات قرباناً لهذه العُقَد لانعدام السياسات الصحيحة. والمحصلة كانت الضرر الملحق بالشعب الروسي والعديد من القوميات الأخرى.

ما انهار لم يكن الاشتراكية، بل الأمراض المتعشعشة فيها. واليوم يجتر الشعب الروسي آلام ذلك. لم يكن الوسط البارز سيئاً بمعنى الكلمة بالنسبة لنا بعد انهيار السوفييت. وإذا نجح الشعب الروسي في النهوض ثانية سيكون بمثابة ميلاد جديد له. لم تتوضح السياسة الروسية تماماً في يومنا الراهن، ومن الممكن القول أنها ستتوضح أكثر مع مرور الأيام لتترك تأثيرها المهم على السياسة الدولية.

تتبدى بعض المشاكل المرتبطة عن كثب بالشعوب، منذ الآن في روسيا. مثلاً هناك المشكلة الشيشانية؛ فتركيا تدافع عن الشيشان بطابع سوفييتي تام. كذلك أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان وأوزباكستان؛ حيث تتّبع

تركيا فيها سياسة شوفينية بحتة بغرض إضفاء الشرعية على الفاشية. وهناك الأقوام الطورانية. نحن لسنا ضد حرية الشيشان والأتراك، إلا أن إثارة تركيا للشوفينية وتأجيجها أمر خطير. وبالأخص يقوم الفاشيون من أمثال توركيش بذلك. إنها سياسة جد خطيرة، سواء بالنسبة لروسيا أو الشعوب الأخرى.

الاتفاقيات التي أبرمتها البورجوازية التركية في الأناضول مع بعض الدول تناهض في الأساس مصالح الشعب الروسي. يجب تفهم هذه السياسة جيداً. قد تكون تركيا ضعيفة اليوم وليس بيدها حيلة، لكنها تعمل على تعظيم ذاتها. وحقاً تنتشر الرأسمالية التركية في العديد من الدول، بل وتسربت لداخل روسيا أيضاً. وتظهر العديد من المشاكل بشأن البترول منذ الآن، وستطرح بعض التناقضات السياسية نفسها بسرعة في المرحلة المقبلة. حاربت الامبراطورية العثمانية ضد روسيا على مدى قرن بحاله، وحاربت السوفييت أيضاً كقوة موالية للناتو. والآن تتأهب للحرب أيضاً. لن تتراجع الدولة التركية عن سياساتها الشوفينية بسهولة. واليوم يحارب الكرد ضد تلك السياسة. الشعب الروسي هو الوحيد الذي بإمكانه لعب دوره في مواجهة المخاطر البارزة في جنوب السوفييت، والحد من الشوفيتية التركية هناك.

للعلاقات القائمة بين الشعبين الروسي والكردي مقومات تاريخية ومعاصرة، ويجب أن تكون قوية سواء على الصعيد الاستراتيجي أن الاقتصادي أم السياسي. ثمة أرضية موضوعية سائدة في روسيا تخوّلها لأخذ المساعدة من الكرد بالأغلب أكثر من أي شعب آخر. لروسيا علاقاتها مع العديد من الدول الشرق الأوسط، وهي – حسب اعتقادي – تزيد من عبء الشعب الروسي. إن سمو الشعب الكردي سيخفف من المشاكل التاريخية الملقاة على كاهل الشعب الروسي. قد لا يلعب الشعب الكردي دوراً بارزاً أو ملحوظاً الآن، إلا أن نضاله المتصاعد سيهيئ الظروف المواتية لكلا الشعبين.

لا أقول "تعالوا ساعدونا" لكوني سياسي ضعيف غرّ، بل إن المشكلة تعنينا جميعنا. أي تعني كل الشعوب.

ما هو أساس هذه الاتفاقيات والمساعدات؟

لماذا يصر الشعب الروسي ذو الوعي التاريخي والعسكري الراسخ على علاقاته مع تركيا؟ القضية الكردستانية قضية رئيسية تشغل جدول الأعمال اليوم.

وإذا ما نبشنا وسبرنا أغوار القضية الكردية اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، سنرى أنه من الواجب على روسيا أكثر من غيرها أن تلعب دورها في حل هذه القضية. وهذا أمر واضح. سيتعرف شعبانا على بعضهما البعض أكثر في المرحلة المقبلة، وكل علاقة ستقام مع شعبنا، ستجلب الفوائد الجمة سواء للشعب الروسي أم الكردي.

قد يحل الاتفاق الكردي – الروسي الكثير من المشاكل

لو أن الاتفاق عُقِد في العشرينات مع الشعب الكردي لحُلَّت المشاكل منذ زمن طويل، ولما أصبح الأتراك حينها حلفاء لأمريكا، ولما التجأ شاه إيران إلى أمريكا، ولما وقع العراق في وضعه الحالي. شيء واحد فقط كان لازماً آنذاك، وهو عقد الاتفاق مع الكرد. لا أدّعي أن الكرد بلا نواقص، بل إن نواقصهم جمة، ولكن لو بذلت الجهود قليلاً حينها لأسفر ذلك عن نتائج إيجابية. وقد تواجدت هذه الفرص في أعوام ١٩٢٠ حتى ١٩٤٥. ونتيجة هذه النواقص أفلتت هذه الفرص من اليد، وهذا ما ألحق الاضرار الجسيمة بالشعب الروسي.

يحقق الكرد صعوداً رفيعاً في الشرق الأوسط اليوم، ويسعون لإثبات ذاتهم للعالم بأسره. وبتقييمنا لسياسات الدولة نلاحظ أن النضال التحرري الوطني الكردستاني سيدرّ بالنفع الكبير للشعب الروسي. يتسم الشعبان بالخصائص المشتركة في العديد من المواضيع. وأي سياسة سلبية تسيّر بحق روسيا في الوضع القائم ستؤثر مباشرة وسلبياً على الكرد أيضاً.

على سبيل المثال، يمكن عمل الكثير بالتكاتف مع الشعب الكردي في قفقاسيا لحل تلك المشكلة. كذلك المشكلة الأرمنية والتركية وغيرها من العديد من المشاكل، كلها مرتبطة بالقضية الكردية لحلها. وإذا أخذنا الوضع السائد بعين الاعتبار سنرى أن الاتفاق بين الشعبين الروسي والكردي قد يلعب دور المفتاح في فك العديد من المشاكل وحلها.

لا ريب في أن من يحب وطنه ويسعى لخوض نضال أيديولوجي. يجب أن يؤسس الوحدة والاتحاد والتراص.

بناء إنسان اشتراكي أهم بكثير من تأسيس دولة

الدافع الأساسي لصراعنا هو بناء شخصية الإنسان الجديد. لم نناضل في سبيل بقعة أرض أو شعب فحسب. بناء شخصية الإنسان الجديد هو حجر الزاوية في أيديولوجيتنا. ونلاحظ نواقص جدية بهذا الخصوص في الاشتراكية المشيدة في السوفييت، حيث أولوا الحدود أهمية زائدة، وتواجدت الأممية شكلياً، بينما رجحت كفة التعصبية القومية مضموناً.

لم يكن زعماء النظام في عهد اشتراكية السوفييت أقل شأناً من الرأسمالية.

لقد تأسست دولة اشتراكية، ونُظِّم شعب اشتراكي ولكن لم يُبْنَ الفرد الاشتراكي. مثلاً، كم كان ستالين متأثراً بالإقطاعية؟ كم بلغ بذاته إلى الشخصية الاشتراكية؟ إن لم تُفهم هذه المشاكل جيداً يستحيل فهم مشاكل الاشتراكية أيضاً.

كيف ظهر كروتشيف؟ كان متعلقاً بستالين لأبعد الحدود، ولكنه بعد ممات ستالين تقمص دور العداوة. كلا الموقفين ليسا صحيحين. لقد تم فقدان مبدأ العلنية داخل الحزب الشيوعي السوفييتي، وصاروا كأنهم يخنقون الإنسان وروحه. ومن ثم انفجروا بأسوأ الأشكال. ما طبقته أنا كان عكس ذلك تماماً. إنني أفعل كل شيء بجودة وعلانية. هذا هو مبدأي الأساسي منذ البداية إلى اليوم.

حتى سياستي التي أتبعها تجاه الدولة التركية علنية. فمبدأ العلانية ساري المفعول لدي لأبعد الحدود. ولا يمكن للإنسان أن يناضل بأي شيء آخر تجاه الإقطاعية والرجعية. وبدون ذلك لا يمكن تحقيق الاشتراكية العلمية.

بينما كانت تمارَس مختلف الأعمال في الاتحاد السوفييتي باسم اللجنة المركزية أو السكرتير العام، سُحِق الشعب من الجانب الآخر. أعلن المكتب السياسي في الأعلى عن ذاته كظاهرة كبيرة، وهذا ما آل إلى حصول انفجارات حادة فيما بعد. كان يجب ألا يكون كذلك، إذ كاد يعلن عن نفسه وكأنه "الله" في العالم. هذا بالطبع ليس اشتراكية، لذا فسينهار لا محال. ويجب أن ينهار، ذلك أن الاشتراكية تمثل الإنسانية الجديدة، وكان من الواجب أن تصبح طراز حياة الإنسانية وتعم كل الأرجاء.

الإنسان الجديد، الإنسان السليم، الإنسان الجميل، هو إنسان اشتراكي. ولِمَ سيُحبَس ضمن الحدود؟ لِمَ سيُخفي نفسه؟ إنني ضد كل ذلك.

إننا نخلق الإنسان الجديد البعيد كلياً عن الحسابات الشخصية في كردستان. لا أحد يبقى في الحزب عنوة. وكل رفيق لنا فدائي يسير على أساس الطواعية، لا الانضباط الإرغامي في الحزب. ولولا ذلك لما تمكنا من محاربة الدولة التركية. لا يمكن تسيير الثورة أو خوض الحرب بالانضباط الإرغامي والمركزية.

إن كان هناك أصدقاء في روسيا يرغبون تسيير الأنشطة الاشتراكية، فبإمكانهم الاستفادة من نشاطاتنا وتجاربنا. عليهم أن يكونوا متواضعين قليلاً، فاعتراف الإنسان بنواقصه ليس بالأمر السيء. وأنا أيضاً لا أبالغ في حقيقتي. لم أدخل بين الشعب الكردي إلى الآن، لكنهم يرونني كقائد وزعيم عظيم. كيف حصل ومثّلنا الأيديولوجية الاشتراكية بالتمام، وتحدينا السواد الأعظم من العالم؟ كيف حصل وسار معي هذا الكم الهائل من الشعب والرفاق معي على خط النار؟ يجب التركيز على هذه الأمور. إنني أركز كثيراً على مسألة بناء الإنسان الجديد داخل الحزب، ذلك أن بناء إنسان جديد أهم بكثير من تأسيس حزب أو دولة.

لو أن لينين توقف على شخصية ستالين وأنشأه كفرد اشتراكي حق، لما تفاقمت المخاطر لهذه الدرجة. أراد لينين قبل وفاته بمدة وجيزة، التوقف على العديد من المواضيع من قبيل الشوفينية الروسية والبيروقراطية، فطرح بعض الأسئلة في ذلك. في الحقيقة كان لينين قد رأى هذه الأخطار، لكن الزمان لم يسعفه. وصايا لينين مهمة، ويجب التوقف عليها.

إنني أقدّم النقد الذاتي نيابة عن الاشتراكية المشيدة

تحتل مسألة المرأة أو العلاقات بين المرأة والرجل، مكانة مميزة في أنشطتي. وثمة نقاط كنت قد انتقدتها بهذا الخصوص في الاشتراكية المشيدة. فعلاقات الحب والود لم تتجاوز إطار النظام الرأسمالي، والرجل هو الرجل القديم، والمرأة هي المرأة القديمة.

مثلاً، يمكن التوقف عند زواج ستالين.

لم تكن الاشتراكية هي الحاكمة في تلك العلاقة القائمة، بل ستالين. في الحقيقة، إني على إيمان بأهمية دور هذه النقطة في تبعثر الاشتراكية المتحققة. وإني أجدد نفسي على الدوام في هذا الخصوص. عندما مارست فعالياتي صارعتُ امرأة وحاربتها وانتصرت عليها. كم تكون المرأة مع شعبها أو مع العدو؟ في النهاية انحازت المرأة المذكورة إلى العدو. إن طراز الحياة الذي أوجّهه خلق معه حزباً اشتراكياً. ولا زلت أتعمق بكثرة في ظاهرة الحب.

لا يمكن ممارسة الحب أو خوض الحرب على أساس العلاقات العبودية.

لقد قتل العدوُّ الحب.

كما تردت مكانة المرأة وهَوَتْ خلال المراحل التاريخية. أما في كردستان فالأمر أشد حدّة، حيث تمثل المرأة رمز الوهن والضعف، وتمثل العوائل الكردية رمز الانحطاط والسفالة تماماً. ويخنق المرأة والرجل بعضهما البعض في علاقاتهما. إنها مشكلة جدية بالنسبة لنا، لذا أولي قضية المرأة أهمية كبرى تفوق ما أوليه للمسائل العسكرية أو السياسية. النساء كثيرات كماً، ويحتلن أمكنتهن في الحرب بخصائصهن القائمة، ويرغبن بالانضمام إليها، ولأجل ذلك نؤسس جيشهن.

إنني أشرح مسألة "العشق" أيضاً بين المواضيع التي أطرحها وأتدارسها.

ما هو الحب؟

ما هي العاطفة؟

كيف يكون العيش سوية؟

ومثلما نجد في كتاب تشيرنيفسكي، ثمة امرأة أظن أن اسمها فيرا. إنها مثال بالنسبة لنا. تتطلع فيرا إلى بناء شخصية المرأة الحرة في ذاتها. وبالطبع يؤثر ذلك على طراز حياة الروس، ويتأثر الثوار الروس بها. نحن نطور مثل هذه النشاطات الآن بأبعاد أوسع.

من هي المرأة الحرة؟

أبحث عن امرأة حرة في كل زمان.

تمثل علاقة المرأة والرجل لدى الكرد، رمز الموت.

لكن لا تستمر الحياة بدون علاقات أو امرأة. كما أن السير معها أمر شاق. ولكن ما الذي يلزم عمله الآن؟ سؤال علينا الرد عليه. أقول للرجال أن يستعدُّوا لأجل نمط حياة حرة ومتساوية. وإذا لم يتشبثوا بالحياة الجديدة إلى آخر رمق، فلن تُمنَحَ لهم امرأة. وأقول للرفيقات أيضاً: هؤلاء الرجال يسعون بالتأكيد للتحكم بكن، ولكن كيف تقبلن بهم؟ إن ممارسة الأنوثة لهم لمجرد يوم واحد أصعب مائة مرة من الموت ذاته. هل ستقبلنهم؟ على الفتاة أن تفضل الموت على الانصياع لهيمنة ووصاية رجل. فالحياة بوضعها الحالي لا يمكن القبول بها.

أيّ رجل؟ يجب أن يُخلَق الرجل والمرأة المرغوب خلقهما على أساس الحرية والمساواة والود. وبدون ذلك ستُلحِق العلاقاتُ الضرَر بأصحابها. ولا يمكن تحمل العيش بكل هذه المساوئ والقبح.

يصغي رفاقنا إلى كل ذلك. أنا أيضاً خير مثال لهم. فمثلاً، عليّ أن أحب؟ كيف يجب أن يحبني الغير؟ لا يمكنني بسط نفوذي على الرفيقات أو الرفاق بالاعتماد على السلطة السياسية. يجب أن تكون الديمقراطية قويةً في هذا الموضوع أيضاً. إنهم يقتربون منا بحب سليم، ونحن نوحد ذاك الحب بالوطنية، ونربطه بالحزب وسياسة الحزب.

من يود حبي عليه أن يكون وطنياً، ويدرك الحرب، ويسير على نهج الحزب، وأن ينظم ذاته قبل كل شيء. وإلا فلا أحد يجرؤ على الاقتراب مني. هذه هي معادلتنا.

أقوم الآن بتقديم النقد الذاتي عوضاً عن الاشتراكية المشيّدة. لقد آراق الشعب الروسي الكثير من دمائه الزكية فداءً للاشتراكية والإنسانية والأهداف النبيلة.

سنُكِنّ الود والتقدير دوماً للشعب الروسي.

إنه الآن يتميز ببعض الجوانب المنحطة، لكني على ثقة بأنه سيفلح في النهوض ثانية في وقت قريب. تأثير الاشتراكية حاد وقوي، ولا يمكن للشعب الروسي أن يتخلص من هذا التأثير في عدة سنوات. ستجدد الاشتراكية ذاتها.

الاشتراكية ضرورية للإنسانية اليوم بما لا نظير له في أي مرحلة أخرى.

الاشتراكية المتحققة كانت طفولية. والآن يلزم طراز اشتراكي أكثر رفعة واصطفاء. علينا التعمق في ذلك، فالرأسمالية تجلب الآفات والكوارث الفادحة الجديدة للإنسانية مع مرور كل يوم. لكن هذا ليس قدر البشرية المحتوم.

ستعلب الاشتراكية دورها على نحو آخر.

وستبقى الاشتراكية ما بقيت الدنيا والبشرية.

لا يقتصر تاريخ الاشتراكية على سبعين عاماً فقط.

إنها موجودة منذ تكوّن البشرية وحتى راهننا. لقد كلف تشييد الاشتراكية في السوفييت ثمناً باهظاً، حيث فدى الملايين من البشر بأرواحهم. بإمكان الرأسمالية التضحية بالملايين دون أن يرف لها جفن للوصول إلى مآربها. ولكن لا يمكن أن يكون هذا حقيقة البشرية بذاتها. لا يمكن للفرد أن يتحكم بالمجتمع لهذه الدرجة، ولا يمكن نسف الحقوق الإنسانية من الوجود لأجل المجتمع. إننا نتوقف على هذه المسائل أيضاً، وسنقدم العون لها عبر نشاطاتنا.

خلق السوفييت شخصية مغرورة

الشعب الروسي متضايق من الحياة الآن، لكنه مع ذلك يحبها. أما الشعب الكردي فهو متخلف، لكنه يتعلم كيفية الحياة بالصراع لأجلها.

مررنا بمراحل حساسة للغاية كانت مسألة بقاء أو عدم بالنسبة لنا. أما بعد الآن فمسيرة الثورة ستكون أسهل. لقد استفدنا كثيراً من تجارب السوفييت، وهانحن نتخذ التدابير اللازمة بشمولية كي لا تصاب الثورة الكردستانية بالأمراض التي ظهرت في الثورة السوفييتية. لقد تعالى المكتب السياسي والسكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي على الشعب، وطبقوا البيروقراطية بدل الاشتراكية. على الأفراد ألا يتعالوا على الشعب، بل أن يكونوا خدماً للشعب والاشتراكية.

إنني أقتل في نفسي مشاعر الغرور والتكبر كل يوم. وإذا لم أقتل هذه العُقَد في ذاتي فسيحل بنا ما حل بروسيا حتى قبل أن نصبح دولة. ما قام به لينين وماو وغيرهما هي نشاطات تاريخية لا أستصغرها البتة، لكنني أرى نشاطاتهم التي مارسوها لأجل الحزب هزيلة. لقد أُهمِلت الكثير من الأمور، ومورست العديد من النشاطات بطراز كلاسيكي، ولم تطبَّق الديمقراطية أو الاشتراكية العلمية بكل معنى الكلمة.

الإنماء الاقتصادي مرتبط بالسياسة الصحيحة. عندما بدأنا بالثورة الكردستانية كنا مديونين، وأنا كنت قروياً فقيراً. أما اليوم فنحن أقوياء في الاقتصاد والسياسة على السواء. أنا أومن بمواهب الإنسان. الشعب الكردي شعب كادح، ويقطن أراضي غنية وفيرة. في الماضي كانوا يسمون كردستان بـ"الجنة" في الشرق الأوسط. والآن أيضاً ستغدو جنة، إلا أن العدو ترك ثمانين بالمائة من أبناء شعبنا عاطلين عن العمل، لا حول لهم ولا قوة، وهو ينهب ويسلب خيراتنا الباطنية والسطحية.

أكررها ثانية، الأزمات البارزة في روسيا مرتبطة عن كثب ومباشرة بالرأسمالية. وسلوك طراز اشتراكي جديد سيطيح بكل الأزمات. لا أهمية للمشاكل الاقتصادية كثيراً، إذ عندما تُحَلُّ المشاكل سياسياً، فالباقي يكون سهلاً. فإذا تلاعب البعض بذلك، من البديهي أن تتبعثر الأمور. لقد تم التلاعب بالسوفييتات كثيراً، ولأجل ذلك أقول، على الحزب أن يكون صادقاً أميناً على الدوام. يجب أن ينحل الحزب والدولة داخل الشعب. وما حصل في السوفييت هو النقيض.

حيث انحل الشعب داخل الدولة والحزب. ولأجل ذلك نقوم نحن بإزالة الحزب من الوجود. كما لا أولي أهمية زائدة للدولة، بل أرغب خلق شعب مستقل وحر. إذا كانت هناك مساعٍ لتحرير شعب ما، فمن الضروري أولاً

تقوية وتعبئة كوادر الحزب، إذ أن كل شيء ليس لأجل الحزب أو الدولة. بل على العكس تماماً، كل شيء لأجل سمو الإنسانية.

نحن أيضاً لنا نواقصنا، ونتوقف عليها ونحاربها يومياً. أنا لست إنساناً مغروراً. الشخصية التي خلقها السوفييت هي شخصية مغرورة، حيث تضع ذاتها مكان الله. على الشخصية الاشتراكية أن تكون متواضعة، وعلينا التركيز بإصرار على هذه الخواص. ليست الاشتراكية أو الشيوعية هي المذنبة هنا، بل الأفراد ذاتهم هم المذنبون. إني لا أرى مستقبل الشعب الروسي داخل النظام الرأسمالي، لأن ذاك الشعب لا يحب الفردية، بل يجنح أكثر إلى الحياة المشاعية. أي أن خصائصه التاريخية بهذا الشكل، وهو لا يعرف السير مع الرأسمالية لأنها ليست موائمة له.

الاشتراكية ليست مجرد اقتصاد. مثلاً يحظى العامل المعنوياتي بأهمية كبرى فيها، إلا أن السوفييتات أولت الأهمية العظمى للاقتصاد والتسلح، وأهملت المعنويات. لا يمكن للإنسان أن يشبع بالماديات فقط؛ بل وبالمعنويات.

مثلاً، كيف تدير إيران شؤونها؟ تديرها بالمعنويات كلياً.

يجب أن تكون الاشتراكية ظاهرة بعيدة عند طبيعة الإنسان، بل أن تُبنى على أساس طبيعته. هذه هي الحقيقة الصحيحة. والاشتراكية البعيدة عن طبيعة الإنسان محكوم عليها بالتشتت، وما تبعثر وانهيار العديد من الدول في التاريخ سوى لبُعدها عن طبيعة الإنسان.

حياتنا غنية جداً. والنظريات المصاغة يجب أن تخدم الحياة وتنعشها. أقوم بالتنظير بقدر ما يفهمه الناس. يجب أن تكون النظرية بقدر الخطوات المعزوم خطوها في الحياة، وأي شكل آخر يعد باطلاً. قد أصوغ تعاريف بسيطة، إلا أن هذا طرازي. أركز كثيراً على سياق تطور الإنسان، وأحاول تفهم مشاكله وحلها. ولا يمكن القيام بذلك عبر الكتب. أعظم كتاب هو الحياة بعينها.

لا أعلم الكثير عن روسيا، ولكن إذا ما بقيت فيها ستة أشهر فبمقدوري أن أقوم بالقيادة لهم أفضل ممن يظن نفسه زعيماً عليهم. إنني واثق من نفسي. إذا كانوا يودون العيش الرأسمالي فليعيشوا كلياً، وإذا أرادوا الاستمرار في الاشتراكية فليستمروا عليها كلياً. إنهم يقومون بالديماغوجية، ومعجبون بأنفسهم لدرجة الغرور. ما لم أفهمه هو، لماذا لا يظهر قواد الشعب الروسي مبكراً. فمثلاً لعبوا دوراً هاماً وبارزاً في الحروب العالمية، وابتكروا الذّرّة،

وصعدوا الفضاء، وغيرها من الأعمال الهامة التي قاموا بها، سواء في الرياضة أو الفن أو الثقافة، وقطعوا أشواطاً هامة فيها.

كان من اللازم عيش مرحلة كهذه لتحقيق حملة عظمى وظهور أفكار جديدة. وكلي ثقة أن هذه المرحلة المتأزمة لن تطور كثيراً.

PKK مرحلة عظيمة في الاشتراكية

PKK، حزب الإصرار على الاشتراكية والتفوق فيها أكثر من أي وقت مضى.

أهم خاصية يتوجب التوقف عليها اليوم ونحن نحتفل بعيد الكادحين، هي وضع الاشتراكية التي تعد نظرة الطبقة العاملة إلى العالم، وبالتالي التقييم مجدداً بشأن التطورات المعنية بالبشرية على هذا الأساس. والأهم من ذلك هو تسليط الضوء على مكانة PKK ومنزلته ضمن هذا الواقع.

تتفاقم مخاطر تطور الهيمنة والاستعمار الأحادي الجانب للامبريالية على العالم مع حلول أعوام الألفين. نخص بالذكر هنا استمرار العجز عن الفصل بين الصواب والخطأ حين الرد على الأسئلة المتراكمة المنبثقة عن انهيار الاشتراكية المشيدة، وما يجلب ذلك معه من ضبابية وفوضوية ويأس وإنكار مريع لدى الطبقات الكادحة.

تضطر شعوب العالم لقبول الرأسمالية المائعة المتفسخة والرثة، وكأنها سبيل الحياة والنجاة. وتواجه الطبيعةُ على وجه البسيطة اليوم تلوثاً خطيراً ومهوّلاً، إضافة إلى تلوث المجتمع أيضاً. أما النظام الرأسمالي – الامبريالي الذي يعد المسؤول الأول في ذلك، فلا يدّخر جهداً في فرض نفوذه اللامحدود، والذي لا يأبه بأي شيء يعترض طريقه، على الإنسانية جمعاء، وعلى نحو همجي متهور وأعمى.

إما الاشتراكية، وإلا فلا!

مثلما هي الحال في الكثير من مراحل التاريخ البشري، تشهد البشرية مخاطر واسعة الأبعاد نتيجة الاستعمار المهيمن والمتنامي، محتضناً في جنباته تدمير الطبيعة أيضاً، ومكتسباً شمولية أكثر مما كانت عليه الرجعية التي ظهرت في مراحل تجاوز الأنظمة العبودية – الإقطاعية، التي تشارف على نهايتها وتلتقط أنفاسها الأخيرة وهي تعيش أشد مراحلها تهوراً وتفسخاً. لذا، إذا لم تتحصن الاشتراكية جيداً تجاه النظام الرأسمالي – الامبريالي، وعلى نحو لا مثيل له في السابق، فإن ذلك يعني نهاية الإنسانية والعالم أجمع، وليس العمال – الكادحين فقط. ويمكننا اليوم القول أكثر من أي وقت مضى؛ إما الاشتراكية، وإلا فلا، تجاه هذه التخريبات الرأسمالية – الامبريالية.

ظهرت على الدوام العديد من الأيديولوجيات المعنية بتحرير الإنسانية. وبدأت النضالات الاجتماعية مع التاريخ البشري لتستمر حتى يومنا الراهن. وبالأخص، لكل نظام نضالاته الاجتماعية الخاصة به. والتاريخ شاهد على الآلاف منها.

ما يعنينا اليوم بالأرجح هو الوضع الذي تمر منه الاشتراكية المتشكلة كنظرة الكادحين للعالم. لقد أبدت الايديولوجية الاشتراكية تطورات كبرى في القرن الماضي لدرجة تكاد تظهر فيها إمكانيات تطبيقها في قسم يقارب ثلث العالم. لكن، وبسبب ما احتضنته بين طياتها من طراز الحياة القديمة، والتأثيرات الغالبة للخصائص الاجتماعية الاستعمارية والقمعية، والمواقف الدوغمائية البارزة؛ نرى أن هذه التجربة شارفت في بعض الأحيان على الانهيار أيضاً. أي أنها عاشت تطوراً متأرجحاً ومتذبذباً.

أظهرت العديد من التجارب المخاضة في القرن الماضي، كذلك التجارب الحربية للكادحين خلال قرنين من الزمن بما يمكن تسميته بمناهضة الرأسمالية، وخاصة العلمية منها وما أسفرت عنه من نتائج وخيمة أو فشل ذريع؛ أنه لا يمكن التخلي قط عن الاشتراكية. ولكن يتوجب بالمقابل إبداء المواقف الخلاقة والمميزة في سبيل تطويرها وجعلها تعبيراً علمياً بمعنى الكلمة عن المجتمع.

شهدت الاشتراكية مراحل جد هامة. وتتواجد الاشتراكية في كل مراحل التاريخية على وجه التقريب، ولو بنسب متفاوتة. فالعهد المشاعي البدائي يعبر في نفس الوقت عن الاشتراكية البدائية. وكذلك حركة سبارتاكوس العصيانية في العهد العبودي، وحركة الخراجين في الثورة الإسلامية، بل وحتى الحركة العلوية؛ كلها تسودها الخصائص الاشتراكية. حتى في الثورة البورجوازية الفرنسية يعلن بافور عن نفسه ونزعته كحركة شيوعية، وبالطبع

نشهد تعاقب المستجدات التي تتقرب أكثر من الاشتراكية العلمية بعد هذه الثورة. وقد أُعلِن عن البيان الشيوعي في مرحلة الثورات البورجوازية، كما طرح بيان الاستقلال للطبقة العاملة نفسه إلى الوسط وصار كالكابوس المزعج يقض مضاجع البورجوازية. والأهم من كل ذلك، تَبَيَّنَت السياسة التي يتوجب على الكادحين ممارستها، من خلال الأممية الشيوعية وولادة أحزاب الطبقات العاملة على أساس الحدود القومية مع مضي الزمن.

بالإمكان القول أن الطبقة العمالية، وقبل قرن بأكمله، أنشأت أحزابها في أحضان كل البلدان الرأسمالية التقدمية. وكلنا نعرف وجود الليغا للكادحين، والتي لا تأبه بالحدود الفاصلة في الأممية الأولى. كما نعلم أن الطبقة العمالية قد حولت أيديولوجيتها إلى شكل تنظيمي تغلب فيه الجمعيات، وشرعت بتنفيذ ذلك مع كمونة باريس.

كما ندرك جيداً أن الأممية الثانية طورت النضال السياسي بالأرجح، وخطت خطواتها من الجمعيات إلى الأحزاب، وقامت بتطبيقات هامة مع نضال حقوق الكادحين النقاباتية – الديمقراطية. وهكذا دخلت الطبقة العمالية – وبالأخص ثورة أكتوبر باعتبارها قامت بطليعة الطبقة العمالية – تاريخَ النضالات الاجتماعية عندما طرحت مشكلة الكادحين في السلطة في أولى مراحل الراسمالية – الامبريالية. إذن، إننا ندرك أيضاً أن ذلك حقق قفزة عظيمة باسم الكادحين في التاريخ، بحيث مزق كيان الدولة القديمة وأبرز نموذج الدولة الجديدة عوضاً عنه. وهذا ما بث الرعب في نفوس كل الطبقات القمعية والاستعمارية والحكام، بالتالي تكاتفت القوى الرجعية في العالم لتتحامل عليها وتستهدفها.

تعبِّر ثورة أكتوبر بقيادتها البلشفية عن انطلاقة تاريخية بارزة الأهمية، وتعد خطوة عظمى في تاريخ النضال الاجتماعي. لكن، وكما هي الحال في كل ثورة، ظهرت فيها أمراض الطفولة. بمعنى آخر، حصل هذا التطور في هذه الثورة العظيمة.

إلى جانب كون ثورة أكتوبر تعبر عن ولادة سليمة باسم الطبقة العمالية وكل الشعوب الكادحة. إلا أن آثار المجتمع القديم التي احتوتها في أحضانها، وما برز فيها من ضعف التجربة بسبب كونها التجربة الأولى من نوعها،

والأهم من ذلك الحصار الكبير والشديد الذي طوقتها به الرجعية العالمية، والبقايا الاجتماعية البالية والراسخة جداً في روسيا؛ كل ذلك جعلها تواجه ضوائق حرجة وحساسة.

أريدَ لها أن تقطع أشواطاً كبيرة مبكراً، ولو كلفها ذلك ثمناً باهظاً، مع الرجعية الدولية المتواجدة لأجل حل المشاكل. ولم تستطع أن تكون خلاقة في الداخل، وبالأخص لم تبدع ديمقراطية اشتراكية بديلة لتلك الموجودة داخل النظام الرأسمالي.

أما الحزب القائم بالثورة فقد حلّ ذاته داخل الدولة في غضون مرحلة التدوّل، ليتحول تدريجياً إلى أداة بسيطة لسياسة الدولة الداخلية والخارجية. وهذه الدولة بدورها، غلبت عليها بالتدريج التأثيرات الشوفينية الروسية القوية المتحركة بموجب المخاوف الوطنية بالأرجح. بالتالي عجزت عن إبداء مواقف سليمة في داخلها، سواء تجاه القضية الوطنية أو القضايا التحررية الوطنية والثورية للشعوب على الصعيد الدولي. بل وحتى لم تستطع إبداء المواقف السليمة الواجب اتباعها تجاه الثورات الاشتراكية للطبقة العمالية.

ومع حلول التسعينات تجلى بكل سطوع أنها دخلت انحرافات يمينية متزايدة مع الأيام، لتواجه في أيامنا هذه انهياراً ثقيل الوطأة، ظهرت علاماته كلياً حينها. وسادت أجواء، قيّم فيها الأيديولوجيون وممثلو السياسة الرأسماليون دون استثناء أن هذه المرحلة تعني نهاية الاشتراكية، وصفقوا لذلك وكأنه ميلاد يوم جديد لهم، وأحسوا بارتياح شديد، واعتقدوا أنه فتحت لهم أبواب مرحلة العيش المرفّه اللاطبقي مجدداً.

وضاق طوق الحصار المرسوم حول بعض القلاع التي تعيش الاشتراكية وإن كانت متداخلة بجوانب ناقصة. وتكثفت الحصارات الاقتصادية إلى جانب الهجمات الأيديولوجية – السياسية المذهلة. ولوحظ بكل ذهول خلال السنوات العشرة المليئة بالانقلابات في الأمور، أن حماس الرأسمالية – الإمبريالية ذاك، وثقتها بذاتها، ذهبا هباء، وأصبحت تئن تحت وطأة مشاكل لا يمكن التخصل من عبئها.

واليوم يدرك الجميع على نحو أفضل أن الإنسانية الخاوية من الاشتراكية لا تبعث على الأمل، ولا تستطيع إيجاد أي حل لأية مشكلة كانت؛ وتبدأ بحوثهم المعمقة عن سبل الحل اللازمة.

كيل التوبيخات والتشهير بالاشتراكية في الربع الأخير من هذا القرن، يفرض الآن ضرورة التحلي بروح المسؤولية للبحث عن الحلول الجديدة اللازمة.

الرأسمالية الرثة المعتمدة كلياً على ألاعيب البورصة، ورغم افتقادها لمزية الإبداع تماماً، لا تكتفي فقط بتشويه وتخريب الديناميكيات الداخلية وهوية المجتمع الإنسانية، ولا تتوقف عند حد إظهار تأثيرها وفاعليتها الباعثة على التقسيخ وتفشي الأخطار على نحو أشد تخلفاً بألف مرة مما كانت عليه الحال في المراحل الأخيرة لكل الأنظمة البالية المهترئة؛ بل وتدمر الطبيعة أيضاً بتلويث البيئة التي تشكل شرطاً لا غنى عنه بالنسبة للبشرية. إنها تحول هذا الكوكب العظيم إلى مكان لا يطاق العيش فيه. هذا هو الخطر الأكبر والذنب الأكبر، للنظام الرأسمالي–الإمبريالي. وإذا لم تتخذ الإجراءات والتدابير اللازمة سيتحول كوكبنا هذا في مدة جد وجيزة إلى مجرّة لا يمكن العيش فيها. أما تحول كوكبنا إلى مزبلة لرمي الأوساخ، فهو أمر لا يُحسَد عليه. ورغم ظهور بعض الأصوات المحتجة الهزيلة والواهنة، إلا أن أكبر تمرد هو الاشتراكية. إنها، وعبر ثورة راديكالية، ستنير درب الخلاص وتسلط الضوء ثانية على الوجه الداخلي للمجتمع، والمصاب بالتلوث لدرجة لا نظير لها.

أهم مشكلة تعني الإنسانية هي عرقلة دمار الطبيعة وإيقاف التلوث الاجتماعي الداخلي. وتشير النقاشات والجدالات البارزة منذ الآن، وإن كانت إصلاحية، إلى هذه النقاط.

ستظهر التقييمات الأكثر جذرية، وستتبدى سبل الحل في المرحلة المقبلة كأهداف ثورية ستحدّد بدورها أشكالها النضالية الاجتماعية والسياسية، ومختلف تكتيكاتها. وسيبدو بكل جلاء أن هذا الخطر لا يمكن إيقافه أو الحد منه عبر رسم أطر عامة فحسب، بل يستلزم تطوير النظريات والمخططات والبرامج والتكتيكات الهامة على التوالي لأجل إيجاد الحلول الجذرية. بل ويشير منذ الآن إلى أنه لا مناص من تداول البحوثات والبدء بالدراسات اللازمة. وإذا كانت القيم الإنسانية يُعمَل بها، فالأيديولوجية الاشتراكية حينئذ مضطرة لبلوغ مستوى أكثر تقدماً وصياغة إرشادات وتوجيهات أكثر عمقاً ووضع أسس تنفيذية وطيدة.

الاشتراكية خيال وعلم في آن معاً

مثلما لا يمكن قطع الأمل من الإنسانية، كذلك هي الحال بالنسبة لتطور الاشتراكية. ومثلما بدأت النشاطات الاجتماعية وكفاحاتها مع بدء البشرية، فإنها ستبقى ما دامت البشرية باقية. ومثلما أنه من المستحيل للبشرية أن تتطور بدون نضال اجتماعي، كذلك لا يمكن التفكير بمستقبل بشرية خاوية من النضال الاشتراكي.

بهذا المعنى، سيطرح النضال الاشتراكي نفسه على الدوام كخيار وحيد لخلاص البشرية. ويجب عدم تداوله بشكل دوغمائي منحصر في إطار ثورة تحققت في مرحلة معينة من التاريخ فقط. بل من الصواب تقييمه على أنه الفكر التحرري العام للبشرية وخيالها وحلها وعلمها أيضاً.

إنها خيال وعلم في آن معاً.

ولا شك في أنه سيتم بلوغ الواقع الملموس لأنها علم. ولكن لا يمكن غض النظر عن جانبها الخيالي الذي لا يمكن حصره في قرون.

التقرب العلمي الضيق هو تطبيق مادي بحت، وقد رأينا بأم أعيننا كيف ذهب نحو الانهيار والانحلال في الاشتراكية المشيدة. الاشتراكية التي تهمل الخيال والمعنويات والإدارة والفلسفة، لا مفر من تحولها إلى مادية بحتة خطيرة. لقد برز هذا الخطر في الاشتراكية لتواجه اليوم الانهيار ويتم تخطيها. وستظهر مستجدات سياسية واقتصادية وديمقراطية عديدة مشابهة لذلك.

يشكل التحرر السياسي والاقتصادي عائقاً جدياً أمام الأيديولوجية الاشتراكية.

كما تنتظر الديمقراطية حلها كمشكلة هامة. هذا ويتطلب سلوك موقف مبرمج حاسم فيما يخص مشكلة البيئة – وهي الأهم في كل ذلك – وصياغة برنامج دقيق ومفصل وتطبيقه بشكل مطلق.

هذه هي المشاكل البرامجية التي ستعنى بها الاشتراكية المرحلية الجديدة. ولا جدال في ضرورة التحلي بالمبادئ والأسس الفلسفية والخيالية والمعنوياتية والأخلاقية. إذ لا يمكن التفكير في اشتراكية خاوية من الفلسفة والمعنويات. المادية البحتة خطيرة بقدر الرأسمالية على الأقل. وهنا تكتسب مشكلة التحول الحزبي والتنظيمي والتكتيكات النضالية، أهمية بارزة.

إذن، لم تعد تكفي النظريات الاشتراكية القديمة. وهذا لوحده لا يكفي إذا لم يتم غض النظر كلياً عن التمردات والحروب التحررية الشعبية طويلة الأمد. هذا بالإضافة إلى أن وضع الدول القومية المتنامية ووضع المستوى الاجتماعي الرفيع والاتفاقات، يفرض ضرورة وجود أشكال نضالية مغايرة.

خاصة وأن التكنولوجيا التي ترتبط بالكفاحات والنضالات بروابط متينة وهامة، تطورت كثيراً. إذن، فالأحزاب والتكتيكات النضالية الجديدة، عليها وضع هذه المستجدات نصب عينيها لتطور أساليب نضالية أخرى، مختلفة بدءاً من الحركات الاشتراكية إلى الحركات العنفية.

لا شك في أنه سيطرأ التطور على الأممية أيضاً بموجب ذلك. ومن الواضح للعيان أنه لم يعد بالإمكان حبس البلدان ضمن حدود ضيقة، وأنه على الاشتراكية أيضاً أن تتعولم في زمن زادت فيه العولمة لهذه الدرجة، على حد تعبير الإمبريالية.

سيفرض التقرب الأممي الجديد ذاته مع الزمن، وستبرز أهمية الحدود الكونية بقدر الحدود الوطنية الملموسة. كما تعد الأممية الاشتراكية، التي سترسم إطار العلاقات بين المجتمع والطبيعة، احتياجاً ضرورياً وهاماً. ولربما سيكون من الصواب والضروري استقبال القرن الجديد تحت لواء أممية كهذه.

يعمل الكثيرون على تقييم حركة PKK، والتي انتهلت منبعها من أوساط سادتها تأثيرات الاشتراكية المشيدة ولكنها تتميز إلى جانب ذلك بجوانبها الخاصة بها، مع راهننا باهتمام بالغ. وتدور النقاشات للرد على سؤال "أي اشتراكية؟" وربطه بالماضي والجديد الذي سيتأسس.

كل ما قمنا به يجعل من PKK حديث الساعة كحزب لازم لمرحلة اشتراكية خاصة.

وقد نجحنا في ذلك بنسبة هامة. فالجانب البارز الملاحظ في PKK هو كونه قوة طليعية تحررية وطنية كردية. لكن الجانب الأصلي الهام فيه هو المعنى الذي يمثله ضمن النضال الاشتراكي الدولي. وهذا هو الجانب الواجب إبرازه إلى المقدمة تصاعدياً. فإصرار PKK على الاشتراكية وتفوقه فيها وتواصل نجاحه، يعتبر موضوعاً يستحق الدراسة والتدقيق في مرحلة تم تجاوز الاشتراكية المشيدة، ووصل فيها النفوذ الرأسمالي ــ الإمبريالي أوجه في الربع الأخير من هذا القرن. بيد أنه إذا ما ألقينا نظرة خاطفة على الإعلام اليومي، سنرى أن تقييم أمريكا ــ الرأس

المدبر للإمبريالية _ لPKK على أنه "أخطر تنظيم إرهابي في العالم" ليس هباء أو هراء. ما يتوجب فهمه من ذلك هو أن أمريكا المناهضة للنظام الاشتراكي، تنظر إلى PKK كأكبر خطر يهددها منذ الآن لما يحتله من مكانة هامة لا غنى عنها في الاشتراكية. وهذا هو الصحيح.

القوى الرجعية الدولية أيضاً قامت في مرحلة من المراحل بتقييم كل من ماركس وأنجلز، ومن ثم البلشفيين، على أنهم خطرون وغريبو الأطوار. أما الآن فتقوم القوى الرجعية الدولية بعقد الاتفاقات، بل وحتى إبرام القمم الخاصة بشأن PKK، وتقيِّمه على أنه خطر كبير، وتقوم بالاستقصاء وجمع معلومات مختلفة عنه في الساحة الدولية.

لكلٍ من أمريكا "ممثلة الإمبريالية الدولية" وحليفتاها ألمانيا وإنكلترا وغيرهما، تجاربهم السابقة في هذا الخصوص. ما يعنيهم في الأمر ليس التحرر الوطني الكردي بالمعنى الضيق، بل حتى إنهم يدعمون ذلك أيضاً، ولا يدخرون وسعاً لتحقيقه. ما يعنيهم وما يواجهونه هو تشكيل PKK وطليعته في القضية الكردية بمواقفها الأيديولوجية _ الاجتماعية، خطراً جدياً لأبعد الحدود يهدد أنظمتهم وكياناتهم. وليس بعيداً أن يكون PKK بمحتواه الأيديولوجي، حزباً بلشفياً جديداً. إن طليعة PKK، التي تتطور وتتنامى في أضعف حلقة من حلقات النظام الرأسمالي_ الإمبريالي في الشرق الأوسط، تشكل خطراً كبيراً. واستمرار PKK في وجوده، بل وتناميه، في زمن التقطب المتشكل نتيجة الضوائق الحرجة التي دخلها الشرق الأوسط منذ التسعينات بسبب بعض المستجدات المتشابكة والمعقدة؛ يعتبر خاصية أشد لفتاً للنظر بالنسبة لذاك النظام، وتستحق التمعن والتدقيق فيها. وليس هباء قول أمريكا بين الفينة والأخرى فيما يخص توازنات الشرق الأوسط "لن نسمح لPKK أن يتمتع بحق الكلام، لن نتركه ينشط". إنها تود بالتأكيد القضاء على هذه الواقعة البارزة، والتي لم تكن في الحسبان في كفة التوازن. وفي السنوات الأخيرة تتمثل سياساتها التعسفية في تدجين PKK إن أمكن، وإلا فالقضاء عليه.

لا ريب في أننا ركزنا ضمن نضالنا على سياساتنا الخاصة بنا تجاه تكتيكات الإمبريالية في الخنق أو شل التأثير. ولم يكن هباء قيام قيادة PKK بالتركيز على الخواص التكتيكية. ذلك أن PKK، الذي يُراد خنقه وكتم أنفاس تطوره التكتيكي _ الاستراتيجي بشكل سرّي، إذا لم يحقق تطورات ملحوظة، لَما كان بمقدوره اليوم تكريس أرضية منيعة بجوهره الاشتراكي.

اكتسبت مسألة التحول الحزب والاشتراكي معاني أعظم على أساس هذه المستجدات الاستراتيجية والتكتيكية. ويلاحظ بكل جلاء أنها ستؤثر على الشعوب الشرق أوسطية مع الزمن، بل وستبسط نفوذها كطليعة اشتراكية عازمة وطموحة قدوة.

من هنا، إذا ما أغنت الثورة الكردستانية مضمونها وطورت تحليل التحول الحزبي، وطوّرت الإنسان وصعّدته في السنوات الأخيرة كثيراً ليكون نافذاً لديها، وإذا ما سلكت الأساليب الحربية الثورية استراتيجياً _ تكتيكياً وكللتها بالنصر المؤزر؛ فمن المؤكد أنها سترسخ الاشتراكية بكل عزم وبشكل لا غبار عليه.

علينا ألا ننسى أن تجزؤ كردستان سيسرّع من إمكانية بناء نموذج لتجربة فيدرالية اشتراكية تحتوي داخلها العديد من الاقليات الأخرى القاطنة في الدول الأربعة الأساسية المعنية.

وهذا بدوره سيسفر، بما لا مناص منه، عن دخول العديد من الأقليات والبلدان الأربعة الرئيسية وثقافاتها في طور التطور الطبيعي، متجهة نحو الاشتراكية والديمقراطية. بالتالي سيتمخض ذلك عن ظهور تأثير يضاهي ما كانت عليه ثورة أكتوبر، وستزداد أهمية استعادة المصادر الطبيعية والخيرات والتاريخ العريق للشرق الأوسط باسم الشعوب القاطنة فيها. هذا الكم من التطور يرتقي بالشرق الأوسط ليكون الحلقة الحساسة في الثورة الدولية. وما PKK سوى الحقيقة التي تمثل ذلك بكل معنى الكلمة، وتسيّرها استراتيجياً وتكتيكياً مع مرور كل يوم. أما تكاثف تركيز القوى الرجعية الدولية المتصاعدة باضطراد على PKK، فينبع من خاصيته الحساسة تلك. فإفراغ الكثير من الاستراتيجيات والتكتيكات من محتواها، قد أذهلهم تماماً.

PKK المنتصر على نحو تحرري وطني سيكون مرحلة اشتراكية كبرى في الثورة الكردستانية، وسيحوّل تجزؤ كردستان إلى وحدة إقليمية على أساس الحلول الوطنية والإقليمية. ولا مفر من تطوير التكتيكات الخلاقة اللازمة لذلك.

هذا بدوره يعني أن المضمون الاشتراكي لPKK سيملأ الثغرات الأيديولوجية الحاصلة والضرورية للشعوب كما الماء والهواء، وسيزج بالشعوب في درب الخلاص والتقدم السليم المشترك. يحتوي PKK إمكانيات ذلك لأبعد الحدود في راهننا. وستُظهِر نشاطات PKK الفعالة هذه الحقيقة مع مرور كل يوم للعدو والصديق على

السواء. انطلاقاً من كل هذه الأسباب، وبقدر ما يركز أعداؤه عليه بلا رحمة، فإن أصدقاءه أيضاً يهتمون به ويلتفون حوله ويتكاثرون باضطراد.

لا وجود لمفهوم "الاكتفاء " في الاشتراكية

مثلما لا يمكن تشييد الاشتراكية بمجرد القول "أسسنا الاقتصاد. أسسنا الدولة"، فإن الأيديولوجيين والقادة المعنويين، والقادة الأيديولوجيين، إذا لم ينظروا إلى الأمور نظرة متكاملة أو يدرسوها ويتخذوا تدابيرهم الوفية بموجبها؛ سيحولون بذلك التفسير المادي البحت للثورة الاشتراكية إلى تغييرات تكاد تكون نظيرة للرأسمالية والفاشية. وإذا ما أردنا البحث عن المذنب هنا، فإن السبب يرجع بالأصل إلى عدم بسط قواد الاشتراكية الأيديولوجيين نفوذهم لأبعد الحدود وعدم تجسيدها كافياً.

إننا كقيادة في PKK نعيش اليوم تطوراً كهذا، ونجهد لمواصلته بعنفوان وحماس وغبطة.

لم ندخل قط في موقف من قبيل "كفى".

والآن نرى بوضوح أكبر أنه مهما تحتد الحرب أو تزداد المهام التكتيكية يومياً، ومهما يتحرك البعض بحسابات ضيقة في الحرب والحياة؛ فحل كل ذلك يكمن في الشخصية المناضلة الاشتراكية.

من الحتمي إعداد الشخصية المناضلة الاشتراكية وخلقها وتحصينها من خلال صراع دؤوب كل يوم، كمضاد قوي للمخاطر أياً كانت.

كما يجب تأمين ديمومة الشخصية المناضلة الاشتراكية. وهذا أحد أهم الحقائق التي برهن عليها PKK، التي كلما تكرست نرى أن PKK يبدي تطوراً ملحوظاً على الصعيد السياسي، بل وحتى التكتيكات العسكرية القيّمة أيضاً تتطور لدرجة لا يمكن قهرها بسهولة على أقل احتمال.

ثمة تقدم سياسي في PKK سواء داخل شعبه أو بين شعوب المنطقة وعلى نحو كونيّ بحيث يؤثر حتى على أوروبا وأمريكا.

PKK الذي يحقق تحوله الاشتراكي يعني في الوقت نفسه PKK المسيَّس ذو السياسة النافذة الرامية.

وانتقال الشعب الكردستاني اليوم من كونه متخلف وسيء الطالع إلى شعب سياسي مؤثر، يعد تطوراً هاماً. ورغم كونه ضعيف التنظيم والجبهة، إلا أنه لا جدال في كونه قوة سياسية ذات شأن ملحوظ.

الشعب الكردي الآن هو أحد الشعوب السياسية الثورية المتقدمة. وعلينا تنظيمه وتكريس جبهته كمهمة عاجلة تنتظرنا.

كما أن جذب الكرد في الداخل والخارج وفي الأجزاء الأربعة من كردستان إلى التنظيمات عبر تكتيكات مناسبة، وعدم الإنقاص من أشكال النضال السياسي، سيسرّع من التسيس أكثر ليحولهم إلى قوة سياسية لا تقهر. وقد قامت الطليعة الحزبية لتمهيد سبيل ذلك لأبعد الحدود، وخلقت إمكانياته ومواقعه، ولم يبقَ سوى ما يقوم به الكوادر الطليعيون باستخدامه عبر أساليب سياسية سليمة. وهناك كوادر مؤهلة في كل الأطراف كماً ونوعاً، لا يتطلب منها سوى الإدراك القيادي الصحيح وتأدية واجباتها بما يليق بها على صعيد الجبهة والسياسة.

لا يحق لأحد القول في الطليعة السياسية لPKK أن "الإمكانات محدودة".

لقد سخرنا إمكانيات سياسية علنية وسرية، في الداخل والخارج في خدمة مناضل PKK بما لا نظير له في أي حزب ثوري آخر. والمهم هنا معرفة قيمتها وحمايتها بتقدير. وفي حال تأدية ذلك ستحقق أبسط الوظائف أيضاً النصر الأكيد بما لا يقبل الجدال. ويمكننا فهم ذلك من الحرب السياسية والانتفاضات العارمة. وكضرورة للعيش كشعب ثوري، يستلزم الحاكمية اليومية على التكتيكات لإحراز النصر.

إذن، والحال هذه، تأكد بكل سطوع أن PKK هو الحزب السياسي الأكثر إبداعاً، وأنه التحم بالشعب بسرعة، وحقق تسيّسه، وبلغ الثورة السياسية بمستويات ضاربة للنظر، وأن كل هذا انعكاس للنظرية السياسية

وركائز تطبيقها وطراز القيادة فيها. المهم هنا هو نقل كل المناضلين ذلك إلى الشعب ليواصل بدوره ذلك كونه ثوري واعٍ ومعبأ جيداً. وهذا يلعب دوراً بارزاً في نيل النصر الأكيد.

هذا فضلاً عن أن الرد الأمثل على سؤال "كيف نعيش؟" يستلزم أولاً الرد على سؤال "كيف نحارب؟".

تبدى للعيان أن الجاهلين بكيفية وجوب العيش، لن يكون بمقدورهم إعطاء الرد الأمثل على كيفية المحاربة. كما تجلى أنه بدون تحليل الواقع الاجتماعي لهذا الشعب المجنون، والمذعن لحياة خيانية وعبودية متعشعشة فيه حتى النخاع، وبدون تمزيق ذاك الواقع وإعطاء الأجوبة المؤثرة على سؤال "كيف نعيش؟"؛ لا يمكن تسيير حرب سياسية _ عسكرية سليمة وصائبة. لا يمكن خوض الحرب المؤثرة بأناس أصبحوا بلاء على رؤوسهم هم، يخلطون الحابل بالنابل، لا يسيّرون الحياة برؤوسهم بل بطرف آخر من أطرافهم، متعجرفون، ولا علاقة لهم بخيال الحياة. أما العاجزون عن تقدير الحياة، أو حتى احترام أنفسهم، دعك من أن يكونوا أنصاراً اشتراكيين، لا يمكنهم حتى استخلاص الدروس من ألف باء السياسة. لذا فإن تحليلنا للحياة الاجتماعية وتمزيقنا إياها، غير ممكن إلا بخوض الصراع في بنية العائلة على وجه الخصوص، تجاه أشكال العلاقة المتحجرة، الخارجة عن نطاق الحياة لدرجة لا يمكن تسميتها بالأعراف أو التقاليد. وبدون تشتيت الواقع الاجتماعي والأسَريّ الذي يتجاوز حدود التزمُّت ليجلب معه الاهتراء والتفسخ والجنون، أو تفكيك القبح المريع والانحطاط الكبير الموجود في العلاقات بين المرأة والرجل؛ لا يمكننا التفكير قط في إمكانية تمهيد السبيل لظهور العظمة والنبل في الروح والفكر.

ونرى بوضوح كم خُطِيَتْ خطوات سديدة في الآونة الأخيرة بطليعة PKK، وكم تداولنا المشكلة من نقاطها الأساسية، وكم حققنا تطورات هامة بهذا السلاح، ليظهر بذلك الجانب الكوني القدوة لدينا.

يمكن تسمية ذلك بالثورة الثقافية أيضاً.

فتحليل الجانب الاجتماعي للثورة مسبقاً سيهيء الإمكانيات لتطبيقها كنموذج يحتذى به. لكننا من جانب آخر نرى وبشكل صارخ لا غبار عليه، أن تطويرنا للثورة الاجتماعية والثقافية داخل الحزب مَهَمَّة عاجلة لا يمكن تأجيلها إلى ما بعد الثورة. بل إن التعمق الموجود الآن إنما هو ثورة اجتماعية معمقة لا غير. ويمكن

الوصول إلى مستوى اجتماعي رفيع في العلاقات من خلال فتح الطريق أمامها وإبداع الجديد فيها ومحاربة أشكالها السيئة. نحن مرغمون على تمثيل الثورة الاجتماعية للمستقبل بسلامة. ومن الواضح أن الإصرار في ذلك يعد وظيفة مصيرية أولية لتطوير الثورة الاجتماعية على نحو أكثر مساواة وحرية، وبالتالي توثيق المجتمع الاشتراكي بمقومات أكثر مناعة ورصانة.

نرى هذه التطورات تحصل في PKK بما لا مثيل له في أي حزب ثوري آخر. لقد طُوِّرت تحليلات العائلة، الحجرة الأساسية والخلية الصغرى في المجتمع، على نحو ملفت للنظر، وسُلِّط الضوء على روابطها بالحياة السياسية والعسكرية، وجوانبها المعنوياتية. وتبين أن الإصرار في العائلة وعدم تحليلها كمؤسسة اجتماعية، يؤدي إلى شد الخناق على الحياة والسياسة. بل وحتى في حال عدم القيام بتحليل سليم للعلاقات الأساسية في العائلة، بين المرأة والرجل، أو بين الطفل ــ الأم ــ الأب، أو حتى الكلان ــ القبيلة؛ من المحال إحراز أي تقدم. ولن تتعدى الحرب المخاضة عندئذ نطاق التمردات البدائية، ولن تتجاوز السياسة المتبعة إطار السياسة التواطؤية العميلة.

والأخطر في الأمر أنه كانت هناك أزمة ثقيلة في الحزب.

ما هي هذه الأزمة؟

بسبب عدم التقرب الصحيح من الحرب والسياسة، أبدى كل من يقول "بقيت سطحياً، بقيت ضيقاً، بقيت مزاجياً" مساوئ مريعة وبرزت والاحتجاجات والتصفيات. وتوضح أن سبيل تجاوز ذلك يمر بالتحليلات الاجتماعية والشخصية.

مع تعمق هذه التحليلات رأينا أنه بدون تحطيم أطواق وقيود الأسر في الداخل، في الأرواح والعقول والأفئدة؛ دعك من القيام بثورة، لا يمكننا حينها عرقلة كون ذاك النموذج المتأزم والمسدود والعاجز حتى عن إعالة نفسه، يصبح بلاء كبيراً مسلطاً على رأس الثورة. وقد أسفرت مثل هكذا أزمات في كل الثورات عن تشكل التخريبات والتكتلات، والانشقاقات في الأحزاب . أما لدينا، وإلى جانب عدم امتلاكها القدرة على تكوين حزب أو تكتل، فإنها تؤدي إلى مرض التدرن الرئوي "الورم" بدرجة خفيفة، أو إلى نشر التفسخ كجرثومة السرطان. إنهم

عاجزون حتى عن أن يكونوا مرضاً عضالاً. بل ينهشون في الجسد كمرض بدائي جداً. ولذلك رأينا أنه ظهر ما لم يكن في الحسبان من تمردات داخل الحزب، واللامبالاة والتسبب في خسائر هدراً بلا سبب، وعدم إبداء الاحترام حتى في أبسط الوظائف؛ وبدأ ينتشر كالمرض.

كل ذلك ينبع من الشخصية عديمة التربية. وقد مدَّدنا هذه الشخصية على طاولة العمليات في PKK. ونتيجة جهودنا اضطررنا لتطوير هذه التحليلات.

في المحصلة تبدى أنه بإمكان الشخص أن يعيش بموجب هذه التحليلات ويشق طريق الحياة ويطور علاقاته الأساسية فيها ويحقق التطور في الجوانب العاطفية والتنظيمية والسياسية.

كما كشف النقاب عن معنى العلاقات المفتقرة إلى الجانب السياسي، وكيف أثرت سلبياً على الحرب. وتوضح خاصة أن عدم تحليل العلاقات في الوسط العائلي بين المرأة والرجل، سيؤدي إلى مشاكل متفاقمة داخل الحزب، بيد أن المستوى الذي لا يطاق للمجتمع سيجعل من الحزب أيضاً لا يطاق العيش فيه. والحل تم رؤيته في تجيش المرأة وتحريرها.

وعوضاً عن المفاهيم الانتحارية التي تدفع بالثورة نحو الموت، تمت الإشارة إلى أن الثورة، هي السبيل الوحيد للسمو بالحياة وبعثها من جديد، وأساس تحديد كيفية العيش السليم. بالتالي هكذا فقط يمكن الهرولة نحو حياة حرة أخاذة بدلاً من الهرع إلى الموت الرخيص. وأشرنا أيضاً إلى أن ذلك مرتبط عن كثب بموهبة الصراع، وخصائص الحاكمية التنظيمية والتكتيكية اليومية، وأن المنتصر في الحرب سينتصر في الحياة، وأنه من لا يسمو بالمعنويات والمشاعر في ذاته، لا يمكن أن ينتصر في الحرب بتاتاً.

هكذا، وبثورة ثقافية شاملة كهذه، استطعنا تحقيق التطورات في PKK في السنوات الأخيرة. وأعتقد أنها أهم تطور حصل، ليس داخل PKK أو الثورة الوطنية فحسب، بل إنه يبدي مفعوله وتأثيره باضطراد في الساحة الدولية أيضاً. إن تحقيق الاشتراكية ممثلة في PKK يبعث على الأمل.

١ أيار ١٩٩٦

ستعيشون لأجل اليوتوبيا

"الاشتراكية هي إيمان الحرية ووعيها. ويجب النضال بعنفوان في سبيلها".

سنتوقف على ضرورة العزم على الاشتراكية.

وسنجعل من التالي شعاراً:

"سيدوم نضال خيال الاشتراكية بعنفوان، مادامت البشرية موجودة!".

يقبع النظام الرأسمالي – الإمبريالي ككابوس مرعب يكتم أنفاس البشرية اليوم. وتتسلح الإمبريالية بالإمكانيات التكنولوجية لتلحق الضربات القاضية بقضية الكادحين، وتعتدي على الاتحاد السوفييتي وكل مواقعه النضالية التي حظي بها في القرن العشرين، وتهاجمها بروح سادية قاصدةً النصر منها.

ومع حلول التسعينات، تصرف كل طاقاتها كي لا يفلت منها أي موقع إلا وتتحكم فيه، وهي تستعد لاستقبال القرن الحادي والعشرين.

ما يلزمنا في كل الأوقات، وأكثر من أي شيء آخر، هو اليوتوبيا الاشتراكية.

اليوتوبيا تعني الخيالات والأحلام الاجتماعية. لقد امتلكت البشرية يوتوبيا وخيالاً سامياً خاصاً بها في كل انطلاقة جديدة. أيّ جماعة بلا يوتوبيا، مقدَّر لها بالعيش اليومي الضيق في حياة تسودها العبودية. أيّ إنسان أو طبقة أو مجتمع أو وطن أو حزب، إذا ما فُرِض عليه الافتقار إلى اليوتوبيا، أي عندما يفتقر إلى الأمل والطموح والإيمان والخيال؛ فهو ليس إلا كيان أجوف، ومحكوم عليه بالتشتت مهما كبر جيشه أو ازداد تسلحه التقني. أما المجموعة الصغيرة ذات العزم الكبير واليوتوبيا الواسعة، فمن غير الممكن ألا تتسامى فتحرز نجاحات فائقة في مدة جد وجيزة لتتغلب على أكثر القوى تهوراً وحصانة. والتاريخ مليء بأمثلة لا حصر لها على ذلك.

فعندما كانت الإمبراطورية الرومانية ذات شأن وصيت، وطبقت الممارسات المجحفة الغدارة بحق الناس والإنسانية، وعندما اقتفت أثر النبي عيسى المناهض لها مع حواريه المعدودين وصلبته؛ فإن الجماعة المتبقية ممن آمنوا به وساروا على هداه، دكت دعائم الإمبراطورية الرومانية بعزمها ويوتوبياها وطموحاتها. بيد أن هذه الجماعة المعدودة والراسخة الإيمان لم تكن تملك في تلك الأزمان أية تقنية أو قوة كمية تذكر. إلا أنها، وبعد صراع عتيد وعنيد، لم تدم سوى فترة وجيزة لتفتح العالم بعدها. وكما هو معروف، لاتزال هذه الجماعة تحافظ على قوتها حتى راهننا. فالمسيحية، وإن كانت قد أُفرِغت من محتواها، أيديولوجية مؤثرة في العالم.

عندما ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية كان مجرد يوتوبيا في منتصف الصحراء الرمضاء. وعندما بدأت حفنة قليلة من الأشخاص بالتحرك وفق هذه اليوتوبيا، كادت شبه الجزيرة العربية تصبح بعد مدة قصيرة جداً، مركز الإمبراطورية الصحراوية.

كارل وماركس كانا صديقين يحصلان بالكاد على ما يسد رمقهما. وعندما أبدعا اليوتوبيا الاشتراكية العلمية، كان النظام الرأسمالي قد أرسى دعائمه وبسط نفوذه في العالم منذ زمن ليس بالقليل. وعندما أصبحت هذه اليوتوبيا ملكاً للعمال والكادحين بعد فترة قصيرة، أسفرت عن كمونة باريس وتمردات ١٩٠٥ وثورة أكتوبر وغيرها من العديد من الحركات التحررية الوطنية، لتكاد تفتح العالم بأسره.

كل هذه الأمثلة تؤشر إلى أنه إذا كانت اليوتوبيا على حق، وتساهم في انطلاقة البشرية وتقدمها، فستحقق النصر بالتأكيد مادامت مسلحة بالإيمان الراسخ والنضال الحماسي الفعال، ولا يهم حينها مقدارها الكمي في بداياتها، ولا مدى ضعف إمكاناتها التقنية.

ويجب التنويه إلى أن PKK أيضاً انطلاقة يوتوبياوية. واليوم نرى في صفوفنا أن الحياة اليومية الضيقة والقناعة بما هو موجود، تكاد تكون عادة تحاصركم جمعياً. وهذه هي المغالطة الكبرى. فالكل يكاد يتنازل للرضى بالعيش بصلاحيات قليلة أو ما ينمُّ عنها من إمكانيات محصورة. إنه تقرب يعاكس كلياً جوهر PKK ومزاياه الأساسية.

من الواضح وضوح النهار أن أياً منا لم تراوده أوهام من قبيل "PKK سيسد رمقنا، سنعزز موقعنا بصلاحيات PKK، سنعيش استناداً إلى PKK" عندما بدأنا بهذه الحركة.

بل على العكس تماماً، كان لنا أفكارنا السليمة والمذهلة وإيماننا الذي لا يتزعزع. وقلنا حينها "لن نبدل هذا بأي شيء آخر". كان لنا مهننا وحياتنا المستقرة الآمنة. وبالمقابل عندما اعتمدنا على خيالاتنا هذه رأينا أنفسنا في مواجهة نظام فاشي كبير كان يزعم أنه القوة الحاكمة المطلقة. ربما لم تكن لدينا إمكانيات تمكننا من مصارعة هذا النظام، لكننا كنا معبئين بحقائقنا التي نعتز ونؤمن بها. وبتسلحنا بالأفكار المعبرة عن المصالح الحيوية لكادحي الشعب، أي بالوعي الاشتراكي وما ينمُّ عنه من نظام عقائدي راسخ؛ عملنا على ألا نأبه بأي عائق، وألا نكون واهين ضعفاء تجاه العدو أياً كان. وضحينا بكل ما لدينا حتى الرمق الأخير. ولو انتبهتم، كنا نملك عدة قروش من المال نصرفها لشراء الكتب للمطالعة.

والحياة اليومية كانت مجرد وسيلة بسيطة بالنسبة لنا. أما خيالاتنا وأحلامنا ووعنا الاشتراكي وإيماننا الراسخ، فكانت قيمنا المقدسة التي تحثنا على المسير حقاً ولم نكن لنعيش بدونها.

ولا يزال يخطرني الرفاق حقي وكمال ومظلوم وخيري؛ إنهم مناضلو هذا الإيمان المطلق بلا جدال. ولم تبدر منهم أية بادرة تدل على الحسرة أو الأسف أو الضيق أو الإعازج، حتى في أحلك الظروف.

إنهم يعبرون عن الحياة المبنية على أساس القيم المقدسة في PKK.

إنها حياة يوتوبياوية.

وهم الذين يرتقون بحياتهم فوق كل شيء في سبيل أحلامهم وخيالهم وعزمهم وآمالهم وطموحاتهم وإيمانهم.

كان بإمكانهم أن يصبحوا رجال أعمال ماهرين، لكنهم تخلوا عن ذلك عن قصد وإدراك، وكانوا يعلمون علم اليقين أن الشهادة موجودة لا محال في هذه الدرب التي سلكوها. لكن لم تراودهم أية مخاوف أو ارتباك أو تردد قط. بل كان كل يوم لهم يمر وكأنه عيد. وأنا أتطرق دوماً إلى هذا الجوهر الحيوي.

لكن عندما ننظر إلى الPKKوي في يومنا، نراه يكاد يفتقر إلى الأحلام والخيالات والآمال!

أينما يكون هناك صلاحية PKK وإمكانية PKK وبيت مريح ومكان وفير، يتطلع الإداريون إليه. سنكرر التطرق إلى ذلك ألف مرة إن تطلب الأمر.

أفظع سيئة نرتكبها بحقنا هي أن نتراجع عن يوتوبيا PKK وخياله ووعيه وإيمانه. ولا يحق لأحد فعل ذلك أياً كانت ذريعته.

لا يزال البعض يقول "ولكن كيف سيكون المذاق واللذة المادية في هذه الحياة؟ أو كيف ستبدو أمامنا نتائجها العملية؟". إنهم تماماً يمثلون القطاع الذي كانوا يسمونه في الإسلام بـ"المنافق". وبدلاً من النظر إلى هذه الجهود الفاضلة وتقييمها على أنها حقاً تسمو بروح الإنسان، وتجعل فكره نَيِّراً ساطعاً، وتجلب السعادة والأمل والغبطة بما لا يُقَدَّر بأي ثمن مادي؛ فإن القول "سأنهب وأسرق وأعيش رخيصاً"، ليس إلا نفاقاً. ونحن لا نريد التفوه حتى بأسمائهم.

وأنظر إلى طراز معيشتي:

أنا الذي أدرك جيداً معنى الحياة المادية. ولا يزال عالقاً في ذاكرتي كم بكيت لأجل عدة قروش، أو كيف أقمت الدنيا ولم أُقعِدْها لأجل كسرة خبز أو طعام لذيذ. لكنني فيما بعد ناديت بالحرية في سبيل معتقداتي، وبحثت عنها في بعض الكتب، ومن ثم بحثت عنها في الحياة ووجدتها. ولازلت اليوم أتابع مسيرتي على أساس تلك البحوث والتطلعات. حتى القيم التي كنت أركض وراءها في أيام الطفولة، أراها لا تعني شيئاً اليوم.

لا أرى نفسي عظيماً قط.

لا شيء أثمن لدي من الخيالات النابضة بالحياة، والأفكار المبدعة، والممارسات العملية الريادية. وهذا فقط ما بإمكانه إروائي وإشباعي.

وهذا ما يعبر في نفس الوقت عن قوة الحياة الجذابة حسب اليوتوبيا الاشتراكية.

وإذا كنتُ الأقوى، فهذا يعود إلى قوة اليوتوبيا الاشتراكية لدي، وارتباطي الوثيق بها. ولا مزية أخرى لدي عدا ذلك على الإطلاق. وإذا كان PKK اليوم الحركة الأكثر عزماً، والكابوس المرعب الذي يقض مضاجع الإمبريالية والرأسمالية؛ فهذا ليس إلا لارتباطه الوثيق باليوتوبيا الاشتراكية، وتَحَلّيه بالمفهوم الاشتراكي الذي لم يتنازل عنه ولو قيد شعرة رغم كل المساعي المناوئة له، ولإحيائه إياه بكفاح دؤوب مفعم بالحيوية والنشاط والهمة. هذا هو PKK ليس إلا. وإذا حاول أحد ما إحياء ذلك بكل جوانبه، فهذا يعني النجاح الذي لا يُهزم PKK.

لا أحد يستطيع خداع ذاته أو خداعنا تحت أية ذريعة كانت، سواء كان داخلنا أم خارجنا. إننا نعلم جيداً ما الذي حققناه وكيف. وقد بلغنا مستوى من الحرية نجد فيه ما لم يستطع أي شخص أو قوة منحنا إياه خلال تاريخنا الطويل، وما لم تستطع أية أيديولوجية أو عقيدة أن تحققه في التاريخ. واستطعنا تحقيقه بهذه اليوتوبيا، بهذه الأيديولوجية.

أي بالاشتراكية!

أفكر أحياناً، ترى هل ثمة دوافع أخرى حثتنا على التقدم؟ أجل، إنني أحترم كدح القروي، وأقدّر تمردات الناس المظلومين، ولا أستصغر جهود المثقفين. إلا أن كل ذلك لا يجدي نفعاً إذا لم يتم توجيهه من قبل القيادة التنظيمية والتعليمية والاشتراكية التي أقوم بالريادة لها بنفسي. فالمثقفون يواجهون نظاماً حالما يتراجعون فيه عن مواهبهم – إن وجدت – تجاه أي تحامل بسيط عليهم، أو يتعرضون للتشتت والتشرذم، أو لا ينجون من التسوية بالأرض فيه.

وما هو كدح القروي؟

إنهم يعملون منذ قرون مديدة، لكنهم لا يسدون حتى رمقهم. فالحمّالون والعتالون، فليعملوا قدر ما شاؤوا، وليتصبب على جبينهم العرق والدم قدر ما يتصبب، إذ لا يمكن إنقاذ أي شيء ضمن هذه السّخرة. ولتعمل الطبقة المعاصرة والعمالية قدر ما تشاء، فهم لا يستطيعون النفاذ بجلودهم من النظام الذي يسحقهم بمسنناته ويوجههم كما يشاء.

ثمة شيء ناقص هنا، هناك حاجة لليوتوبيا الاشتراكية، والإيمان والوعي والتنظيم الاشتراكي كي يضفوا المعاني على ذاتهم وأعمالهم. وهذا ما لا نتراجع عنه نحن.

وإن كان PKK اليوم قوياً، فهذا ليس إلا لأننا أولينا إصرار القيادة، وPKK عموماً، منزلة الصدارة قبل شيء آخر.

PKK يحارب ضد العالم كله.

قيادة PKK قديرة، وتعزز ذاتها وتقويها باستمرار. لماذا؟ لأنها بقيت مرتبطة بالاشتراكية على أساس الإيمان والوعي في زمنٍ تعرضت فيه الاشتراكية لأعتى الهجمات وكادت تفقد كل مواقعها تقريباً. هذا بالتأكيد ما أدى إلى نتيجة كهذه، وعلينا الاعتراف به لا محال. وعلى أغلب الظن، إن الذين يفكرون متمتمين بخجل "من أين ظهرت هذه الاشتراكية البلوة؟"، سواء أكانوا داخلنا أم خارجنا، ليسوا بالقليلين.

سأقولها صراحة وبما يلفت النظر: ما تعلمته من الاشتراكية هو الإيمان بالحرية ووعيها، وحب الكفاح في سبيلها بكل عنفوان. عليكم تفهم هذين المصطلحين بالتأكيد وتأدية متطلباتهما.

ستعيشون لأجل اليوتوبيا، أي ستكون لكم الخيالات والأحلام.

ما هي الخيالات والأحلام؟

إنها مثلاً – عندما يتعلق الموضوع بوطننا – الخيال بما نتطلع إليه من حياة وحرية، وكسر أي إرادة استعمارية لبناء وطن مستقل.

بناء وطن مستقل يعني بناء مساحة نضال مستقل، وبناء مساحة مستقلة.

يعني تشكيل وسط عظيم مهيأ للإنتاج. هذا هو الوطن المستقل. ورغم أنه يبدو كخيال ويوتوبيا، إلا أنه عندما يتحقق فسيكون بإمكانك صرف جهودك وكدحك في الأرض بحرية وقدر ما تشاء، وتشغيل القوى الإنتاجية بالمقدار الذي يمكّنك من بناء الفردوس النعيم.

وهذا ما معناه جذب الشعب إلى عملية بناء الفردوس. هذا هو الوطن المستقل، الاشتراكية.

بناء شعب حر يعني تحطيم القيود التي تشلّ وعيه وعقله، وتأسر إرادته وروحه؛ وعندما يتحقق ذلك ستتطور الأفكار المتقدمة والمخططات المتطورة في كل وقت، ليلحقها ظهور إدارات قوية لا تتزعزع. هكذا، عندما نصل إلى حالة نجد فيها أنفسنا، ونتعرف على ذاتنا ونعرّف المحيط بنا كشعب يهبُّ للعمل في أراضي وطنه الحر المحرَّر، لن يعجز حينها هذا الشعب عن خلق أي أثر قط. هذه هي يوتوبيا الاشتراكية، يوتوبيا الفردوس، نوعاً ما.

العمل يتم بعد ارتباطه باليوتوبيا. على سبيل المثال، الكفاح التحرري الوطني هو عمل، أما يوتوبيا الاستقلال الوطني وحرية الشعب، فهو يوتوبيا.

تنظيم الشعب هو عمل.

والحزب بالذات هو النقطة التي يجتمع فيها الخيال والكدح بأكثر الأشكال مهارة وفناً.

لهذه العلة تعد الحياة الحزبية حياة وكأنها تحلّق بالإنسان إلى الأعالي. إنها قوة مذهلة لأنها توحد بين كدح الاشتراكية والخيال، أو بين خيال الاشتراكية وكدحها، أي بين الكدح الحر وكدح الإنسان المتحرر وخياله وإيمانه وعقيدته، والقيادات الاشتراكية تتعاظم في كل نشاط تمد يدها إليه وتتداوله، سواء كان الاقتصاد أم الحرب أم التنظيم أم الدعاية أم غيرها من النشاطات. لماذا؟ لأنها اتحدت مع خيال الاشتراكية العظيم بشغف وعنفوان. هكذا يظهر دوماً أبطال الكدح الاشتراكي، أبطال الفن الاشتراكي.

لا يمكنكم أن تكونوا اشتراكيين ما لم تجعلوا اليوتوبيا جذابة بدرجة مبهرة، وما لم تصلوا إلى نقطة تقولون فيها "قد أعيش بدون خبز أو ماء، لكنني لا استطيع العيش أبداً بدون خيالات وأحلام الحرية". وما لم تضفوا النكهة

وتعملوا بغبطة وفرح في كل نشاط ثوري أو حزبي، بدءاً من الحرب إلى أمور البنية التحتية، وبالتالي نشاط إنشاء المجتمع الاشتراكي، ونشاطات التنفيذية العملية.

ثمة بعض الأهداف التي أرتبط بها وتجعلني أصمد وأستمد منها القوة. ونسميها نحن بالأهداف السامية.

هل يتحرر الوطن؟

هل يتحرر الشعب؟

هل تستمر الحرب؟

إن الخيالات والطموحات والممارسة العملية جذابة وأخاذة، وتحث على التواصل لدرجة يكاد يكون فيها جسدنا ووجود الفيزيائي يتخبط في الآلام والأوجاع.

أنظر إلى العديدين فأرى أن كيانهم الجسدي والمادي ابتلع أرواحهم ووعيهم، وتحول إلى بالون منتفخ. إنهم قاحلون، عديمو العطاء، كسالى. ويكون النشاط بالنسبة لهم كالسخرة بلا أجر.

لأذكّركم فوراً بذكرى من سنين الطفولة القديمة. كان العمل بالنسبة لي كالسخرة تماماً. عمل قطف القطن أو جني الثمار أو غيرهما. كنت أقول "لا، يمكنني العمل هكذا". في الحقيقة كنت أعمل كثيراً، لكني كنت أقول "لا يمكن العمل على هذا النحو". على أغلب الظن لم يكن هناك ما يوافق خيالي وأحلامي ومعتقداتي. وكنت أنزعج وأُمَلّ من هكذا أعمال. لماذا؟ لأنها خاوية من اليوتوبيا.

أيضاً كان لدي خيال: كنت أنتفض من مكاني عندما أقول "لو أذهب إلى هناك، ألا يمكنني أخذ هذا الشيء الفلاني؟" وحينها لم يكن بمقدور أية قوة أن توقفني عند حدي. إنه جهد مرتبط بالخيال. وبالمقابل عندما كان أبي وعائلتي يقولون "أذهب وقم بالعمل الفلاني" للحصول على كسرة خبز حسب مقاييسهم، كنت أبدي كسلاً ما بعد كسل، ولم أكن لأتحرك من مكاني. لم أكن أستطيع وضع حجرتين أو ثلاثة فوق بعضها آنذاك، ولا حتى إحضار كوب الماء. لماذا؟ لأن ذلك كان بالنسبة لي كالعمل بأجرة داخل نظام العائلة. لم أكن أنحاز

لعمل ما إن قالوا لي "قم وافعل كذا، ونحن سنعطيك كذا". لا لأنني كسول، ذلك أنني حينما كنت أهرع إلى عمل آخر كنت كالإعصار.

هاكُم الفرق بين العملين. الأول مرتبط بالخيال والإيمان، والثاني بالأجر والنظام القائم، ومسيّر حسب نظام العائلة أو الدولة. وبقدر ما نهرب من أحد الشكلين للعمل لأنه يدعو إلى الكسل، فالآخر يبعث على النشاط والحيوية لدرجة لا يمكن كبح لجامها. ومن ثم بدأت بهذه القضية لوحدي.

ولا يزال الجميع يقول "لم نفك لغزه".

لغزه يكمن في الاشتراكية!

بعد تعبئتنا لذاتنا بالوعي والإيمان الموافق لنا، حفَّزتُ نفسي للعمل بشكل مذهل، وبإمكاني القول أنني أقوم بنشاطاتي العسكرية والسياسية بموجب ذلك بسرعة البرق.

كنت قد ذكرت مثالاً قبل الآن: حسب رأيي، إن وتيرة كل الساسة الآخرين والمحاربين، وحتى مقاتليتكم أيضاً، أشبه ما تكون كالسير على ظهر الجمل في الصحراء، أو على ظهر الحمار مثلما يقال عندنا. وإذا ما أردنا إعطاء تشبيه أكثر رفعة؛ كأن تقطع الطريق بسيارة كميون موديل عام ١٩٥٠، وليست حتى باصاً. أما نحن فنقوم الآن بممارسة السياسة بسرعة البرق. بل حتى أن البعض كان يشبهنا بسرعة الضوء.

إذن، فالخيالات والأحلام في الاشتراكية تحث على العمل بهذا الشكل.

خاصة إذا كانت الفاشية تسعى لبسط نفوذها بشكل مطلق وأعمى، وكنتَ أنتَ متشبثاً بكل قوتك بخيالاتك؛ فلا بد عندئذ من أن تدنو سياستك وحتى سرعة حربك من سرعة الصاروخ، بل سرعة الضوء التي لا يمكن للعدو بتاتاً أن يلحق أو يتحكم بها. ونحن نبدي مثل هذه القوة. وهل يمكن أن يكون لـPKK تعريف آخر عدا ذلك؟ أو أن يكون للاشتراكية المتحققة في PKK إيضاح آخر عدا ذلك؟ لا أعتقد، ذلك أن أي شكل آخر لن ينجو من الفشل الذريع. ولكن لماذا بلغنا نحن تعريفاً كهذا؟

الحياة بحد ذاتها صراع مرير.

وقد فرضت أن يكون تطور الاشتراكية في PKK على هذا المنوال. يجب أن تكون لك خيالاتك وطموحاتك ويوتوبياك. هذا إلى جانب أن تتسم بهِمَّة مبهرة في العمل.

النشاط التنظيمي بالنسبة لي ذوق.

كنت أبحث في الماضي عن وقت أخصصه للنوم الهنيء. وكنت أفتش دوماً عن فرصة أنتهزها لأتمدد براحتي وأعمل حسب هواي. أما الآن، فكل ذلك بالنسبة لي مصدر تعذيب. ومهما يتعب الجسد أو يرهق، إلا أن الأنشطة الاشتراكية، الدعائية، التنظيمية، إقامة العلاقات، وما إلى ذلك من أمور التنظيم وإدارة الحرب؛ كلها أصبحت مصدر شغف وهيام بالنسبة لي.

إنه ذوق.

الذوق يعني استحالة العمل بدونه.

يمكن القول أن حقيقة القيادة في PKK لم تجسد نفسها حسب هذا التعريف العام للاشتراكية أو تطبقها بموجبه فقط، بل هناك في الوقت عينه وقائع تجدد نفسها تجاه كل ذلك، على غرار انهيار الاشتراكية المشيدة، خمود المراحل التحررية الوطنية، اكتساب النظام الإمبريالي سرعة كبرى. إنها لا تكتفي بذلك فحسب، بل تتوجه قُدُماً نحو مستوى رفيع تحقق فيه النجاحات المتتالية وتتحلى بوتيرة عليا وطراز سريع متفوق.

أَمْثَلُ جواب نعطيه للكادحين في العالم، وأثمن هدية نقدمها لهم بمناسبة يوم الكادحين هذا، هي ارتباطنا الذي لا يتزعزع بالمساعي الثورية لتحقيق تلك الآمال والطموحات ممثلة في PKK، وتأمين التفوق الدائم والديمومة في النصر في الممارسة العملية الثورية. ولا هدية أثمن من ذلك، لأنه، وفي الوقت الذي زعم فيه الكثيرون أنه لم يعد هناك جدوى للاشتراكية، تعد الاشتراكية المطبقة في PKK قوة كبرى.

أغلق النظام الإمبريالي – الرأسمالي المجتمع على كل القيم الإنسانية. أو بالأحرى، خنق كل القيم الإنسانية داخله. لم يكتفِ بذلك فحسب، بل وأوصل علاقة الإنسان بالطبيعة إلى درجة يدمر فيها الطبيعة ويعوث بها، أي يهشّمها ويدمّرها رغم حاجته المطلقة لعلاقة من هذا القبيل.

أما الثروات الظاهرية والباطنية المصيرية بالنسبة للبشرية، فجعلها عقيمة وعديمة النفع.

الإنسانية في خطر يحدق بها من الجهات الأربعة،

لا شيء أكثر سفالة أكثر أو مناقضة أو خيانة من القبول بالوضع الذي وقعت فيه الاشتراكية تجاه ذاك النظام، بالنسبة للمقاتلين لأجل الاشتراكية في سبيل الإنسانية منذ قرون مديدة. وعلى العكس، فالسبيل الوحيد أمام البشرية لتكون مخرجاً لها من حالها هذه هي إبراز مدى جاذبية اليوتوبيا الاشتراكية أكثر من أي وقت مضى، ولفت الأنظار إلى ضرورتها التي لا غنى عنها، والاهتمام بطراز النضال الباعث على الانشراح والغبطة في الاشتراكية عوضاً عن النشاط كسخرة في الطراز الرأسمالي. ومثلما علّقنا آمالنا على ذلك، فإننا نحس بسعادة عظمى منها أيضاً.

لم نجد الحاجة للتقليد قط.

لا أرغب في التنازل للحياة حسب القيم الرأسمالية التي تدَّعي اليوم أنها فتحت روح الإنسان. ورغم كوننا حزب معرض للتعذيب على الدوام، ورغم تحملنا المسؤولية بأعلى المستويات ضمن عذاب هذه الأوجاع؛ إلا أن الانشراح والغبطة التي أتزود بها من هذه الحياة لا أعوِّضها بأي شيء آخر. وبها أزداد ثقة بذاتي وإيماناً وفخراً. وإذا ما قيل لي: "أتريد الآن استعاضتها بمادة أخرى"، دعك حينها من حساب أمر كهذا، بل لا أريد النظر إلى وجه ذاك الشخص أو الأيديولوجية أو النظام الذي يعرضه عليّ. لا أقول ذلك لأننا ذوو يوتوبيا كبيرة أو لأننا طورنا اليوتوبيا. كما لا أدَّعي أننا نخوض جهداً كدحياً كبيراً جداً.

أحس بالفخر والإباء لارتباطنا بالإنسان الاشتراكي وبطراز نشاطه.

إنني أقدّر بكل مبدئية واستقرار. وأتحلى بوعي كبير ومبرمج للغاية، دون أن أحدع ذاتي. لا أقوم بذلك بسبب ضيق ألاقيه، أو لأنني وجدت إمكانية التطور به؛ بل لأنني اعتبره طرازاً معيشياً لا غنى عنه.

إذن، والحال هذه، ما هي الدروس الواجب استنباطها أولاً من قبلكم كـPKKوبين؟

تحقيق طراز كهذا من التحول الـPKKوي إن أمكن الأمر.

في كل يوم تتكلمون عن الارتباط وتُدلون بالقَسَمَ، لكن، وحسب اعتقادي، لا يوجد أي سبب يعيقكم من أن تكونوا مناضلين اشتراكيين جيدين، مادام هناك ارتباط ولو بحدود. إن كنتم مناضلين اشتراكيين جيدين، فهذا يعني، ولكونكم تعملون بذوق وانشراح عظيم في كل الأمور التي تعالجونها، ومعبأون بوعي وإيمان راسخ دائم؛ أن الوعي ينير لكم دربكم، والإيمان يعزز من إرادتكم. لذا، لا توجد أية حجة تتذرعون بها كي لا تكونوا ذوي مسيرة سليمة. إن لم تكونوا ازدواجيين، ولم تصابوا بالشلل نتيجة إصابتكم بأمراض النظام القائم، لا يمكن لأي سبب يواجهكم أن يؤثر على تحقيقكم النجاح في مسيرتكم. ولا يمكن لأي أحد منكم عندئذ الإيضاح بأية ذريعة كانت عن أسباب عجزه عن خوض مسيرة سليمة أو عدم قدرته على أن يكون مناضلاً حقيقياً في PKK. أما القول "هذا السبب عثّر من مسيرتي وأعاقني، أو هذه الخاصية الطبقية فعلت بي كذا" – حيث يؤدي ذلك إلى إخراج PKK من كونه PKK– فإنه يعني الهجوم على معتقداتنا السامية وكدحنا الاشتراكي المقدس كلص أو نهاب أو عدو غاشم.

من هنا، أول ما عليكم القيام به هو التساؤل "هل أنا اشتراكي؟ هل بلغت هذه القوة على الأقل ضمن طراز القيادة؟".

اسألوا هذا السؤال من ذاتكم واعملوا للرد عليه. ومن لا يستطيع الرد بدايةً عليه لا يمكنه إحراز أي نصر جدي حتى لو بنى دولة بأكملها. هاكم الاشتراكية المشيدة، كيف انهارت؟ هاكم الجيوش السوفييتية التي أحرزت انتصارات عدة، لكن الجيش الأحمر اليوم أكثر الجيوش تعرضاً للانحلال والتفسخ، ولا قيمة لاسلحته في العالم. ولا ريب في أن تكون نهايته هكذا عندما قطع روابطه مع اليوتوبيا الاشتراكية.

وأنتم لا تملكون حتى مثل تلك الانتصارات الكبيرة، بل إنكم لا تزالون عاجزين عن تأدية متطلبات علم ناجح بما يمكن ذكره.

ولا آمال أو طموحات أو عقائد قوية لديكم. عليكم بالتواضع وتوخي الدقة في أن تكونوا اشتراكيين.

عليكم اكتساب شخصياتكم المستقلة بتعبئكم لذاتكم بالوعي والإيمان الذي لا مناص منه. وبدون ذلك لا يمكن لأي سلوك تسلكونه أو أية ممارسة تقومون بها أن تكون ذات قيمة تذكر، حتى لو انتصرتم في حروب كبيرة أو أصبحتم ديماغوجيين كبار جداً.

لماذا يكون تأثيري كبيراً لهذه الدرجة في PKK؟

أنا لا أتكلم عن الأعمال ذات الصيت، فالتكلم مع الناس على أساس آمالنا وطموحاتنا، هو أمر بسيط. وكل واحد بإمكانه إقامة علاقة ما. وإذا كانت الحرب موضوع الحديث، فالأمور حينها تكتسب أبعاداً أكبر. أما إضفاء المعاني اللازمة للعدو ولجيشك، فيكتسب عندئذ أعماقاً أبعد. يكفي أن يكون الإنسان اشتراكياً نوعاً ما، حينها لا يمكن التفكير في عدم قطعه مسافة ملحوظة. أما إذا لم يكن كذلك، بل كان ديماغوجياً ونهاب الكدح وسارق الجهد، أو إذا كان قروياً أو عتالاً أو مثقفاً؛ فسيكون مآله الإفلاس بالتأكيد، عاجلاً أم آجلاً، حتى ولو أحرز نجاحات ملحوظة.

لا يمكن ملاحظة قروي ارتقى إلى مصاف أرباب العمل إلا بنهب الكدح. ولا يوجد ديماغوجي أحرز نصراً عسكرياً أو اكتسب قوة سياسية ما لم يخدع الناس بشكل فظ. فالنجاح هنا يكمن في سرقة الأول وخداع الثاني للناس. النهابون يسرقون ويعوثون ويصولون، ويصبحون من كبار الرجال. أما الديماغوجيون فينوّمون الناس بالأكاذيب والخدع، ولربما يصبحون بذلك ديكتاتوريين. وكثيراً ما نرى هذه الأمثلة في عالمنا. وفي داخلنا أيضاً ثمة من يريدون البروز بذلك كل يوم. لكنني أقول بصراحة، لا يمكن العثور في طرازنا القيادي على محاولة سرقة الجهود أو خداع الغير بالثرثرة السفسطائية. كلا! لا يمكن ملاحظة السلوكين قط لدينا.

تُرى هل ترتقون بأنفسكم إلى مستوى شخصية اشتراكية سليمة؟

هل أنتم مرتبطون حقاً بهدف بلوغ شخصية اشتراكية؟

إن كان جوابكم "نعم"، فسيوصلكم عندئذ إلى المعايير التنظيمية السليمة، ويحط بكم على النهج والأحلام. ولا يمكن التفكير قط حينها بوجود أي أثر لنمط حياة أخرى.

أكرر ثانية، دعكم من البقاء داخل PKK لسنوات عديدة، بل إن مجرد القيام ببداية بسيطة يكفي لتسييركم وتوجيهكم نحو السلامة.

هاهو حقي. هل كان على إطلاع شامل بالاشتراكية؟ كلا! بل إنه شق طريقه بوعي محدود للغاية، لكننا نعرف تماماً أنه كان مسلحاً بالإيمان الراسخ.

هاكم خيري، مظلوم، كمال. هل كانوا يعرفون هذه الأراضي جيداً؟ كلا! لكنهم كانوا يؤمنون كل الإيمان بالاشتراكية وبجهودها، وكانوا متشبثين بها بشغف وهيام. إنهم PKKويون حقيقيون.

لكنني أنظر إلى صفوفنا اليوم، ثمة البعض ممن يرتقون في وعيهم أربعين مرة على أمثال حقي وكمال ومظلوم. وهناك المقاتلون الذين يمتلكون ممارسة تمتد لمدة عشر سنين أو خمس عشرة سنة، ويملكون خبرات عملية تضاهي الأوائل بمائة مرة. لكننا نشاهد أن كلهم أصبحوا معضلة لدينا.

لماذا؟

لأنهم يناقضون الخصائص الأساسية للشخصية الاشتراكية. والكثير منهم تبعث شخصياتهم وهوياتهم على الشك.

يكاد يكون التفكير اليومي الضيق، والحياة المعتمدة على الصلاحيات، والمطالبة بالحق، يشكل PKK مستقلاً بحد ذاته. وثمة أوضاع سائدة داخل الوطن وخارجه، بحيث تبرز فيها ثورية الصلاحيات وثورية المناصب المختلفة تماماً، وكأنها تهدد حياة PKK. إنهم يُخرجون المشاكل باستمرار، ولا يوجد شيء يُذكر مما منحوه لPKK.

ثمة هذا الكم الهائل من الشهداء الذين أراقوا دماءهم، والمعونات القيّمة التي أبداها شعبنا، سواء مباشرة أو بشكل غير مباشر. لكن من ذكرتُ خصائهم أعلاه ينخرون في ذلك دون توقف. ولم يعد لهؤلاء أية قيمة. لماذا؟ إنه أمر واضح، فالذين داخل حزبنا، إما نخّابون سرّاقون، وإما ديماغوجيون. أما البقية الباقية فإما قرويون عاديون أو عالتون. كلا، أذكّركم تكراراً ومراراً بأن هذه ليست الشخصية الاشتراكية إطلاقاً. لا ريب أنكم ستقولون: "الحزب هو المكان أو الكيان الذي يتكاثف فيه الصراع الطبقي". صحيح، هذا هو تعريفنا للحزب.

الحزب ليس مكاناً لتجمع الاشتراكيين الكاملين مائة بالمائة.

ومن الواضح تماماً أن الصراع سيكون كثيفاً في حزبنا، لأن مجتمعنا وشعبنا يكاد يخرج من كونه مجتمعاً، وتعرضت خاصياته الطبقية للتهريش والنخر. أو أنها لم تجد إمكانيات تُذكَر للتطور فيه، ويكاد كل شيء يحقق تحوُّله الاجتماعي وتسيُّسه وفرزه الطبقي داخل الحزب بالذات.

إنكم لا تخوضون حرباً طبقية في الحرب التحررية الوطنية.

لماذا؟

لأنكم مهزومون مائة بالمائة. والعقول مشتتة، والإدارات مشلولة. بهذا المعنى، لا وجود لحرب على أساس اجتماعي هنا. الأمر كذلك، ليس في المجتمع الكردي فحسب، بل وفي المجتمع التركي وحتى كافة مجتمعات الشرق الأوسط لحدٍّ ما. فالنضال إما أنه أُحيل إلى داخل الدولة، أو داخل الحزب. ولدينا أُحيل إلى داخل الحزب لعدم وجود الدولة. أما لدى الأتراك فقد أُحيل إلى داخل الدولة لامتلاكهم إياها. والصراع الطبقي في تركيا يُخاض اليوم داخل الدولة أو حلفائها. أما نحن فيُخاض لدينا داخل PKK.

واليوم ندرك بصورة أفضل أننا استوعبنا داخل الحزب كل الأعضاء المقاتلين بعلاقاتهم وتناقضاتهم، لأنه أصبح أوسع نطاقاً، لا كالسابق مؤلفاً من مجموعة من نخبة من الرفاق. لكن عليكم القبول مسبقاً أن القيادة التنظيمية التي أتاحت لكم هذه الفرصة هي نفسها التي قمت بصياغة تعريفها لكم، والمعروفة بحاكمية الخصائص الاشتراكية فيها. قد تنتمون إلى طبقات أخرى، أو أنكم أتيتم معبأين بما فيه الكفاية بالأحكام المسبقة المريعة للطبقة البورجوازية الصغيرة، أو نصف الإقطاعية أو محمّلين بالأحكام المسبقة للقرويين أو الحمّالين أو المثقفين. لا مفر من وضع كهذا في بداية الأمر، أما القيام بمواصلة ذلك بإصرار اليوم، بل وتحويله إلى سياسة، بل وإلى قوة؛ فلا يعني سوى تطوير حرب النهابين والديماغوجيين. بيد أن حزبنا يشدد من حربه ويصعّدها داخل صفوفه لأنه ينظر إلى هذه الأمور بهذا الشكل.

عندما تكون الاشتراكية موضوع النقاش، علينا إضافة أمر آخر؛ فعلى سبيل المثال، حتى ستالين صاحب أشد المواقف صرامة في الحرب الطبقية، آل بالكيان الاشتراكي الضخم إلى الانهيار لسيادة الخونة في أيامه بسبب عجزه عن خوض الصراع بشمولية داخل الحزب، ولاعتقاده بأنه سيستطيع حل المشاكل بالأساليب الدوغمائية والقمعية فقط. وحصل ما حصل لأن ذاك الكيان الاشتراكي، الذي كاد يتحكم في ثلث العالم، بقي عاجزاً عن خوض الصراع الطبقي داخل الحزب بشكل سليم، وعن صياغة تعريف صحيح للديمقراطية الاشتراكية داخل الدولة.

PKK، اسم لاستنباط الدروس من هذا التاريخ بكل إصرار.

وستتواجد الديمقراطية الاشتراكية بلا ريب، حتى لو بنينا الدولة.

وقبل الدولة، خضنا الصراع الطبقي داخل الحزب، أي طوَّرنا الديمقراطية في داخله بمهارة فائقة. ولو لم نخضه آنئذ لأصِبنا بالانحلال بكل سهولة في مرحلة انهارت فيها الدول الاشتراكية العملاقة.

وإذا لم ينحل PKK أو يتفسخ، فذلك لأننا واصلنا النضال الاشتراكي في داخله، مع إطراء التجديدات على المبادئ والأسس التكتيكية، أي على الأسس النضالية والتنظيمية الصائبة فيه.

هل تمثلون الرجعية بنسبة قليلة؟ كلا! ولا اعتقد بوجود رجعية في أي وطن من الأوطان في العالم بمثل ما هي في الشخصية الكردية. وانضمام كل واحد منكم لا يدل على شيء سوى شِبَاك العلاقات الرجعية السائدة على مدى قرون مديدة، بل وحتى – لن أقول وعي طبقي حسب هواكم – انضمام بشخصية عمياء.

هل أتيتم بأفكار واضحة شفافة؟

كلا!

هل تنهالون على النشاط والعمل برغبة جامحة؟

كلا!

إنكم ساقطون في الامتحان والمجتمع. ووعيكم مشتت، وإرادتكم مشلولة. هكذا أتيتم.

وبمجرد شروعكم بلملمة أشلائكم والتزود بالقوة، لا تترددون في فرض الطراز البورجوازي الصغير القروي إن كنتم قرويي الأصول، أو البورجوازي الصغير المدني إن كنتم من المدنية، أو الآغوي إن كنتم من بقايا الأغوات، أو الطراز الناجم عن الخصائص المتواجدة فيكم نتيجة تأثيرات البلد الحاكمة عليكم. وإني أرى أنني الوحيد، على وجه التقريب، الذي تتحاملون عليه بلا رحمة، بل وحتى دون أن ترف لكم عين. لماذا لا تأبهون؟ لأن خميرتكم الطبقية، وبالتالي حقيقتكم الشخصية، تُملي عليكم بالراحة.

فمثلاً تقولون "لن افكر حسب طراز قيادة PKK، ولن أعمل أو أحارب أو أنظم أو أقوم بالدعاية بموجبها". إذن، ماذا عساك فاعل؟ "سأعمل حسب طرازي". وما هو طرازك؟ إنه الطراز المسوّى بالأرض منذ زمن مديد، والذي يُلحِق العدو الضربة به لأول وهلة.

لكنه يقول "هذا ما بمقدوري عمله". ربما، ولكن هذا لا يكفي بالنسبة لي. بل ولا يكفي لإنقاذ الذات. وهكذا يسير الصراع الطبقي الأحادي الجانب تجاه الإنسان غير الكافي. إنكم ناقصون. ولأنكم لا توفون الأمور حقها. فإنكم تمثلون الهزيمة.

لا أحد يعمل على توبيخكم.

بل يقال لكم أنكم تمثلون الهزيمة لأنكم لم تُعِدّوا أنفسكم حسب بطولة الجهد في الاشتراكية. وما الذي يكمن وراء ذلك؟ النقصان. نقصان تنظيمي، كدحيّ، خياليّ.

إنكم ترضون بحياة بسيطة، وتعتبرون الصلاحية البسيطة وكأنها نصر كبير.

وشخصية المسؤولية الرخيصة في PKK بإمكانها أن تكون كل شيء بالنسبة لكم. وإصرار نصر بسيط أو تمثيل أو تحقيق عملية صغيرة، تعتبرونه نهاية الأمر، رغم أن مثل هذه الخطوات ليست قادرة حتى على إشباع بطوننا. ولا يمكن التفوه بهكذا نجاحات في حقيقة القيادة في PKK.

إنني أحرز المئات من هذه النجاحات يومياً، لكنني لا ألتفت إليها قط.

بل وأتساءل بيني وبين نفسي "وهل هذه نجاحات؟".

وأقول "لن أخدع نفسي بها بتاتاً".

ذلك أن حجم العدو واضح للعيان، إنه يتقدم بسرعة. ومادام الأمر كذلك، كيف يمكنني الاكتفاء أو خداع ذاتي بعدة نجاحات صغيرة؟ انظروا لأنفسكم، هل بقي لديكم شيء اسمه مقياس؟ إن النقصان ينعكس على إرادتكم ويجعلها مشلولة. وأنا على هذا الأساس أصارعكم. إنه صراع الصعود النقصان إلى الكمال.

أكررها ثانية، القرويون أيضاً كادحون، وكذلك الحمّالون والعتّالون، والبورجوازيون الصغار والآغوات؛ لكن كدحهم جميعاً لا يكفي لتحرير الوطن أو المجتمع أو الشعب.

كيف سيكون إذن؟

حسب اليوتوبيا الاشتراكية!

وهذا لا يتعين إلا بالطراز والوتيرة التي اتبعتها حقيقتنا القيادية بتبنيها لهذا الكم من الشهداء والتضحيات الجسام لشعبنا. ولا يمكنكم امتلاك الشخصية الاشتراكية إلا ضمن إطار هذا التعريف. وحينها يمكنكم القول "إنني مناضل حقيقي لPKK". وإذا لم تصلوا إلى ذلك فمَن أنتم؟ أجل، ربما أنكم مناضلون ومقاتلون، لكنكم لستم مناضلين حقيقيين لPKK. بل ويجب القول أنكم تقفون ضده. إما أنكم تابعون ذيليون أو أنكم على يمينه أو يساره، أو في المقدمة بشكل انتحاري مغامر. وكما ترون، كل هذه المواقف تُدخلكم في ضوائق، وتؤدي بكم إلى الفشل، لا النصر. إذن، عليكم قياس أنفسكم جيداً.

"أين أنا من الPKKوية ومناضلية PKK الحقيقية؟ أين أنا من الشخصية والهوية الاشتراكية لPKK؟". هل في يسارها المتطرف أم يمينها المتطرف؟ هل في المقدمة كثيراً أم متخلف عنها كثيراً؟. حتى عندما نقوم بتعاريف كهذه فإننا نقيسها بأخذ وضع العدو بعين الاعتبار من جهة، وخيالنا ويوتوبياتنا من جهة ثانية، ومعاييرنا النضالية من جهة ثالثة. "هل أعمل بنشاط وانشراح؟ هل أضفي المعاني الباعثة على الغبطة على كل الأنشطة الأيديولوجية والسياسية والتنظيمية والعملياتية وأطبقها بموجب ذلك؟". إن كنتم تقولون "نعم"، فهذا يعني أنكم

مناضلون اشتراكيون حقاً، وPKKويون حقيقيون، وأنكم قد أصبحتم مناضلين بالفعل حسب تعريف PKK له.

شخصية كهذه بإمكانها العمل. والإمكانيات الموجودة في PKK وفيرة. بحيث تؤمّن كل أنواع النجاحات لمثل هذه الشخصية، بل وتزيد. يُشترَط أن تكونوا ماضلين حزبيين اشتراكيين على هذا النحو. وهو الشرط الأولي للنصر. أما الشروط الأخرى من قبيل كثرة العدد، وتوفر الأسلحة، والخاصية الفلانية للمنطقة الفلانية؛ فكلها تعد تفاصيل غير مؤثرة لدرجة التعيين.

إذن، إن كنا نؤمن حقاً بقضية الكادحين، ونحترم اليوتوبيا الاشتراكية التي ضحّى الملايين بأرواحهم في سبيلها، وننظر إلى هذا اليوم على أنه بالفعل يوم التعاضد والوحدة والكفاح لكادحي العالم؛ فالجواب الساطع والحاسم الذي يمكننا إعطاؤه هو السمو الجامح الذي لا يمكن كبح لجامه في الظروف الدولية السائدة وفي ساحة PKK، وذلك بمناضلية تسير قدماً النصر كهذه. إنه جواب كامل أعطينا قسماً منه، وسنردّ بالباقي.

لن نحتفل بهذا اليوم عبر ألفاظ بالية رثة.

لا أود تقييم هذا اليوم بمصطلحات اشتراكية جوفاء، ولا ذكر اسم الكادحين بشكل رخيص.

بل وأنفر من الكادحين الذين يعملون على خدمة رأس المال القائم، ولا أستطيع أن أحبهم. إنهم يذكّرونني بالعبيد الذليلين للامبراطوريات العبودية العظمى في غابر الأزمان. ولا يوجد لديهم أي جانب يمكن حبه.

لا يمكن أن يكون الكادحون هكذا!

لا يمكن للكادحين الخلاص من الوضع اللعين ما لم يُبدوا الاحترام لكدحهم ويتبنوا اليوتوبيا والإيمان والعقيدة. وبذلك يمكن احترامهم. إن كنا نفتخر بواقع شعبنا ونظهر على مسرح التاريخ بوجه ناصع، فذلك لأننا أبدينا القدرة على الارتباط بهذا الإيمان والكفاح في سبيله.

بهذه المناسبة يمكنني التصريح لكم ولشعبنا وأصدقائنا المقربين بأنني أعتمد على الحياة بالارتباط بخيالاتي وأحلامي ومعتقداتي لسنين طويلة، حتى لو بقيت وحيداً. أنا على هذا النحو لأنني ارتقيت بالنشاط بغبطة وعنفوان وجعلته فوق كل شيء، لأعمل كجيش برمته عندما يتطلب الأمر. وهكذا أبدى البعض الاهتمام بنا، وظهر أصحاب PKK إلى الوسط، وانبعث شعبنا، وازداد أصدقاؤنا يومياً ليمدوا يد العون لنا. وربما يزداد عددهم غداً أكثر. قد أحترم رب عمل ما، ولكني لا أحترم كادحاً عبداً. إني مرغم على التصريح بذلك.

كيفما يقوم رب العمل بوظيفته ويدركها جيداً، كذلك على الكادح أيضاً أن يعرف كيف يكدح. إنني أكنّ الاحترام لوحدات الجيش الاستعماري الخاصة التي تحاربنا جيداً. أما الذي لا يصارع ذاته ولا ينظمها مقابل ذلك، فلا أحترمه قط، سواء كان من شعبنا أم من مقاتلينا. هكذا هي قيادة PKK بكل تأكيد، ولا داعي لأن يرتبط بنا أحد خارج هذا النطاق، أو ينتظر حبنا أو احترامنا له.

لا مكان لدينا للعبد والفاشل ومن لا يعطي لنشاطه أي معنى. وعليه ألا ينتظر منا الاهتمام أبداً لأنه لن يبلغ ما يريد من احترام وحب وكرامة وعزة، ولن يليق بها. وهؤلاء لا يمكننا ذكرهم بفخر بتاتاً.

أما الذي يجعل الحياة لائقة به ويعمل على العيش بتحرير هذا الوطن والشعب، وإبداء البطولة الاشتراكية السامية الطوعية في سبيله –إن دعت الحاجة– دون أن يأبه بأي عائق يعترض طريقه؛ فهو الأثمن والأغلى وتاج الرأس. إن كان شعب ما لائقاً بأن يُحَب ويُحْتَرَم دوماً فهو شعب معزَّز أبيٌّ وطليعي. وكذلك فالطبقة التي تقوده هي طبقة طليعية. وإن كان حزباً فهو حزب طليعي.

إيماننا بذلك راسخ أكثر من أي وقت مضى، لأنه لا يسفر عن إيجاد العمل وتأمين لقمة العيش فحسب، بل ويوطد الكرامة والأيادي الحرة، ويُبرز الأحلام والتطلعات الحرة التي نسميها بالأمل واليوتوبيا.

ستتحول الأحلام الحرة إلى أيادي حرة. وستكون الأيادي الحرة عاملة نشطة ستصبح هي بدورها عملاً وكدحاً وجهداً.

ثمة عوائق يجب الصراع تجاهها، وهل من نشاط أثمن من ذلك؟ إنه صراع سيحطم كل قيود الأسر إرباً إرباً. إذاً، فهذا العمل حقاً مُشرِح للصدر وباعث على النشاط. وكدح كهذا منتج ومعطاء لدرجةً يعطي ألف مِثْل لكل

نشاط. وهو كدح الحرب والصراع. والبطولة فيه هي أعظم بطولة شعبية. وقد أردنا الرد على كدح شعبنا من هذه الزاوية إذ رأينا أن شعبنا كادح أولاً. لكننا نعلم أنه يعاكس ذلك الآن، وأنه سُلبت منه قيمه وجهوده، وسُلب وطنه كموطن إنتاج للكدح بالنسبة له. ولأجل ذلك بالذات اعتمد على مبدأ ضرورة الحرب الوطنية العظيمة وضرورة تنفيذها مطلقاً كي نبني شعباً حراً يمتلك قيمه وجهوده الكدحية. ولأجل ذلك أيضاً وضعنا كل ثقلنا على تأسيس حزب وبناء مناضل اشتراكي فيه بإمكانه إحراز نجاح كهذا. وقلنا حينئذ أن لهذه المهمة التي تنتظرنا مكانة تاريخية ودور مصيري مذهل لا يصدق، وحملناها على عاتقنا قائلين أنها ستدر بالنفع الوفير، فلم ندّخر وسعاً في تنفيذها بطراز ووتيرة عليا. والنتيجة كانت حرباً لم تذهب هباء، بل زوَّدتنا بالفخر والاعتزاز أمام التاريخ ورفعت جبيننا عاليا. ولم تجلب لنا الأمل فحسب، بل والخلاص والتحرر أيضاً لدرجة نكاد نخلق فيها كل شيء من جديد. ولا أثمن من ذلك قط.

إنها الاشتراكية!

إنها قضية الكادحين المتكاتفين اليوم في الحزب وهم مدركين لمهامهم ومصالحهم، ولا قضية أسمى من تلك ولا أنجح منها.

كلي ثقة أننا أجبنا بأسمى الأشكال وأنبلها بمناسبة هذا اليوم على تطلعات PKK الاشتراكي وقواده المسؤولين والمقاتلين في ساحة الوغى، والمقاومين البواسل في السجون والمتعاطفين من أبناء شعبنا والذين يقتفون أثرنا، وبناء عليه أتمنى للجميع النجاح والتوفيق.

مع تحياتي

"الغني هو ذاك الذي يعطي ما لديه"

كارل ماركس

أثق بالإنسان والإنسان الجيد الفاضل

"أقتل الرجل الكلاسيكي"

PKK هو الحقيقة بعينها. وبدون فهم هذه الظاهرة لا يمكن فهم ظاهرة التحرر الوطني الكردية. وبدون فهم الأخيرة لا يمكن فهم سبب الانسداد والعقم، أو إمكانية الحل اللازم.

إن التدقيق والتمحيص في PKK يدرّ بالنفع. ويجب التنويه إلى أن ظاهرة PKK أو الPKKوية مختلفة جداً عما قام الكثير من الPKKويين بتعريفها. أي أن PKK حادثة يصعب فهمها وإدراكها، ولم يتم فهمها بنسبة كبيرة. خاصة وأنني لا أظن أن اليسار التركي أو المثقف التركي، وحتى السياسي التركي فهمها ولو قليلاً. ربما تجهد أجهزة الاستخبارات وأوساطها لفهمها واستنباط الدروس الموضوعية منها، ولكن يصعب ذكر الأمر نفسه بالنسبة للمثقف أو الاشتراكي هناك.

الأجهزة الاستخباراتية هي أفضل من فهم الأمر. ويمكننا النقاش معها بأفضل الأشكال وإيجاد بعض الحلول. قد يكون بالإمكان إدراج بعض العسكريين الذين يُعمِلون عقولهم فيها. أما في أوساط المدنيين والمثقفين وحتى الاشتراكيين واليساريين، فمع الأسف تزداد الحماقة لتتبدى أمامنا على شكل مواقف استنكارية.

لا يمكن أن يكون PKK حركة اشتراكية على النحو الذي يعتقده البعض أو يُظهِره البعض الآخر. إنه حركة مختلفة تماماً.

على رجال الاستخبارات والجنود معرفة مستلزمات قواعد وقوانين الحرب أو الصراع الذي يخوضونه، أو الظاهرة أو الحادثة التي هم معنيون بها. أما الفسادون فيسيّرون الأمور بالفتنة والفساد لا غير، لأنهم لا يحاربون ولا يصارعون. وأعتبر هذا نقصاً جدياً. لا أقول أن تمدحونا، بل على العكس، تحاملوا علينا، ولكن بإبداء ثقل الأمر وأصوله ووزنه. وأحس بقول ذلك للمثقف والثوري والاشتراكي وحتى الإسلامي. فافهمونا قليلاً بقدر القائمين على الحرب الخاصة المناوئة لنا.

لماذا لا يتعرف علينا المثقفون ورجال العلم وحتى الاشتراكيون والثوريون بقدر ما تتعرف علينا الأجهزة الاستخباراتية؟ بيد أنهم يزعمون أنهم في معمعان ساحة الكفاح والصراع.

الـPKKويون أيضاً لا يعرفون التعلم. ولأجل ذلك أخوض حرب أعصاب كبيرة داخل صفوف PKK. تجاه من يحارب الـPKKويون؟ هل يعرفون المحاربة؟ امر غير معلوم! إنهم ليسوا على نهج PKK، بل على النهج المحارب لـPKK بنسبة معينة هامة، وبشكل موضوعي. إنها حادثة عجيبة!

بإمكاني تعميم ذلك أكثر. فنسبة ٩٠ % تحارب ضد PKK، لا باسمه. لكن، ورغم ذلك هناك حقيقة PKK الحربية. إنه أمر مثير تقوم تركيا بإنشاء سياستها عليه، وتسن قانون المعترفين المستسلمين وقانون الندم. إنه ظاهرة بحد ذاتها. الدول تحيك الألاعيب والحيل، لكل منها مكتب PKK. والكل يقول "إنه على وشك الانهيار والزوال". لكن ومع ذلك علينا أخذ تقييمات CIA والأمريكيين بأننا "أكبر تنظيم أنصاري" أو "أخطر تنظيم أوثوذكسي ماركسي" بعين الاعتبار.

وبعض التنظيمات اليسارية التركية تقول فينا "إنهم قوميون متطرفون، قوميون بورجوازيون صغار". لا الأمريكيون عرّفوا PKK على وجه الدقة، ولا القسم الأكبر من اليسار التركي فهمه، ولا رفاقنا يعلمون ماذا يمثلون.

لو أفصحت عما خضته هنا من صراع فسيكون أداة جيدة للتعرف عن PKK، حيث كان صراعاً اجتماعياً منذ أن كنت في القرية وعمري عشر سنين، واستهدف الوقوف في وجه بعض التقاليد والأعراف الإقطاعية. وعندما وطئت المدينة فيما بعد اكتسب أبعاداً اجتماعية أشمل. لماذا؟ لأنني لم ألتحم بمقدسات المجتمع القروي،

ولا بمقدسات البورجوازية في المدينة. وعندما واجهت الدولة لم أتحد معها. بيد أن هذه المراحل كانت قبل أن أخطو خطواتي باسم PKK.

إن كنتم تريدون الفهم، فسأعطيكم بعض رؤوس الخيط كي تقوموا بالمقايسة بيني وبينكم. لم أستطيع أن أصبح قروياً جيداً أو عاقلاً. والقرويون لدينا كانوا يقولون "لا جعل الله أحداً مثل ابن فلان، انه خارج عن المسار، انه مجنون". هكذا كانوا يعرّفونني. أما عندما دخلت المجتمع البورجوازي فكنت لا حول لي ولا قوة، ولا أحد يرى فيّ فرصة الحياة.

نسبةٌ لماذا؟

بالطبع أحدهم نسبةٌ لقواعد المجتمع الريفي، والآخر نسبة لقواعد المجتمع البورجوازي.

والأمر صحيح لدى التّماس مع اليسار التركي أيضاً. حيث تبين أنني لا يمكن أن أكون يسارياً حسب تلك المقاييس. والغريب في الأمر أن هذه الحقيقة لم تتغير قط، ليس في فترة ما قبل PKK أو ضمن الصفوف اليسارية فحسب، بل وطيلة تاريخ PKK أيضاً. الحزب تنظيم له لجنته المركزية ومكتبه السياسي وأمينه العام وأعضاؤه السفليون. لكن هذه الظاهرة لا تتطور كثيراً لدينا. "أنا لا أمتثل لعضوية التنظيم، لا أنصاع للمركزية، لا أنزع لتسيير هذه السياسة بشمولية". إنه تناقض؟ لكن ورغم ذلك ثمة ظاهرة PKK العظيمة. كيف تحقق ذلك؟ تهاب الدول الامبريالية اليوم PKK كثيراً. ولأجل ذلك يرتبون الهجمات الشاملة والتهكمات التي لا معنى لها، والمليئة بالغضب والنقمة.

إنني أنفر من تسمية نفسي بالفرد الداهية، الفرد المبدع، القائد العظيم وغيرها من الأسماء. ولكن ربما هو اعتياد أو طراز. يجب تفهم الأمور كي تفهموا المجريات.

أرى الجميع واهناً خائر القوى في طراز الحياة. إنه طراز الطفل المربى في الحضن الدافئ. احمل الطفل مرتين فقط، وقَبّله، وضعه هناك. حسب رأيي لقد لحقت ضربة ليست بهيّنة بالشخصية. بل وعندما أضع تناقض العائلة نصب عيني يختلجني إحساس فريد: ليتني لم أكن من هذه العائلة!

ومن ثم في الظاهرة الكردية، ليتني لم أكن من هذا الوطن!

بل وحتى، لو لم أكن من هذه الطبقة وهذه الشريحة.

ومن ثم، لو لم أكن من هذه الدولة. في الحقيقة ثمة مشاعر كهذه تختلجني. هناك رفض للواقع. إنه أمر مذهل! عدم الحب كما يحب الآخرون، عدم العيش كما يعيش الآخرون، عدم التفكير كما يفكر الآخرون، عدم الأكل والشرب كما يفعل الآخرون. هناك رفض في جميعها، ولدرجة مَرَضيّة. كل واحد يقرأ دعاءه بهذا الشكل، ويصلي على هذا النحو. هذا بالنسبة لي مشكلة كبرى. وحسب تقاليدنا يقولون "لنزوج ابننا وابنتنا على هذا النحو". تُعدُّ هذه حادثة مدهشة أكثر بالنسبة لي. كلا! لا يمكن أن تكون هكذا!

إنها الاشتراكية:

"هكذا هي الاشتراكية. هكذا تُصاغ نظريتها وممارستها العملية!". كلا! لا تصاغ هكذا! كل شيء مختلف، شاذ! إلى أين سيؤدي بنا هذا الوضع؟ أجل! إنها محنة، عزلة. ولربما أنها طيش وتهور.

كنت فرداً يجهد لأن يكون ذا تربية، حساساً ويقظاً. ومنذ القديم صار عدم الدوس على العشب مبدأ لدي. ومنذ البداية هناك اهتمام بالغ بكل شيء. لكن ومع ذلك، هناك اختلاف لهذه الدرجة! ومن ثم سيتم إدراك أنني كنت أحقق توازني بهذا الشكل لأقف على قدميّ. إنني هكذا أحدد مقاييسي.

لا شيء مثلما أرغب. مشاعري وحدسي يشير إلى هذا الأمر.

هناك أمور جيدة وفاضلة، لكن ما هو موجود سيئ نسبةً لها. إنها مسألة شعور. وأنا أنظر إلى كل الأمور حسب هذين المصطلحين. ثمة ما هو أفضل، أما ما هو موجود في الوسط فهو أسوأ. إنه الخطأ وعليك ألا تتمسك به. الارتباط المبكر بالأمور يشلُّ الشخصية. والأمر كذلك في المسألة النفسية أيضاً.

وفي نفس الوقت أنا من أتباع فرويد.

لقد طورتُ الأسلوب كثيراً. من يتشبث بأمه ويحتضنها بقوة يصبح أنانياً، ويميل دوماً للتماسك اعتماداً على قوة خارجية لأنه يبحث عن أمه في الجميع ويود الالتجاء إليها دوماً. حينها يكون ذاك الطفل قد انتهى ولا يمكنه لم شمله ثانية.

مثلاً طراز الحب:

البحث عن زوج وزوجة ارتباطٌ سيء، بل وعبودية. وبمجرد دخولك فيها لا يمكنك الخلاص منها، وما يتبقى من الأمر يكمله المجتمع سواء الإقطاعي أم البورجوازي. وعندما يصل الأمر إلى مستوى الدولة يكون الأمر قد انتهى. فالإنسان التركي والكردي، وحتى الشرق أوسطي، يعتبر عدم الحل بمجرد ثورته وتمرده على الدولة، ولا حول له ولا قوة.

ذلك أنه أفلس من كل شيء حتى قبل أن يصل إلى الدولة. إنه، حسب رأيي، انتهى منذ أن كان في القرية أو حتى في وسط العائلة. ولا يعرف كيف يحارب.

من لا يكون محارباً لا شخصية له!

ولكي تحارب وتصارع عليك أولاً ألا تُعجَبَ بالأمور. أي أن ترفضها.

وأن ترسخ في ذهنك تخريب بعض الأمور وبناء بعضها الآخر.

وأيّ حرب ستخوضها إن أنت معجب بنفسك؟ إذا ما أعجبت بعائلتك وبالمجتمع يكون الاحتياج للصراع قد زال من الوسط.

اللاصراع يعني التعفن والمشاجرات التافهة. الشتائم والمشاجرات المصطنعة متفشية في تركيا، أما الصراع الحقيقي فمعدوم فيها، إذ لا يوجد فيها صراع شعبي أو اشتراكي يتميز بقواعد وأسس تاريخية راسخة.

لا يوجد صراع المجتمع هناك.

ماذا يوجد؟ الخداع والرياء! وفي المكان الذي تغيب فيه الحقيقة يظهر الكذب. هاهي الشتائم وكيل المسبات متفشية في عموم تركيا. ذلك أنها حلت محل الصراع الحقيقي الغائب عن الأوساط. والعلاقات الأحباب جاويشية أيضاً سائدة هناك. لماذا؟ لأنهم لم يؤسسوا التنظيم على المبادئ. هذا سائد لدينا أيضاً لدرجة مروعة، إذ لا توجد حياة حسب النظرية. النتيجة هي الحرمان من الحرب الشعبية والاجتماعية، وحتى الحرمان من الصراع الطبقي والاشتراكي.

وضعي مضاد لكل ذلك. وهنا تكمن عظمتي أو ميزتي!

لا يمكن العيش في أوساط كهذه، حسب رأيي!

لا عيش بدون صراع!

ولكن التعجرف "القبضاياتية" والفظاظة تحت اسم الصراع أمر معيب. ومن المشين أيضاً الافتقار إلى المبادئ.

في الحقيقة إنها مشكلة طبائع وأخلاق. على الناس ألا يكونوا عديمي الشخصية بهذا الشكل. إنهم يخدعون بعضهم البعض. لقد أدركتُ ذلك مبكراً انطلاقاً من عائلتي. فالأم والأب مسكينان بائسان لدرجة يتناقضان فيها مع أحلام طفل في السابعة من عمره. ولماذا أمنحهما الثقة الزائدة؟ إنهم يُعَدِونني للموت. وهم بلا جسارة ولا هودة لأنهم يصارعون مع تشبثهم بكل أنواع الخطيئات والنواقص، إذن، ولِمَ أصبح مثلهم؟ وغيرها من كثير من الحالات النفسية وخصائصها.

ما أود قوله أن اللاصراع السائد في عموم المجتمع، يحل محله الشجار المزيف الخالي من المبدأ والتنظيم.

يسمي سيدنا محمد "ص" حرب النفس بـ"الجهاد الأكبر". أي أن الحرب الصغرى تُخاضُ في الجبهات القتالية، بينما الحرب الكبرى هي التي تخاض تجاه الذات. وهكذا برزت بعض الشخصيات العظيمة في الإسلام من أولياء وقواد عسكريين وزعماء.

ثمة الكثير من هذه الأمثلة في تاريخ ألاولياء. كذلك فتاريخ الـ"بير" مليء بأمثلة كهذه. ومن يود معرفتها بإمكانه رؤية المئات منها مدونة في الكتب. لكن ذلك مقضي عليه في أوساط تركيا. فنمط التربية والتنشئة مريع ومهول!

والهيمنة الأيديولوجية للجمهورية التركية تحط من شأن الفرد بنسبة مخيفة. كذلك هي حال العائلة ومنظمات المجتمع المدني التي تؤثر على الفرد، حيث تحولت إلى ظل الدولة لا غير، وتصيب الإنسان بالشلل أكثر. لم يُعجَب اليسار التركي بذلك. ما الذي كان يرغبه؟ عَمَّ كان يبحث؟ لم يتعمق في ذلك. لربما أراد إيجاد مثال له في الإقطاعية، واليوم تعد الرأسمالية الغربية موديلاً مرغوباً بالنسبة لهم. ولربما يتشبهون بموديل آخر إن ظهر للميدان مستقبلاً. وهنا نجد عدم رؤية الذات في هذه النقطة.

لا مكان للتقليد في طرازي. إذ عليك أن ترى ذاتك وتحقق ما تود تحقيقه داخلك.

من الضروري أن يكون صراعك الداخلي مكثفاً. لكننا نرى أن محاسبتكم الداخلية وصراعكم الذاتي واهن جداً. لا يود أي مناضل لدينا التعمق على ممارسته العملية. إنه يخاف ذلك! حتى الشخصيات التي نحاسبها اليوم لو تركناها وشأنها فستقول "من لا يحبني لا يحب PKK. ومن يحبني يحب PKK. من يحبني فهو يحب الشعب. ومن يحبني يحب الإنسان. أنا كل شيء". ولا مكان للصراع الداخلي والصراع الاشتراكي لديهم. إنهم مغرورون ومتغطرسون.

أما أنا فأقول أنني لم أصبح رجلاً كاملاً بعد. لا أشبه أي رجل آخر، ولم أصبح الرجل الذي تفهمونه أنتم. أقوم بمقايسة كهذه كثيراً، ولا سبيل آخر للتغلب على رجالنا المزيفين. كل واحد منهم يظن نفسه رجلاً مكملاً. لكنني أعرف ما هي الرجولة جيداً. إذ أنها تحتوي على الديكتاتورية والكثير من المساوئ والقبح.

إنني أفسر الرجولة.

وأقتل الرجل.

في الحقيقة، كان من الواجب أن يكون هذا مبدأ أساسياً في الاشتراكية. فقتل الرجل يعني قتل النفوذ والسلطة، وقتل الهيمنة الأحادية والتقاوت والظلم، وقتل الاجحاف والتمييز. بل وحتى يعني قتل الفاشية والديكتاتورية والاستبدادية.

لماذا تنضم الفتيات إلى صفوفنا؟ لأنني تجاوزت هذه الرجولة قليلاً. إنه أمر ساطع لا غبار عليه.

الرجل الكلاسيكي ينهزم.

وهذا ما يؤدي إلى ظهور الارتباط العظيم والبطولة الفريدة مثلما حصل في واقعة عملية زينب كناجي وأمثالها. في الحقيقة، إنَّ تغلُّبنا على تلك الرجولة هو الذي أدى بها إلى نتيجة كهذه. هذا جانب من الموضوع. لماذا لم أصبح قائداً مثلهم؟ هذا ما أحاول شرحه. لا حول لي ولا قوة للقيام بزعامة كهذه مثلهم.

أقوم بتحليل الكمالية على أفضل نحو.

وأعيق نظام التنشئة الكمالية المزيفة، وأقول للرفاق "هفال (أي يا رفيقي)، أنا لم أصبح الرجل الأول بعد، فكيف ستصبح أنت الرجل الثاني؟". أنا لست غريباً عن مثل هذه المواقف. ويصاب الجميع بخيبة أمل. "كيف تقول هذا؟ لقد قمنا بالعمليات العسكرية، وتزودنا بالقوة والمنعة، وأنت لا تزال عاجزاً عن لعب دور الرجولة، فهل تكون القيادة هكذا؟". أجل، أقول إنني قائد على هذه الشاكلة. وهذه هي آليتي. وإلا ففي حال العكس يظهر ما هو متفشٍ في مجتمعات الشرق الأوسط من ديكتاتورية أو غطرسة أو تعسف...

ما يظهر هنا هو ما يرتبط به طراز إدارتي لَسريّة ما... فبينما أحضهم على الحرب من ناحية، أحفزهم من الناحية الأخرى للتوجه نحو النضوج والوئام والشفافية والارتباط بالهدف. إنه أمر محرض وثائر لأبعد الحدود. والخاصية الأخرى للقيادة هي التواضع.

تُرى أيمكنني أن أصبح رجلاً؟ لازلت أتساءل وأحاسب ذاتي. لا أكتفي بالقناعة بأنني نجحت وذاع اسمي وصيتي. بل على العكس، إن شعوراً كهذا يضايقني ويقضي علي. لذا فأنا أنفر من ذلك.

ستكون العلاقة بين الجنسين من أهم المواضيع والأنشطة التي سأهتم بها من الآن فصاعداً، وستعتني الاشتراكية بها. بل وحتى إنني على قناعة بأن القرن الحادي والعشرين هو قرن إعادة ترتيب وتنظيم العلاقات بين الجنسين. ومثلما أن أول ثورة مضادة تحققت في الميدان الجنسي، فإن أكبر وآخر ثورة ستتحقق في العلاقات الجسنية. أما النتيجة الأخيرة التي توصلت إليها، فهي أن العلاقات بين الجنسين أكثر تعقيداً مما يتصور الجميع، وتتسم بسمة تُخفي في ثناياها الاستعمار والقمع وتُعممه أكثر. بل إن الخطورة الكامنة بين الجنسين أكبر وأعمّ بكثير مما هي عليه في التناقضات الطبقية أو الدولية. أما الذين لم يصبحوا آلة لها فهم قلة نادرة لدرجة العدم. بالتالي، والحال

هذه، ساحة العلاقات بين الجنسين ستكون الساحة التي ستشهد تطورات تحررية ومستجدات ثورية وإجراءات جديدة في المستقبل.

يُنظَر إلى هذه المسألة كمحرم ومحظور حتى أكثر مما في الدين. وهذا ما يتطلب التحامل عليها. هذه هي الخاصية التي طالما توقفت عليها في نشاطاتي بنسبة هامة. انشغلت بالدين أيضاً، ولكني لم ألاقِ فيه صعوبة بقدر ما لاقيتها لدى تعمقي على مسألة العلاقات بين الجنسين. فالخطر المحدق بالحياة والقبح المحفوف بها في هذا المجال في أعلى مستوياته. والأهم من كل ذلك أن مدى صحة المجتمع وصلابة بنيته، وقوة الحياة ومتانتها، إنما يرتبط بتنظيم هذه العلاقات.

كل قوة استعمارية لجأت إلى استعمار وسحق الجنس بنسبة معينة طيلة تاريخ المجتمعات الطبقية. ونحن هنا بمواجهة تناقض أبعد بكثير من النطاق الطبقي. وإذا ما أضفنا إلى ذلك الخصائص الطبيعية والتفاوت بين الجنسين، واستخدامها بشكل سيء، سواء من قبل المرأة أم الرجل على السواء، فأعتقد أنه يظهر أمامنا تناقض يعد الأشمل والأول والأساسي في المجتمع. وكل طبقة أتت أضافت شيئاً من هذا القبيل؛ حيث ساهمت العبودية قليلاً، والإقطاعية قليلاً، والرأسمالية قليلاً في الاستعمار في هذا المجال، بينما تعمل الامبريالية على تجذير ذلك بأساليب مختلفة أكثر. والأمر لا يزال مستمراً بحيث لا يمكن عدم الإحساس بالخوف والرعب تجاهه. من أكثر جوانبي تعقلاً هو حماية ذاتي تجاه ذلك. فالمرأة خرجت من كونها امرأة أو أنثى منذ زمن طويل. والرجل أيضاً لم أعرف بعد أيّ رجل هو. وحسب رأيي، الطرفان الآن تحت التعذيب.

لقد حررت نفسي لحد ما في هذا المجال وأنقذتها. وأنا أرى حريتي هذه ثمينة بحيث لا يمكن استبدالها بأي شيء آخر. ولا أنظر إلى نفسي كرجل كلاسيكي. لا يمكنكم التحمل لو كنتم مكاني، حيث لا تتنازلون عن مفاهيمكم الرجولية. إنها حياة شاقة جداً، إلا إنها بالنسبة لي حياة ثورية هامة للغاية.

لا تزال العلاقة مع المرأة والبحث عنها مشكلة جدية تتطلب جهوداً كبيرة. من المهم بالنسبة لي التنبه لخطر انتهاج الذكورة الكلاسيكية تجاه المرأة. لذا أقوم بإبداع الأفكار وإيجاد المواقف الواجب اتباعها في هذا الشأن.

إني مرغم على تعريف الأفراد بقدر تعريف المجتمع، هذا إلى جانب إقامة روابط ذلك بالسياسة.

إنه موضوع حساس، بل ويشكل المشكلة الأساسية في المجتمع. فمثلاً التزايد السكاني مشكلة تهدد المجتمع بحد ذاتها. فالإنتاج والأرض لا يكفيان، لذا لا بد من حل هذه المسألة.

هذا بالإضافة إلى أن انعدام الحب في أعلى مستوياته. ويغترب الجنسان عن بعضهما بكل سهولة، وهذا ما يحط من نوع الحياة ويهوي بها إلى القاع. هذا خطر آخر جدي حسب رأيي. وثمة حاجة لأخلاق جديدة في هذا المضمار. ثمة تفسخ وانحلال مخيف. والأنكى من ذلك أن اللاحياة يتم عيشها. ولازالت هناك مسافات كبيرة على الاشتراكية قطعها في هذه النقاط. ويجب التركيز بثقل أكبر على تنشئة الإنسان الاشتراكي.

لقد أهمل الخبراء المهرة المسألة الجنسية كثيراً. فعلاقات ماركس مع المرأة ومفهومه تجاهها لا يتعدى الحدود البورجوازية، سواء بحبه أو بعشقه. أما ستالين فهو كالإقطاعي تماماً تجاه المرأة. ولينين يعد بورجوازياً صغيراً في هذا الشأن.

لم يعتبروا المشكلة الجنسية مشكلة اجتماعية، بل تناولوها على نحو اعتباطي. لكن كل شيء يبين لنا الآن أنها ليست مشكلة يمكن تناولها هكذا. وبدون حل المشكلة الجنسية لا يمكن حل المشكلة الاجتماعية أو مشكلة الديمقراطية الاجتماعية. فإذا لم تستطعِ تنظيم علاقاتك مع الجنس المقابل، أو مع الجنس الذي تشاركه الفكر والحياة، فأيّ ديمقراطية ستقوم بتنظيمها؟ أيّ ديمقراطية سياسية ستنظمها؟

لا يمكن لرجل متحكم بامرأة تحت نفوذه أن يكون ديمقراطياً.

إذ حينها تتطور الأسس في العلاقات اعتماداً على الغرائز الجنسية الفظة، أو على الأيديولوجية العائلية. أي، " لقد تزوج الكل، فلأتزوج أنا أيضاً". إن ٩٠% من العلاقات تتطور على هذه الشاكلة حسب اعتقادي. لا لشيء إلا لأنها أعراف وتقاليد. وإذا أضفت إلى ذلك مسألة الغرائز والنزوات، ترى أن ٩٩% من العلاقات بين الجنسين قد ظهرت على هذا النحو.

إنها مشكلة كبيرة، وستكبر وتحتدّ أكثر في المستقبل. فحوادث الانفصال والطلاق وعدم الرغبة في إنجاب الأولاد في أعلى مستوياتها. وثمة تفسخ وانحلال كبير في البلدان التي تطورت فيها الاشتراكية المشيدة في روسيا. وهذا ما

معناه أنه تم التستر على المشكلة وقمعها وكبتها.

لم تجد المرأة تعريفها بعد.

المرأة المقضي عليها لم تجد سبيل الوجود بعد. ومثلما لم يتحقق ظهور الإنسان الاشتراكي، فالمرأة موجودة اسماً، أما هي بذاتها، فلا. ولاتزال ثمة مسافات طويلة جداً يجب قطعها. وبمقدار ما يكون تطوير الشخصية الاشتراكية أمراً صعباً، فتطوير المرأة الاشتراكية، والعلاقات الاشتراكية بين المرأة والرجل، أمر أكثر صعوبة ومشقة. ذلك أنه ثمة "تابو" محرمات ومحظورات، والكل جاهل أعمى في هذا الشأن. وتسود العادات والتقاليد والغرائز بشكل نافذ. هذا أمر جد خطير.

المرأة أقرب الى الطبقة المسحوقة، الوطن المسحوق، الفئة أو الفرد المسحوق في كل الأوقات. أي لا يمكن تحميلها مسؤولية هذا النظام المتشكل منذ أمد طويل. والسبب في ذلك ساطع لا غبار عليه. ذلك أن هذه الاجراءات أُعِدَّت ورتِّبت بمبادرة الرجل. أما المرأة فهي سلبية لآخر درجة، وعلى الهامش. ولأجل ذلك فهي تهتم وتميل إلى الثورة الساعية للإطاحة بالاستعمار، وتكريس السلام، وبناء نظام يستحق العيش.

يمكن للمرأة أن تتطور في الوسط السلمي الذي تغتني فيه الحياة أكثر. أما أجواء الحروب والعراك، فالرجل هو الذي يقوى فيها ويتطور.

ذلك أن ما جعل الرجل رجلاً هو الحرب ذاتها. وهذا ما معناه في نفس الوقت مستوى خطيراً من التوحش. وبمقدار ما تكون الاشتراكية تعني إزالة العنف والبطش من الوسط، فهي تعني إزالة العنف المتجسد في شخصية كل من الرجل والمرأة على السواء. بتكريس النظام الاشتراكي سيتم القضاء على العنف المتمركز في الرجل أيضاً في الوقت عينه. وهذا ما سيؤدي بدوره إلى العبور لمرحلة ظهور الأفراد والأحرار. أما العبور إلى الفرد الحر فيعني في نفس الوقت تحرير المرأة لذاتها. ومهما تم الولوج في المسألة بإبراز أدبيات الحب الأعمى، إلا أنه لا يمكن قطع مسافة ملحوظة بالنسبة للمرأة بهذا الشكل. ومهما تضغط عليها فلتفعل، لكن لن يكون بمقدورك تأسيس عائلة سليمة. كلا الحالتين خطيرتان جداً، مهما يكن الرجل وصياً على المرأة وحامياً لشرفها وعرضها، إلا أن ذلك

يؤشر إلى فشله حتى في هذا الموضوع. ولكونهما ليسا سليمين فإن هذه المصطلحات محاطة بهالة من التحريم والحصانة. يجب الوصول إلى وسط طبيعي.

ولأجل ذلك سألجأ ثانية إلى الإنسان الاشتراكي. الإنسان الاشتراكي هو الواثق من نفسه. الإنسان الاشتراكي ذو مواهب وطاقات، جميل وحسن، وضرورة لا غنى عنها. هذه أمور لا بد منها في علاقات المرأة والرجل أيضاً. فإذا تطورت العلاقة بالعنف والضغط والقمع، لا مفر حينها من تطور الانحلال والاهتراء فيها. أما إذا خُلِق الإنسان الاشتراكي، فحينها تكون العلاقة الحسنة أيضاً قد خلقت.

يجب ألا ينتظر أي أحد حصول العلاقة الحرة على حين غرة، وألا يظن نفسه كاملاً مكملاً. حتى أنا لا أستطيع أن أتقرب كرجل كلاسيكي في هذا الموضوع، وأسعى لأكون اشتراكياً. إلا أنه أمر شاق للغاية في الواقع السائد، لكن هذه المساعي بحد ذاتها تزودني بالغبطة والعنفوان، وتزيد من حماسي وعزمي لأكون مؤثراً وقوياً وبليغاً بالنسبة لكل النساء، أكثر من أكثر الرجال ثقة بنفسه.

في الحقيقة، يمكن للإنسان أن يرى رجعيته بجسارة كلما تحرر. وحسب رأيي، من لا يتحرر لا يمكنه رؤية رجعيته وتخلفه، ولا أن يتحلى بالجدية أو النضوج. بالتالي لا يمكنه أن يكون نبعاً متدفقاً للود والاحترام والتقدير. ولأن مستوى الحرية تطور نوعاً ما، فإن هذه العلاقة تكتسب معناها أكثر بالنسبة لي. إنني أقوم بالتنظير، وأثق بذاتي كثيراً في فهم نفسية المقاتل أو نفسية المِلك على السواء. إذ باستطاعتي تحليل ذلك على نحو أفضل بالاعتماد على إقامة العلاقات. والأهم في الأمر أنني حققت استقلاليتي نسبةً لهذه العلاقة. وهذا ما مدني بقوة خارقة لا تصدق.

ما من جيش جمع بين المرأة والرجل على هذه الشاكلة. إذ أنه أمر مستحيل، سواء بالنسبة للمفهوم التقليدي أو لقواعد الحرب والجيش العصري. لكن الأمر حصل. ويظن رفاقنا أنه تطور تلقائياً وخارج نطاق نظام معين، ويخدع الكثيرون أنفسهم بذلك.

ثمة نظام أسسته. ما الذي تم حله في هذا النظام؟ كل شيء. إنه امتحان كبير، وحرب عسكرية عظيمة تمتد إلى حدود حرب الجماليات.

وضعي مختلف، إذ أنني لست رجلاً على غرار ما تعلمونه أنتم. لا يمكنكم تحليل مسألة الجنس بقدر ما فعلتُ، ولا تقييم المرأة مثلي.

إني أتعمق على المسألة منذ أربعين عاماً. وأنا على قناعة تامة بأن المرأة والرجل يقفان تجاه بعضهما بشكل واهن ضعيف. وأقول في نفسي "ترى، هل بإمكانكم النظر إلى بعضكم؟". إذ من المهم جداً النظر إلى بعض دون حياء، وبتفاهم، وعلى نحو قريب ونازع للحرية والمساواة والفهم. لكن هذا معدوم.

وخاصة بالنسبة للمرأة، لا أحد يود الاقتناع بوجود جوانب هامة وبارزة فيها. وإن وجدت فهي منحصرة في الغرائز والنزوات. وهذا أمر خطير للغاية وأحادي الجانب. فمن يعتقد بذلك يصوغ النظريات وينادي بالحقوق والصلاحيات والتقاليد. بدون الإطاحة بالخصائص الأساسية الطاغية لدى المناهضين للديمقراطية، لا يمكن دمقرطة الرجل. وإذا لم تقم بتطوير المبدأ الديمقراطي في الرجل، فهذا يعني أنك تخون الديمقراطية.

وإذا خلقنا هذه العلاقة على نحو فاضل، وضبطنا الاتحاد وفق هذا المبدأ بالتأكيد، ألا يكون ذلك قوة خارقة مذهلة؟ ألن يكون خطوة عظيمة في تجاوز كل الأخطاء ؟ ألا يعني تشكيل الأرضية الصلبة للديمقراطية المبدئية؟ ألا يكون أساساً للعلاقة بين المرأة والرجل داخل العائلة؟ ألا يكون الخطوة الأولية للتوجه نحو السلام؟ إذن، فالعلاقة مهمة جداً. لكن رفاقنا ليسوا مستعدين. أقول للشباب والشابات على السواء؛ "إذا ما رأيتُ أن علاقاتكم مبنية على أسس صميمية، فسأصفق لكم بحرارة".

إن خطو الفتاة خطوتها أمام عتبة الدار يعتبر جرماً في المجتمع. أما لدينا فكلا الجنسين معاً على ذرى الجبال. يقولون لي "إنك تحيي الذئب والخروف معاً". إنها مبالغات لا صحة لها، فحقيقة الحرب أمام الأنظار. إنه تناقض بالنسبة للمرأة والرجل. ويجب عدم استنكار ذلك لأنه تناقض أساسي، ولا ينبع من مسألة الجنس أو الطبائع الفطرية. هاهو العلم يضع يده على المسألة ويعمل على إبراز هذا التناقض وتسليط الضوء عليه.

كل حرب شاقة. فالحرب الاستعمارية شاقة. والحرب ضد الأغوات شاقة. والحرب "الصراع" في علاقات المرأة والرجل شاقة. بيد أن هذا الوضع الواهم يتجلى أمام الزاعمين بأنه "أمر سهل". لماذا تؤدي العلاقة إلى الدمار في يوم واحد؟ لماذا تعمّ المساوئ والقبحُ الأرجاءَ حتى الرُّكب؟ لماذا تؤدي إلى مثل هكذا أوضاع، بما فيها الخيانة؟

لأنه لا يعرف أصول الحرب "الصراع" فيها، ولا يتنبه إلى حرب المرأة وحرب الحرية والمساواة الكامنة فيها. وعندما لا يلاحظها يراها مسألة سهلة. ويعتمد على صلاحياته وينتهز الفرص. مثل هكذا أوضاع شائعة في تركيا.

لأفلاطون أيضاً نموذج الدولة المثالية. ونحن مرغمون على تطوير ذاك النموذج حسب مقاييس الاستراكية. حيث لا يحتوي في أحشائه الأسياد والمرأة فحسب، ولا وجود فيه للعبيد، بل سيتواجد فيه كل الكادحون والنساء. لكن هذا الموديل سيكون أسمى من ذاك الذي رسمه أفلاطون.

كيف سيكون ذلك؟

أجل، الاشتراكية هي الإرتقاء والاصطفاء دون التعرض للسحق أو الضغط. ولكن كيف سيتم تنفيذها؟ إنها حرب عظيمة تخاض في سبيل توضيح ذلك. وبالتالي فالعلاقات نسبة لها تعد حرباً "صراعاً" أكبر وأعظم. ليت ثمة من يؤسس علاقة كهذه.

كلفني جلب امرأة إلى هنا صراعاً طال أربعين عاماً. وقد شددتُ الخناق على رجولتي ألف مرة في اليوم. هل أمنحك امرأة وأنتَ رجل أجوف؟ بل سأنتشل امرأتك أيضاً من بين يديك. العديد يتقمصون أدواراً مخادعة ويربطون المرأة بأنفسهم. وهناك النساء اللواتي يستخدمن أنوثتهن فيستولين على الرجال. إنني لا أولي أولئك أي اعتبار لأنه لا جمال ولا مساواة ولا صدق لديهم. بل هم غارقون في الزيف والرياء. فالبعض خانع ذليل، والبعض يفرض الخنوع والذل. البعض يثق بالمال، والبعض بالعنف، والآخرون يثقون بقوتهم الجنسية الفظة.

من الجميل البحث عن امرأة وعن علاقة حتى ولو كانت في الصين. إذ علينا ألا نفكر فيها حسب الأطر القومية أو الطبقية. إنني أرى الخطر بشكل ساطع وملموس، فإذا لم تكرس النظام في هذه العلاقة، ناهيك عن أن تزج المناضل في الحرب لسنين عديدة، لا يمكنك حينها حثه على القتال ليوم واحد فقط. وناهيك عن دعم الفتاة وتعزيز مكانتها، لا تستطيع حينها تحصينها ليوم واحد فقط. فالمبدأ أو النظام أمران هامان جداً جداً هنا. أتدري إلى أين يؤول القبول البسيط والسهل؟ إنه يشبه أن تستولي على شيء ما باطلاً ودون خوض الصراع لأجله. ألا يقال في المرأة "أثمن ما في الوجود"! فإذا ما استوليتَ على امرأة أو رجل استناداً إلى قوة التنظيم فقط، حينها يكون الأمر قد انتهى.

من المصطلحات التي سعيت لتطويرها في الآونة الأخيرة،"ثورة الحب". ثمة مجزرة الحب لدينا. إذ لا يقتصر ذلك على التقريات الخانقة والمؤسفة جداً للاستعمار، بل وثمة قتل عام ومجزرة للحب داخلياً أيضاً.

لا يوجد حب جسور، بل استعبادي. وقد تدارست ذلك لمدة طويلة وكانت نتيجة ذلك هي رسم طريق الحب، وتأمين الحياة التي يمكن فيها الحب، وعقد الروابط بينها وبين الحرب.

ما من حب ملموس لإنسان ما لديّ. أو بالأحرى، من الصعب جداً أن أحب الإنسان الموجود حالياً. ولكن عندما أربط بين الإنسان الموجود واقعياً وبين الإنسان المجرد المرتأى، أشعر بغبطة وعنفوان جياش، وكأنه ربط بين الكائن الملموس والأمل المرتقب. هذا هو منبع الحب لديّ. وإذا لم يتطور ذلك، لما استطعت المكوث بجانبه دقيقة واحدة. أما من لا أمل له فمن المحال أن أحبه. وبالطبع، طورتُ ذلك حسب فني الحربي بالذات. وأنا أهوى ذاك الإنسان الذي يتزايد لديه الأمل ويكبر خطوة خطوة، بل وحتى أعتبر نفسي هائماً به.

لا يمكن الوقوف مكتوفي الأيدي أو القول بأننا "إنسان" في هذا الوطن وضمن هذا الشعب. إذ لا يمكن لأي شخص أن يدّعي "إني إنسان" بكل سهولة، والارتياح في هذا الواقع الذي تعمه المجازر وأساليب التعذيب والجوع والحرمان. وحسب رأيي، الذي يقول قاصداً الإنسان الحالي الموجود "أحبه"، إنما هو في مغالطة كبرى ويرتكب خطأ فادحاً. والشرط الوحيد هو أن تربطه بالأمل والهدف وتحفِّزه على الحركة والعمل. فإذا ما سار بشكل جيد وبمهارة، وبلغ النصر وحقق النجاح، فهو حينئذ شخص يستحق التصفيق الحار، وسأضعه في بؤبؤة عينيّ.

الحرية تحقيق الذات من الأعماق

من أنا؟ ماذا أمثل؟ وماذا أود أن أكون؟ الغريب في الأمر أني لا أصدق أن أحداً يجهد للتعرف عليّ. وليس واضحاً هل الآتون إلى هنا يخدعون أنفسهم أم يخدعونني.

وقد قلت: "انظروا إلي، لقد ذاع صيتي، وأتمتع بنفوذ متزايد باستمرار"، لكنكم لا تولونني أية قيمة. إنه أمر لا يمكن تصديقه، ولكنه حقيقة كائنة. وقلت "إنكم لا تعطونني قيمة بقدر الدخان المتصاعد من سجائركم". لماذا؟ لأنكم تنتفعون مني لا غير. إني أتمتع بالقوة، وهم يأتون للانتهال منها. إنني أرى هذا الواقع الخطير للغاية.

البعض يقول "إنه مَلِك"، والبعض الآخر "كيف يفكر الملوك؟". بيد أن الَمَلِك يضبط القواعد على أكمل وجه، وهذا سائد بصورة مذهلة في الشرق الأوسط. إذ يحوزون على سُلطة مطلقة، ويضيفون إليها القمع والضغط بحيث لا يمكن لأحد السير بجانبهم. ومن يأتون إلى هنا ينتظرون مواجهة فخامة وعظمة على هذا الغرار، فترتعد فصائدهم وترتعش أوصالهم. أنا أيضاً كذلك حيث أرتعد حتى النخاع لدى ذهابي إلى عند بعض السلطات.

إنهم يودون إبداء الاحترام والتقدير، ولكنهم ازدواجيون بدرجة لا تصدق. يقول "أتيتُ" ويكون بإمكاني تحديد نيته على الفور، حيث ما يفهمه من الاحترام هو اقتطاع جزء من قوتك وانتشاله لذاته. الكل في الحزب الآن، بدءاً من لجنتنا المركزية وحتى أحدث مقاتل أو منتسب، إما أنهم يعبدون القوة الكامنة في القيادة بإعجاب كبير، أو يسعون للحظي ببضعة يسيرة منها.

ولو أنني اقتصرتُ على النفوذ الموجود وعبادة القوة، لأصبحت عندئذ مَلِكاً حسناً. أقول دوماً "لي تأثير كبير كالملوك"، ولكنني من الطرف الآخر لا قوة لي في أن أكون امرؤاً بالمعنى المعهود. هكذا أعبر عن التناقض

الموجود. إذ إنهم لا يجعلون من الشخص امرؤاً في الظاهرة الكردية، ولا توجد أرضية كافية لظهور الَمَلِكِ فيها، حيث من الصعب على المجتمع إبداء قوة كهذه لأنها قد سُلبت منه.

قد يكون ذلك ممكناً في المجتمع التركي، حيث انه ملائم لخلق رئيس، ويفي بالغرض. أما في مجتمعنا فلا قوة يمكن تحويلها لذلك. وما يبرز فيه بالأغلب هو نهب القوة واختلاسها. بيد أنني أرى ذلك بدرجة زائدة في حزبنا ولجنتنا المركزية. حيث كل شلغهم الشاغل هو "لآخذ أنا أيضاً قدراً من القوة". وطراز إعطائه إياها غير صحيح، ولو أن طرازه في منح القوة كان موائماً للديمقراطية والاشتراكية لكان الأمر جيداً جداً. حينها كانت ستتطور الديمقراطية والاشتراكية، ولكنه عندما يمنح يقوم بذلك كالغلام، أو كالعتال الذي يريد ابتلاع الجَمَل كما هو عليه، دون قطعه إرباً.

وثمة نماذج يريد العدو التأثير عليها، حيث أراها بكل جلاء. إنهم يحملقون في الحل ويقولون "قائدي، لولاك لا يمكنني العيش قطعياً". إنه أمر صحيح، ولكن ما هو المتواري وراء هذا الكلام؟ إن القائد كثف القوة بنسبة معينة، ويراها بشكل جيد حسب مهارته وعمليته الإدارية. ليكن اسم ذاك المرء "س"، فلا أحد يقول له "مرحباً، كيف حالكَ (أو حالكِ) يا "س"؟" حتى ولو قفز ونط أربعين مرة. ولكنه داخل PKK قد صعد حسب مشيئته عدة درجات وبلغ نقطة معينة، ويعجب بذاته قائلاً "كم أَملك مواهب؟ فيكف إذن حال ذاك الذي لم يكن أحد يوليه أي اهتمام حتى الأمس القريب، ويحكم الآن الآلاف من الناس؟ وكيف يربط الناس بنفسه لدرجة التضحية بذاتهم لأجله؟" يطور هذا الأمر حباً أعمى بالذات، ولكنه يقول "تُرى، من الذي يعيقني من هكذا منزلة؟". وهنا تبدأ حادثة رؤيتي كعائق أمامه. أي أنك ستصبح مَلكاً، ولكن عليك تنحية من هو أمامك والإطاحة به. بيد أنه لو كان ديمقراطياً نوعاً ما لاستجديته قائلاً "أنا أود خدمتكم، لنتقاسمْ التنظيم معاً، ولنناقش سوية القرارات والطراز والوتيرة. ولنعمل معاً. ليكن النصيب الأكبر من الصلاحيات والإمكانيات لكم". كلا! إما أن تكون غلاماً مطيعاً ذليلاً للملك، أو أن تطيح به. طراز شرق أوسطي مريع؛ مناهض للديمقراطية، وظالم مجحف. إنه يقوم بذلك في ممارسته العملية. إذن، إلى متى سيكون مرتبطاً بي؟ إنني على اطلاع واسع بديالكتيك الشرق الأوسط، حيث عليك إبداء مهارات دقيقة جداً بنسبة لا تصدق. إنه يبدي الاحترام والتجبيل ويقول عن قناعة تامة "قائدي اكنُّ لكم الحب والاحترام والارتباط إلى مالا نهاية".

يود أن يصبح مَلِكاً. ولكن أيّ ملك؟ الملك الكوميدي! لا يمكن ذلك في السياسة التي أمارسها. ولكن الثقافة السائدة هي هذه. وقد تعلمها من التركي، ومن الواقع الاجتماعي للشرق الأوسط، ولا يخطر بباله أي شيء آخر. فعقله وقلبه غارق في ذلك كلياً. إني أعاني أشد الصعوبات تجاه مثل هذه النماذج. إنه اشتراكي حسب كدحه. ويتلفظ بالنظرية الاشتراكية على نحو مدهش. ويدعي أنه آتٍ من صُلبِ الشعب، ولكنه بائس مسكين، يتيم، وهكذا كبر وترعرع. ولو تذكر هذه الحقيقة لتوجب عليه أن يكون ديمقراطياً – اشتراكياً تاماً. أما أذا ما عَرَّف الدرجات السياسية حسب هواه، فلا يمكنك حينها كبح لجامه. ولن يكون بمقدورك سوى القول "لا يوجد هنا الثقافة الرأسمالية ولا الاشتراكية". كل هذه الأمور صحيحة. "إذن، هذه حقيقة الشرق الأوسط"، وهذا ايضاً صحيح. لكن، ورغم ذلك، ألا يمكننا النجاح؟ أو بالأحرى هل سنقفز على العصر؟

يضعني البعض مكان صلاح الدين، والبعض الآخر يجعلني شخصاً آخر... وقد طالعتُ في صحيفة كان قد كُتِب فيها "لو أنه جمع وخرج بين الماوية والإسلام لأصبح مذهلاً بحيث لن يكون لأفتك صواريخ الغرب أي تأثيراً حينئذ". لا داعي أبداً لأن أعزم على أمر كهذا. ولكني طبعاً لا زلت أقاوم وأصر على أن أكون فرداً يقوم بممارسة عملية معينة ويتحلى بتعمق ملحوظ.

وعليّ القول بأنني اتبع طراز المقاومة الاشتراكية بصورة غريبة عجيبة. وهذا أمر يتعدى نطاق أن أكون ملكاً أم لا. فالمهم بالنسبة لي هو عدم الخنوع للمقاييس الاجتماعية الكلاسيكية السائدة، وعدم الانصياع لها. كما أنني أشعر بنفور شديد من أي غلام هامشي تابع. ولا نية لي في أن أكون هكذا ملك.

ماذا يمكن أن أكون؟ ستقولون "هذه هي الحقيقة." وستزعمون أن العظمة الحقة هي هكذا. وهذا ما هو حاكم فيكم بنسبة ٩٩ %. إنها حقيقة يجب وضعها نصب العين، إلا أن الحرية أمر هام للغاية حسب رأيي. ويجب أخذ طرازي على محمل الجد في هذا الموضوع.

لا أود استصغار شأنكم البتة. بل وآخذ التحرريين على محمل الجد وأكنّ الاحترام لهم. ولكنني رغم ذلك أعتبر أوضاعكم تبعث على الحزب والأسى في مسائل الحرية والاشتراكية.

وفي هذا المضمار أستصغركم جميعكم، وأرى نفسي وحيداً بلا منازع. ولكن يجب عدم تقييم هذه الوحدة على أنها مَلَكية، بل بإمكانكم التعبير عنها بالقول "الكادح الوحيد المذهل في مسيرة الحرية والاشتراكية". ذلك أنني أعدّ شخصية تفي بذاتها أياً كانت الزاوية التي تنظرون منها، أو الناحية التي تبحثون فيها بصددها. أما الملك فليس كذلك لأنه يرتفع على أكتاف الغير وعلى حسابهم، أو على حساب شعب ما، أو حسب الدين، أو أنه تتواجد قوى ترتقي به إلى تلك المرتبة. ولكنني لا أملك مثل هكذا قوة ولو بمثقال ذرة. وضعي أشبه بسائر على حواف المخدرات، أو على رؤوس أصابعه متوخياً الدقة اللامتناهية، منذ السابعة من عمري وحتى الآن، ليخلق توازنه بنفسه ويسير حسبه. يتواجد هنا الكدح الاشتراكي بالتاكيد، هذا إلى جانب المهارة الفكرية والتطبيقية. ثمة حساسيات كثيرة وكبيرة، بالاضافة إلى الشغف والهوى والطلبات والتطلعات والحقد والغضب والحب والود.

أحب كثيراً مصاحبة الإنسان العادي، ولكنني أسعى لفهم العظماء أيضاً حيث أنني لست غريباً عنهم.

كل ذلك موجود لدي كطراز للحياة.

لا أمارس السياسة لأجل إحراز نجاحات محدودة أو كي يذيع صيتي وشأني. ولا أؤسس الحزب أو الجيش لهذا الغرض. أما تحرير ذاتي حسب المعايير الاشتراكية فهو تطبيق لا يحتمل التأجيل.

كيف أفهم الحرية؟

أتحدث ببعض الحقائق الصحيحة. وقد تكون نهجاً سياسياً بالنسبة للبعض، أو خصائص اشتراكية أو اقتصادية أو ثقافية أو شابه. ولكن كل ذلك ليس مهماً.

الحرية ظاهرة تحقيق الذات من الأعماق. ويمكن تعريفها على أنها ظاهرة التعبير عن الذات والتحلي بالإرادة تجاه كل ما هو كائن من مؤسسات منذ القرون الغابرة. وبإمكانكم إضافة البُعد الامبريالي إلى تلك المؤسسات. كذلك الاستعمار والآغوية وغيرها من المؤسسات التي نمَّت عن ردود فعل كبيرة، والتي يعلم الجميع علم اليقين كم حاربناها وكافحنا ضدها أيديولوجياً وسياسياً وتنظيماً.

أنا مُنَظِّر فاضل وخبير. ومنفذ قدوة للنهج السياسي. أتحلى بمستوى كافٍ من التنظيم، وأنتبه إلى اتباع أسلوبه وخطابته اللازمة. لكن كل ذلك لأجل النفاذ بالذات ظاهراً أو إعطاء الجواب ظاهراً أو إعطاء الجواب اللازمة للمحيطين بنا، أو حتى مماطلتهم.

العمل الأساسي مختلف نوعاً ما. فتحقيق ذاتي والتعمق آنذاك، والمرور من امتحان الحقائق الصحيحة، يعد ظاهرة متميزة فريدة. على سبيل المثال، طراز اليسار التركي في ممارسة السياسة عام جداً ومهتم بالشمائيات. وهو خاوٍ من الاعتراف بالأمور الجوهرية. أقول الأمر نفسه بالنسبة لكل قاعدتنا الكادرية على وجه التقريب. بيد أنه يجب ألا يكون كذلك. لا يستطيع حتى التقرب من ذاته، لأنه لو فعل لرآها دماراً وخراباً منتهياً وزائلاً منذ أمد بعيد. ولأنه يخاف ذلك، فهو يدافع عن نمطه القديم البالي. أستطيع فهم كل هذه الأمور وتحليلها.

دعك من إمكانية أن يكون امرؤ كهذا مَلِكاً، يعد دحر مثل هكذا ملوك والإطاحة بهم من مهامه اليومية. كذلك تجاه عديمي الإدارة، وتجاه الغلامين، و...

بدأت بصراعي بادئ ذي بدء تجاه هكذا أوضاع، وخفتُ العيشَ حسب المؤسسات والعادات والتقاليد الموجودة وأساليب تنشئتها للمرء. في تلك الأيام قالوا عني "مجنون الصحارى" في أوساط القرية، وغيرها من الألقاب الأخرى التي لقبوني بها. لم يعجبني الأمر، ولم أمُرّْ حتى بجانب اجتماعاتهم الغلامية، تصوروا أنه لا وجود للنظرية أو المناضلية في الأوساط قط. حتى أبسط أبناء القرويين لم يكن يود دخول جماعات كهذه. وإذا فعل فإنه كان ينوي أموراً أخرى. هل من مقولة ملفتة للنظر؟ حقاً كنت سأذهب إلى تلك الجماعات لو أنني رأيت فيها شيئاً مجدياً.

كل سلوكياتي تكون حسب متطلبات حرية الفرد.

ثمة صراع محتدم تجاه الغلام التقليدي والعبد ومفاهيمه. إلى أين تؤدي هذه المفاهيم؟ ما يبدو في الأمر هو أن هذه المفاهيم تفشت بين صفوف الشعب في الواقع الكردي، ليعوم في عبودية تبعث على الدهشة. لكنه اليوم أصبح محارباً مقداماً حسب المعايير العالمية. وبهذا الطراز فقط يمكنه القضاء على بقايا الاستعمار المتعشعشة في روحه، وليس على علاقاته الاستعمارية فحسب.

لو أنه وصل إلى طرازي فسيطيح بها لا محال. أما إذا لم يصله فمن المحال أن ينجح في أي شيء. إنه موديل في واقع الشرق الأوسط حسب قناعتي.

أتريدون الحرية؟ أبإمكانكم العمل مثلي قليلاً؟ لقد أسستُ نظاماً في داخلي. إنه نظام حسب العلم والمعنويات والفلسفة والاشتراكية.

أقول تكراراً ومراراً لقاعدتنا التنظيمية وللرأي العام "خذوه محمل الجد". لكنهم لا يستطيعون. لماذا؟ لأن الوسط الذي ترعرعوا فيه قد أسَرَهم. وقالوا "إنك تسرق منا حياتنا". والنظام القائم أيضاً قال "أخرجَكم عن منحاكم". في الحقيقة مَن في الداخل والخارج يتكلمون بنفس اللغة. ولكنني رغم ذلك مؤثر جداً. وأظن أن هذا يدل على إيجادنا لنظام معين.

لم أخنع قط للنموذج الكمالي أو النماذج التسلطية الشائعة في الشرق الأوسط. ولا أحبذ المرور بجانبها أو الحيازة على سلطة من هذا القبيل.

في الواقع، أود العيش كفرد. يجب ألا يفكر أحد بأنني أتنكر للفرد. فالمجتمع الذي يقبل به الفرد هو دافع كامل للحرب. لكن بناء مجتمع ما ليعيش فيه الفرد، هو أيضاً دافع للحرب بالتأكيد. على المجتمع أن يُشبِع أفراده، أو بالأحرى أن يضع أوضاعهم نصب العين. لقد تغاضت الاشتراكية المشيدة كلياً عن هذا الأمر، وسادت أجواء تعرَّض فيها الفرد للهلاك داخل المجتمع. يمكننا تسمية ذلك باللادمقراطية، ولا يمكننا قبولها قط. المجتمع بالنسبة لي هو ذاك الذي أستطيع قبوله والتقاط أنفاسي فيه بحرية وعلى أكمل وجه.

أود التذكير بذكرى عالقة في ذهني. كنت قد ذهبت إلى بلد اشتراكي، ورأيت أنني أضيق ذرعاً فيه. لم يكن بمقدوري القيام بالتنظير أو انتقاد الاشتراكية المشيدة حينها. كل ما في الأمر أنني تضايقت. والمكان الذي لا أستطيع التنفس فيه براحة، تغيب فيه الاشتراكية حسب رأيي. ووضعت تناقضاتي في الوسط وطرحتها.

على المجتمع أن يعبّر بالتأكيد عن واقع يستطيع الفرد التقاط أنفاسه فيه. وبالطبع على الفرد أيضاً أن يدرك أن الحرية مرتبطة بالتركيبة الاجتماعية بعد نقطة معينة. إن تضخيم وضع الفرد تجاه التطور الاجتماعي أو الجماعية

في المجتمعية، يعد أمراً جد خطير. وما تنامي اللاديمقراطية لهذه الدرجة إلا بسبب المواقف المتطرفة للفرد تجاه المجتمع.

تعد الاحتكارات الامبريالية الآن أكبر خطر يهدد البشرية. لماذا؟ لأنهم يستولون على قوة فردية يعززونها كثيراً بالتقنية بحيث أصبحت في درجة تكاد تطيح بأقدس المقدسات الاجتماعية، أي المقدسات والقيم النبيلة التي جعلت الإنسان إنساناً، والعلاقة مع الطبيعة، والعلاقة القائمة بين المجتمع والطبيعة.

ولكون المجتمع أخلّ بهذا الانسجام الاحتكاري التام، فقد تغيرت طبائع وسمات التناقضات كلياً، حيث هوت التناقضات الطبقي والوطني إلى المرتبة الثانية. إن دل هذا على شيء فهو يدل في نفس الوقت على مدى توحش الفرد، وما يسفر عن القضاء على كل القيم المقدسة التي حولت الإنسان إلى مجتمع وأوصلته بالتالي إلى يومنا هذا، وتفسيخ المجتمع، وبالتالي تمزيق وتشتيت علاقاته مع الطبيعة، و... والنتيجة، حيوانية تامة. وقد تطور في الحقيقة وحش المجتمع لحد ما في الاشتراكية المشيدة، ويمكننا تسميته أيضاً بوحش الدولة. أما في أمريكا فقد تطور الوحوش الفرديون.

ليس صحيحاً إنكار الفرد باسم المجتمع، ولا المناداة بأن كل شيء لأجل الدولة المجتمعية. الفرد معدوم في الأوساط التركية، حيث تسود الأيديولوجية القائلة "كل شيء لأجل الدولة". هذا الفرد يستحقره الجميع مثلما لم يستطع نيل احترام العالم. ومن الواجب كي نتجاوز ذلك الوضع، تداول الفرد مجدداً والأخذ بعين الاعتبار وضع المجتمع الذي يسفر عن تطور فرد سليم. من اللازم تنظيم وضبط العلاقة بين الفرد والمجتمع ضمن هذا الإطار بالتأكيد عبر مواقف برامجية وتنظيمية وحربية. وأنا كلي ثقة بأنني واعٍ وعليم وخبير بهذه الأمور.

إني أثق بالإنسان، والإنسان الفاضل. أو بالأصح، الخلق والبناء لديّ بمثابة الشغف والهوى. وكل همي هو الانشغال بالناس ليلاً نهاراً. ما هي أكثر الأمور جوهرية؟ الانشغال بالأيديولوجية منها، وبمستواها التنظيمي. حتى لو كان الفرد بطل العالم وأكثرهم جمالاً، فهو لا يساوي عندي خمسة قروش لو لم يملك جانباً أيديولوجياً – تنظيمياً وتطبيقياً، بل أكنُّ له النفور وأحقد عليه. بقدر ما يجب أن يكون طراز تنشئة الإنسان الاشتراكي مبدئياً، يتوجب أن يتميز بالمهارة والخبرة العملية. وهكذا يظهر الإنسان الناجح. وإذا ما أظهرتَ الإنسان الناجح إلى الوسط، سيكون بمقدورك حينها إظهار الحركة التحررية الوطنية الناجحة والاشتراكية العلمية الناجحة أيضاً.